نفحات القرآن

الجزء الرابع

المؤلف

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

المقدمة .

معرفة صفات جمال اللّه سبحانه وجلاله
ليس كمثله شي :.

لاتشبيه ولا تعطيل :.

لم لايصل العقل الى كنه ذاته وصفاته ؟.

النهي عن التشبيه في الروايات الاسلامية .

هل ان اسما اللّه توقيفية ؟.

ا سما اللّه الحسنى والاسم الاعظم .

اسما اللّه الخاصة :.

ماهي حقيقة الاسما الحسنى ؟.

عدد الاسما الحسنى وتفسيرها :.

اي واحد منها اسم اللّه الاعظم ؟.

صفات اللّه تعالى .

علم اللّه المطلق .

اللّه عز وجل عالم بكل شي :.

يعلم نياتكم :.

يعلم السر والجهر :.

وعنده مفاتح الغيب :.

انه علام الغيوب :.

موجود في كل مكان :.

وهو معكم اينما كنتم :.

الخالق عليم بخلقه :.

ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام و.

عنده مفاتح الغيب الخمسة :.

الاجابة على سؤالين :.

وكل شي في كتاب مبين :.

ونحن اقرب اليكم :.

تاثير علم اللّه في بعدي العرفان والتربية :.

الادلة على علم اللّه :.

برهان الخلق والنظم :.

برهان الامكان والوجوب :.

برهان اللاتناهي :.

ان علم اللّه حضوري :.

علم اللّه اللا متناهي :.

اسئلة مهمة حول علم اللّه :.

علم اللّه في الروايات الاسلامية :.

تقسيمات علم اللّه .

الف و ب ـ ان اللّه سميع بصير.

شرح المفردات :.

هو السميع البصير :.

يعلم ماتعملون :.

هو السميع والعليم :.

جهادكم مراقب من قبله :.

انه قريب منكم :.

انه سميع الدعا :.

انه تعالى بصير :.

ان اللّه خبير باحوال العباد :.

انه بصير بالمشاكل التي تواجه عباده :.

الطير فوقهم صافات .

معنى كون اللّه سميعا بصيرا :.

السميع والبصير الواردة في نهج البلاغة والروايات :.

الاثر التربوي للايمان بكون اللّه سميعا بصيرا :.

اللّه المدرك :.

فروع اخرى من علمه تعالى .

ان اللّه حكيم .

قدرته مندمجة مع حكمته :.

جميع افعاله تتسم بالحكمة :.

هو الحكيم الخبير :.

حكيم لانه وضع طريقا للرجعة :.

هو الحكيم الحميد :.

((انه علي حكيم)).

امره بالطلاق ينبع من حكمته تعالى :.

الدليل على حكمة اللّه تعالى :.

الاثار التربوية لمعرفة حكمة اللّه تعالى :.

فرع آخر لعلم اللّه .

ارادة اللّه ومشيئته .

ارادته نافذة في جميع الاشيا :.

لاشي يحول بينه وبين ارادته ـ تعالى ـ :.

اراد سبحانه ان يعين المستضعفين :.

يريد اللّه بكم اليسر :.

ان اللّه يخلق مايشا :.

قل في كل شي : ((ان شا اللّه)) :.

يوحي باذنه مايشا :.

لدلائل العقلية على الارادة الالهية :.

مامعنى ارادة اللّه سبحانه ؟.

الارادة الالهية التكوينية والتشريعية :.

الارادة الالهية في الروايات الاسلامية :.

القدرة الالهية المطلقة .

انه على كلي شي قدير:.

الهدف من خلق الكون هو معرفة قدرته سبحانه :.

بيده الموت والحياة :.

تطورات الحياة دليل على قدرته تعالى :.

المالكية والقدرة :.

قدرته تعالى على اعادة الخلق :.

قدرته تعالى على احيا الموتى :.

قدرته تعالى على تبديل الاقوام :.

وما كان اللّه ليعجزه من شي :.

هو الواهب القدير:.

الادلة على القدرة الالهية المطلقة :.

برهان الوجوب والامكان (برهان فلسفي) :.

برهان سعة الوجود (برهان فلسفي):.

اللّه قادر مختار:.

المخالفون لشمول القدرة الالهية :.

ازلية وابدية اللّه تعالى .

ازلية وابدية اللّه تعالى في نظر الفلسفة :.

ازلية اللّه تعالى وابديته في الروايات الاسلامية :.

الاجابة على سؤال :.

اللّه الحي القيوم .

نحن نقوم بك لانك قائم بذات :.

حقيقة الحياة :.

دلائل حياته سبحانه :.

صفات جلال اللّه (الصفات السلبية).

الجميع يسبحون له :.

((التشبيه)) من اعظم الذنوب

نفي الرؤية والجسمية .

العين لا تطيق مشاهدة جماله :.

ياموسى ارنا اللّه جهرة

يجب ان نرى اللّه

لماذا تستحيل رؤية اللّه تعالى ؟.

منطق القائلين بامكانية الرؤية .

الروايات الدالة على انتفا رؤية اللّه :.

ادلة القائلين بالرؤية الظاهرية :.

اللّه عز وجل ليس جسما.

ليس له محل وهو موجود في كل مكان .

اينما نتوجه فثم وجه اللّه

هو معكم اينما كنتم

اللّه عز وجل فوق المكان والزمان :.

لا يحل اللّه في شي :.

معنى حضور اللّه تعالى في كل مكان

لماذا نرفع ايدينا الى السما اثنا الدعا؟.

عدم احتياج اللّه للمكان في الروايات الاسلامية :.

تبريرات المخالفين :.

المتصوفة ومسالة الحلول :.

صفات الفعل .

١ ـ الخالق ٢ ـ الخلاق ٣ ـ احسن الخالقين .

٤ ـ الفاطر ٥ ـ الباري ٦ ـ الخالق ٧ ـ البديع ٨ ـ المصور.

٩ ـ المالك ١٠ ـ الملك ١١ ـ الحاكم ١٢ ـ الحكيم ١٣ ـ الرب .

١٤ ـ الولي ١٥ ـ الوالي ١٦ ـ المولى ١٧ ـ الحافظ ١٨ ـالحفيظ١٩ ـ الرقيب ٢٠ ـ المهيمن .

٢١ ـ الرازق ٢٢ ـ الرزاق ٢٣ ـ الكريم ٢٤ ـ الحميد ٢٥ ـ الفتاح .

٢٦ ـ الـرحـمن ٢٧ ـ الرحيم ٢٨ ـ ارحم الراحمين ٢٩ ـ الودود٣٠ ـ الرؤوف ٣١ ـ اللطيف ٣٢ ـ الحفي .

الرحمة الالهية الواسعة في الاحاديث الاسلامية :.

٣٣ ـ الـغـافـر ٣٤ ـ الـغـفـور ٣٥ ـ الغفار ٣٦ ـ العفو ٣٧ ـ التواب ٣٨ ـ الجباربعد الغفران والـرحمة الالهية وعفو الباري عن المذنبين وقبول توبتهم ,اصل مجموعة من صفات فعل اللّه التي
اوردنا ستة نماذج منها اعلاه .
٣٩ ـ الشكور ٤٠ ـ الشاكر ٤١ ـ الشفيع ٤٢ ـ الوكيل ٤٣ ـ الكافي :.

٤٤ ـ الحسيب ٤٥ ـ سريع الحساب ٤٦ ـ اسرع الحاسبين٤٧ ـ سريع العقاب ٤٨ ـ شديد العقاب .

٤٩ ـ نصير ٥٠ ـ نعم النصير ٥١ ـ خير الناصرين .

٥٢ ـ القاهر ٥٣ ـ القهار ٥٤ ـ الغالب .

٥٥ ـ السلام ٥٦ ـ المؤمن .

٥٧ ـ المحيي .

٥٨ ـ الشهيد.

٥٩ ـ الهادي .

٦٠ ـ خير.

اجل هو خير:.

جمع الايات وتفسيرها :.

١ ـ العالم مظهر لصفاته واسمائه :.

٢ ـ الصفات الاخرى التي تعتبر من زمرة الصفات الفعلية :.

اللّه المتكلم .

ما المقصود من كلام اللّه ؟.

الاستنتاج النهائي :.

التكلم في الروايات الاسلامية :.

المقدمة

ما هو التفسير الموضوعي ؟.

وماهي المشكلات التي يعالجها؟.

ان الجواب على هذين السؤالين له الاثر الكبير في فهم مواضيع مثل هذاالكتاب بشكل اصح وافضل , وما لم يتضح الجواب على هذين السؤالين لايمكن معرفة الهدف الذي ترمي اليه مثل هذه الكتب .

امـــا بـــالنسبة للجواب عن السؤال الاول فنود ان نذكر بان المدة التي تنزل فيها القرآن المجيد دامت (٢٣) ســـنـــة , وذلك نظرا للمتطلبات والظروف الاجتماعية المختلفة والاحداث المتنوعة , فكان القرآن يسير وفقا لتطورات المجتمع الاسلامي .

ان اكـــثر الايات والسور التي نزلت في مكة كانت ترمي الى تركيز دعائم الايمان وترسيخ الاعتقاد بـــالـــتـــوحيد والمعاد , وكانت تختص بالهجوم الشديدوالمستمر ضد الشرك وعبادة الاوثان , بينما ركـــزت الايات والسور التي نزلت في المدينة ــ وذلك بعد تاسيس الحكومة الاسلامية طبعا ــ على وضـــع الـــقـــوانـــيـــن الاجتماعية والعبادية والسياسية وتاسيس بيت المال والنظام القضائي الاسلامي والـــشـــؤون الـــمـــتعلقة بالحرب والهدنة والجهاد ضد المنافقين وامثال ذلك من الامور التي كان الدين الاسلامي يواجهها.

ومـــن البديهي ان المسائل المذكورة لم توضع على شكل رسالة لبيان الاحكام الشرعية او على شكل كتاب منهجي كما هو المتعارف , بل كانت الايات تنزل وفقا للمتطلبات والمناسبات والحاجات , فاننا نـــرى مثلا احكام الجهاد وفنون القتال واحكام المعاهدات والاسرى والفدية وامثال هذه الامورنزلت مـــتـــفـــرقـــة وبشكل غير مرتب , وذلك لانها نزلت مناسبة لكل غزوة ومتطلباتها, كما هو الحال في وصـــفـــات الـــعلاج التي يكتبها الطبيب الماهر , فانه يصفها للمريض في كل يوم بما يناسب حاله حتى يصل الى الشفا التام .

فـــلـــو فـــسرنا آيات القرآن الكريم في اية سورة من السور بالترتيب الذي نزلت عليه فهذا التفسير يسمى بـــ ((التفسير الترتيبي)) , واما اذا جمعنا الايات المختصة في ((موضوع)) واحد من سائر ســـور الـــقـــرآن ووضـــعـــنـــاهـــا عـــلـــى شـــكل فصول وفسرناهافهذا التفسير يسمى بـــ ((التفسير الموضوعي)).

فمثلا اذا جمعت كل آيات الجهاد التي نزلت خلال عشر سنين من السورالمدنية , او جمعت الايات الخاصة باسما وصفات اللّه التي نزلت خلال (٢٣)سنة من جميع سور القرآن , وضمت الى بعضها , وفـــســـرت بعضها بالبعض الاخرفان هذا يسمى بالتفسير الموضوعي , بينما لو فسرت كل آية في موضعهاوبشكل مستقل فان هذا هو التفسير الترتيبي .

ان كـــل واحد من هذين النوعين له مزايا وآثار بحيث لايمكننا الاستغناعن احدها بالاخر كما

يقول الــمثل ((لكل مقام مقال)) , ان كلا النوعين من التفسيرلازم وضروري للباحثين في القرآن الكريم (ومن الطبيعي ان يقدم التفسيرالترتيبي في البداية على التفسير الموضوعي).

مزايا ((التفسير الترتيبي)):.

تــعــرف اغراض الايات ومفاهيمها من خلال زمان ومكان النزول , مع ضمها الى ماقبلها و مابعدها من الايات , ومن خلال القرائن الداخلية والخارجية , وبدون هذا لايمكن فهم معنى الاية بدقة .

وبعبارة اخرى فان التفسير الترتيبي ينظر بدقة الى كل آية في موضعهاالذي نزلت من اجله , وياخذ بــنظر الاعتبار صلتها بحياة المجتمع الاسلامي وتطوره وتكامله , وتكشف هذه الصلة بدورها عن مسائل كثيرة .

بــينما في التفسير الموضوعي تخرج الايات عن قالبها الجزئي وتاخذموضعها في قالب كلي وتبتعد الى حد كبير عن موضعها الذي نزلت من اجله .

وعلى ذلك فان التفسير الموضوعي يمكنه , ان يرفع الستار عن الامورالتالية :.

١ ــ يــجــمــع الابــعاد المتشتتة في طيات الايات المختلفة للموضوع , وينظرالى المواضيع بشكلها المتعدد الابعاد , وهذا ينتهي طبعا باستخراج حقائق جديدة لتلك المواضيع .

٢ ــ يــطــرد الابــهامات التي تشاهد في بادي الامر في بعض الايات طبقاللمبدا القائل بان ((القرآن يفسر بعضه بعضا)).

٣ ــ يمهد للخوض في نظرية المعرفة الاسلامية بشكل عام وفي كل مسالة من مسائلها.

٤ ــ لايــمــكــن رفع النقاب عن الكثير من اسرار القرآن الخفية الا من خلال التفسير الموضوعي , ولايتيسر الخوض في اعماق آياته ــ على قدر الطاقة البشرية ــ الا بواسطته .

وبنا على هذا فان اي مسلم مهما بلغ من المعرفة والتعمق لايمكنه الاستغنا عن كلا هذين النوعين من الــتــفــسير وبالرغم من ان التفسير الموضوعي كان موضع اهتمام منذ اقدم الايام بل حتى في عصر ائمــة الــهــدى (ع) , فــقد كتب علما الاسلام في هذا المجال كتبا جمة ككتب ((آيات الاحكام التي تــعــتــبــرنموذجا واضحا لذلك , الا انه يجب الاعتراف بان التفسير الموضوعي لم يحض بالتطور الــلائق بــه , وهــو لحد الان يطوي مراحله الابتدائية , ويجب ان يرقى الى محله اللائق من خلال جهد وعطا العلما.

ان كــتاب ((رسالة القرآن)) الذي بين يديك هو ابداع واسلوب جديد تمامافي التفسير الموضوعي للقرآن , وقد خطى في هذا الموضوع خطى جديدة فاستقبل ــ والحمد للّه ــ بشكل واسع ومستمر مــن قــبــل الــكثيرين ونحن بعد في اول الطريق , ونحتاج الى عون ودعم اكثر من العلما المسلمين والــمــفسرين المحترمين للوصول الى الهدف الرئيسي , ونحن نتقبل دوما الارا البناة من اهل الخبرة والاطلاع , ونسال اللّه دوام الهداية والتوفيق .

قم ــ الحوزة العلمية .

ناصر مكارم الشيرازي .

معرفة صفات جمال اللّه سبحانه وجلاله . تمهيد :.

((البحث عن اللّه)) و((ادراك وجود اللّه)) و((معرفة اللّه)) هناك ثلاث مسائل مختلفة تواجهنا في بحوث معرفة اللّه , الا وهي :.

فـ (البحث عن اللّه) يشير الى دوافع معرفة اللّه .

و (ادراك وجود اللّه) يشير الى مسالة اثبات وجود اللّه .

و (معرفة اللّه) يبحث صفاته عز وجل .

وكمثال بسيط فانه يمكن تشبيه البشر بالعطاشى الذين يبحثون عن المافي الصحرا , فبعد ان يعثروا على عين الما فانهم يحاولون التعرف على صفات ذلك الما الصافي .

(البحث عن اللّه) امر فطري تسنده الدلائل العقلية فكما ان العطاشى ينطلقون للبحث عن الما بدافع ذاتـي وآخـر عـقلي نابع من استدلالهم على توقف حياتهم على الما فكذلك الانسان يبحث عن الكمال المطلق الذي هوذات الباري , وذلك لانه ((اي الانسان)) مجبول على عشق الكمال .

وكذلك (ادراك وجود اللّه) , فانه بسبب دلائله الواضحة , وعلى الاخص الدلائل النابعة من التفكر باسرار الخلق , فليس بالامر العسير او المعقد.

امـا الـعـسير والمعقد فهو (معرفة اللّه) , لان نفس مخلوقات الطبيعة التي تعد افضل دليل ومرشد للانسان في مسير ادراك وجود اللّه , يمكنها ان تخدعه في سلوكه الى (معرفة اللّه) , وتجره الى هاوية القياس والتشبيه الخطرة (كماسياتي شرح ذلك فيما بعد).

ينبغي الاشارة الى هذه النقطة ايضا , وهي : ان صفاته تعالى كذاته غيرمتناهية حصر واسماؤه التي توضح صفاته لا تعد ولا تحصى ايضا , لان كل اسم من اسمائه عز وجل يدل على احد كمالات ذاته الـمـقـدسـة , فـذاته غير محدودة وكمالاته غير محدودة كذلك ومن البديهي ان الصفات الكمالية والاسما التي تحكي عنها لاحصر لها ايضا , لكن مع ذلك فان قسما من هذه الاسماوالصفات تعد اصولا , وما سواها فهو فرع من تلك الاصول .

فـمـثلا كون اللّه سبحانه وتعالى ((سميعا)) و ((بصيرا)) , فهذا يعد فرعا من علمه عز وجل , لان المقصود هو اطلاعه على المسموعات والمشهودات لامتلاكه للعين والاذن .

وكـذلك كونه تعالى ((ارحم الراحمين)) و ((اشد المعاقبين)) , فهذه متفرعة من حكمته , وذلك لان الحكمة هي التي تقتضي ان يرسل رحمته في مكان ونقمته في مكان آخر.

طريق وعر جدا :.

ان مـن الـسـهل معرفة اللّه وادراك وجوده عز وجل ــ وخاصة عن طريق التفكر بعالم الوجود ــ, ولـكن بقدر ما تكون معرفته تعالى سهلة , فان فهم وادراك صفاته صعب للغاية , وذلك لاننا نمتلك في مـرحلة ادراك وجود اللّه ادلة بعددنجوم السما واوراق الاشجار وانواع

النباتات والحيوانات , بل بعدد خلايا كل نبات وحيوان , وبعدد ذرات الكون , وكلها تدل على اصل وجوده عز وجل .

وبما ان سلوك الطريق الصحيح المتمثل بتنزيهه عز وجل عن صفات مخلوقاته وترك تشبيهه تعالى بمخلوقاته هو الشرط الاول في معرفة صفاته , فان الموضوع يتعقد.

والدليل على ذلك واضح ايضا , فقد ترعرعنا في حضن الطبيعة وتطبعناعليها , وكل ماراياه وسمعناه ينحصر بهذه الحوادث الطبيعية , وهذه الطبيعة بذاتها اعانتنا على معرفة اللّه ايضا.

لكننا عندما نصل الى بحث صفاته تعالى , فاننا لانجد حتى صفة واحدة من صفاته يمكن قياسها ومقارنتها بما راياه وسمعناه , وذلك لان صفات المخلوقين ينقصها الكمال دائما , وصفاته عز وجل منزهة عن اي نقص وهي عين الكمال .

وعليه فان نفس هذه الطبيعة التي تعتبر افضل معين ومرشد لنا في طريق معرفة وادراك وجوده تعالى , تصبح عائقا لنا في طريق معرفة صفاته .

لذلك يجب علينا رعاية جوانب الاحتياط عند سلوك طريق معرفة صفات اللّه قدر الامكان كي نكون في مامن من الوقوع في محذور التشبيه والقياس .

ان ماذكرنا اعلاه كان لمحة خاطفة , ولننطلق الان الى مطالعة الايات النازلة في هذا المجال :.

١ ــ (وللّه الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه) (الاعراف / ١٨٠).

٢ ــ (ليس كمثله شي وهو السميع البصير) (الشورى / ١١).

٣ ــ (فلا تضربوا للّه الامثال ان اللّه يعلم وانتم لا تعلمون) (النحل / ٧٤).

٤ ــ (ولم يكن له كفوا احد) (الاخلاص / ٤).

٥ ــ (سبحان اللّه عما يصفون) (الصافات / ١٥٩).

٦ ــ (ما قدروا اللّه حق قدره ان اللّه لقوي عزيز) (الحج / ٧٤).

٧ ــ (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) (طه / ١١٠).

شرح المفردات :.

(مثل) في الاصل من (المثول) , وهو بمعنى الوقوف باعتدال , ويطلق على الصور التي تلتقط او ترسم من شي معين اسمه (التمثال) , اي وكانه بنفسه واقف هناك , ويطلق على اي شي مشابه لشي آخر (مثال) , واماالحديث الذي يشابه حديثا آخر ويوضحه فيطلق عليه كلمة (مثل).

وقال جماعة : ان الفرق بين (المماثل) و (المساوي) هو ان الاول يطلق على الشيئين المتشابهين في الجنس , اما الثاني فيطلق على الشيئين المتشابهين في الكمية والحجم , لكنهما قد يكونان متشابهين وقد يكونان مختلفين في الجنس .

وقــد وردت كــلــمـــة (مثل) بمعنى (الصفة) , وقد تطلق احيانا على الصفات الجذابة والقصص العجيبة ايضا , لذا فان كلمة (امثل) تاتي بمعنى (نموذج).

و (المثلة) تعني قطع بعض اعضا بدن شخص لتعذيبه ومعاقبته ,وبالواقع ان من يرتكب هذا العمل (التمثيل بالغير) , يقصد افهام الاخرين وتحذيرهم من ملاقاة نفس هذه العقوبة في حال ارتكابهم (مــثــل) مــا ارتــكــب هــذاالشخص لذا فقد وردت كلمة (مثلات) بمعنى (العقوبات) , العقوبات التي تصير عبرا للاخرين لكي لا يرتكبوا (مثل) اعمال الماضين ((١)).

(كــفو) تعني الشباهة في المنزلة والمقام , و (المكافات) ايضا ماخوذة من نفس هذا المعنى لانها بــمعنى المساواة والمقابلة بالمثل , (اكفا) تاتي بمعنى قلب الانا راسا على عقب , اي وكان الظاهر والباطن يتشابهان .

وقــد ورد فــي مــقــاييس اللغة بان لهذه الكلمة معنيين , فاحيانا تاتي بمعنى (المساواة) بين شيئين , واحــيانا اخرى بمعنى (التمايل والانحراف) , في حين نجد ان الراغب ارجعهما الى معنى واحد , وهو ما ذكرناه اعلاه .

(الــصــفة) من مادة (وصف) , وهي في الاصل بمعنى ذكر محاسن ومحسنات شي معين , ويطلق على هذه الحالة كلمة (وصف).

وهي ذات معنى اوسع فتطلق على كل الوان التوصيف الصالح والطالح .

يــقــول (ابن منظور) في (لسان العرب) : (التوصيف) بمعنى (التزيين) , و(الصفة) تعني (الزينة).

وقــد ورد نــفس هذا المعنى في (مقاييس اللغة) ايضا , لكنه وكما ذكرنااعلاه فقد استعملت بمعنى اوسع فيما بعد.

وقد يطلق احيانا على (الخادم) و (الخادمة) لفظ (الوصيف) و(الوصيفة) , وسبب ذلك هو ان الغلام او الامة عندما كان يباع ويشترى تذكرصفاته ومزاياه للزبائن .

جمع الايات وتفسيرها :.

ليس كمثله شي :. تــشــيــر الايــة الاولــى الى حالة المشركين الذين كانوا يحرفون اسما اللّه التي كانت تبين صفاته , وتــحــذرهــم مــن هــذا العمل (وللّه الاسمــا الحسنى) اسماتعكس صفاته كما هي (فادعوه بهــا) , (وذروا الذين يلحدون في اسمــائه سيجزون مــا كــانوا يعملون).

(الــحــــاد) و (لحد) على وزن (مهد) , بمعنى الانحراف عن حدالاعتدال (الحد الوسط) الى احــد الــجانبين , وسمي (اللحد) الذي يحفر في القبر بهذا الاسم لانه يحفر في احد جانبي القبر لتوضع الجنازة فيه حتى لايصلهاالتراب الذي يهال على القبر ((٢)) .

واما معنى ((الالحاد في اسما اللّه تعالى)) في هذه الاية , فالكثير من المفسرين يرون بانه ذو مفهوم عام يشمل ثلاثة امور :.

الاول : هو ان المشركين كانوا يشتقون اسما اصنامهم من اسما اللّه كاللات والعزى ومناة التي كانوا يعتقدون بانها مشتقة من كلمة اللّه , والعزيز ,والمنان على الترتيب .
الثاني : هو انه ينبغي ان لا يدعى اللّه بالاسما التي لا يرتضيها لذاته ولاتليق به عز وجل او مشوبة بالنقائص والعيوب الخاصة بالممكنات (المخلوقات) مثل كلمة اب التي اطلقها المسيحيون على اللّه تعالى .
الثالث : ان لايسمى اللّه بالاسما المبهمة .
وبتعبير آخر فانه لايجوز تشبيه اللّه بما سواه ولا تعطيل فهم صفاته ولاتسمية من سواه باسمائه عز وجل .
كل ذلك يشير بصورة واضحة الى وجوب ملازمة جانب الاحتياط التام في بحث صفات اللّه والحذر من تسميته ووصف ذاته المقدسة باسما وصفات هي من شان الموجودات الناقصة .
لذا فقد اعتقد الكثير من العلما بان اسما اللّه توقيفية , اي لا يمكن وصفه وتسميته الا بالصفات والاسما الواردة في الايات والروايات المعتبرة فقط (وسياتي شرح هذا الكلام في قسم التوضيحات ان شا اللّه تعالى).
اما الاية الثانية فقد نفت ولاية وربوبية ورئاسة من سواه , واكدت خالقيته للسموات والارض قال تعالى : (ليس كمثله شي وهو السميع البصير).
ونظرا لكون كاف التشبيه في كلمة ((كمثله)) هي بذاتها تعني المثل فانهاجات مع ((مثله)) للتاكيد (وقد عبر عنها البعض بالحرف الزائد وهو يستعمل للتاكيد ايضا).
على هذا يكون معنى الاية هو : ليس كمثله شي وما نعرفه وما لانعرفه ,فهو تعالى ليس له نظير من اي جهة , وذلك لانه وجود مستقل بذاته ولا نهاية له وغير محدود من جميع الجهات , لا في علمه , ولا في قدرته , ولا في حياته ,ولا في ارادته و.
واما ماسواه من الموجودات فهي تابعة ومحدودة ومتناهية وناقصة لذالايوجد وجه شبه بين وجوده الذي يمثل الكمال المطلق وبين النقصان المطلق (اي الموجودات الامكانية) , فهو الغني المطلق , ومن سواه فقير ومحتاج في كل شي .
ومانقله بعض المفسرين من ان نفي التشبيه الوارد في الاية اعلاه يختص بنفي التشبيه في الذات , اي ليس كذاته المقدسة شي , ولا يشمل الصفات ,من حيث وجود بعض صفاته كالعلم والقدرة و في الانسان ايضا فهو خطاكبير فانه سياتي في بحث العلم والقدرة وغيرها بان مثل هذه الصفات ليس بينهاوبين علمنا وقدرتنا اي لون من الشبه , فان اللّه تعالى موجود ونحن موجودون ايضا , لكن الفرق شاسع جدا بين الوجودين وعلى اي حال فهذا اصل اساسي في بحث معرفة اللّه ومعرفة صفاته ,وهو ان ننزهه تعالى عن الممثيل والشبيه ونعده اكبر من القياس والظن والوهم ,وان نلتفت الى ان الاوصاف التي نصفه بها يجب ان تكون خالية من كل عيب ونقص وعارض مادي وجسماني وامكاني .

جل المهيمن ان تدرى حقيقته ـــــــــــ من لاله المثل لاتضرب له مثلا.
والايـــة الثالثة تطرح نفس محتوى الاية الثانية بشكل آخر , فبعد ان ابطلت الاية آلهة الوثنيين التي لاتملك للبشر اي رزق في السموات والارض قالت :(فلا تضربوا للّه الامثـــال ان اللّه يعلم وانتم لا تعلمون).
وبديهي فان الوجود اذا كان واحدا متفردا من جميع الجهات فانه ليس له شبيه او كفؤ لكي يضرب له مثل .
ولـــقـــد جـــا فـــي بعض التفاسير بان هذه الاية تشير الى قول مشركي الجاهلية وحتى بعض مشركي عصرنا الحاضر في ان اللّه اكبر من ان نعبده نحن , لذا فنحن نعبد موجودات من سنخنا وفي متناول ايـــديـــنـــا , فـــهو بالضبط كالملك الكبيرالعظيم الذي لايستطيع عامة الناس الوصول اليه , لذا تراهم يقصدون وزراه وخواصه ومقربيه الذين يمكن الوصول اليهم .
الـــقـــرآن الـــكريم يقول : لاتضربوا للّه مثلا من قبيل هذه الامثال , فهو اعزواجل من ان يشبه ذلك الـــمـــلك الضعيف , فهو موجود في كل مكان , في قلوبكم واقرب اليكم من انفسكم , علاوة على ذلك فـــهـــو لاشبيه له ولا مثيل لكي يعكس وجوده فتعبدوه , فالاصنام وجميع المخلوقات الاخرى مثلكم مخلوقة وتابعة ومحتاجة الى وجوده عز وجل .
ويـــمـــكـــن ان تكون جملة (ان اللّه يعلم وانتم لا تعلمون) اشارة وتنبيها الى انكم لاتعلمون كنه ذاته وصفاته , وضرب الامثلة له ينبع من جهلكم هذا , فاللّه تعالى يحذركم من ترديد هذا الكلام .
ومن هنا يتضح ان ماورد في الاية ٣٥ من سورة النور (اللّه نور السمـــوات والارض) او الاية ١٦ من سورة ق (وهو اقرب اليكم من حبل الوريد) لايتنافى ابدا مع عدم وجود مثل له سبحانه , وذلك لان الـــمـــراد هـــو نـــفـــي وجود مثل اومثال حقيقي له , فهذه جميعا امثلة مجازية انتقيت لتقريب تلك الحقيقة , التي لامثيل لها , في الاذهان .
لـــذا فقد قال تعالى في ذيل نفس هذه الاية (٣٥ ــ النور) : (ويضرب اللّه الامثـــال للنـــاس) ليدركوا الحقائق طبعا.
وفي الاية الرابعة من بحثنا وهي الاية الاخيرة من سورة التوحيد , نفى سبحانه وجود اي شبيه او مثيل او نظير او كفؤ له حيث قال : (ولم يكن له كفواحد).
نفى اللّه تعالى عن ذاته انواع الكثرة بقوله : (احد) , ونفى النقص والمغلوبية بلفظ (الصمد) , ونفى المعلولية والعلية بـــ (لم يلد ولم يولد) , ونفى الاضداد والانداد بقوله : (ولم يكن له كفوا احد).
وبـــهذا فقد نفى سبحانه عن ذاته المقدسة جميع صفات المخلوقات وعوارض الموجودات المختلفة واي لون من المحدودية والنقص والتغيروالتحول , التي هي من عوارض الممكنات .
ولقد جا في تفسير الفخر الرازي بان الاية الاولى من سورة التوحيدنفى بهااللّه تعالى عن ذاته

انواع الــكثرة بقوله : (قل هو اللّه احد) , ونفت كلمة (صمد) النقص والمغلوبية , و : (لم يلد ولم يولد) الــمــعلولية والعلية , (ولم يكن له كفوا احد) الاضداد والامثال عن ذاته المقدسة , وذلك لان الكفؤ بمعنى النظير ويمكن ان تشمل كلا المعنيين (المثل والضد) ((٣)) .

ويقول ايضا : بان الاية التي هي محل بحثنا تبطل مذهب المشركين حيث يزعمون بان الاصنام اكفا له وشــركــا , فــي الــوقت الذي نفت الايات التي سبقتها مذهب اليهود والنصارى الذين جعلوا له ولدا , ومذهب المجوس الذين كانوا يعتقدون بالهين (اله النور واله الظلام) ((٤)) .

وفــي الايــة الــخــامسة نواجه تعبيرا جديدا في هذا المجال , حيث قال تعالى : (سبحــان اللّه عمــا يصفون).

وبــالــرغم من ان هذه الجملة التي وردت بتفاوت مختصر في ستة آيات من القرآن الكريم ((٥)) تــنــفــي الولد والصاحبة للّه تعالى او تنفي الكفؤ والنضير من الاصنام ــ بقريته الايات التي سبقتهاــ, لــكــنها في الواقع تحتوي على معنى عميق يشمل كل الوان التوصيف , لان التوصيف الذي يصدر منا عــادة يــكــون شبيها لمافي المخلوقات والممكنات , وآخر مايمكن ان نصفه به سبحانه هو ان نقول :(اللّه اكــبــر مــن ان يوصف) واعلى من الخيال والقياس والظن والوهم , واعظم ممارانا وسمعنا وقرانا وكتبنا , اجل انه منزه عن الوصف .

ولــو جــئنا الى الاية السادسة من بحثنا نلاحظ تعبيرا جديدا في هذاالمجال ايضا حيث يقول : (مــا قدروا اللّه حق قدره) اي المشركون .

لانهم قد قاسوه بمخلوقاته وجعلوا له شريكا وكفؤا في حين انه ليس له كفؤا احد.

ومــن ســواه ضــعيف ومغلوب ونقل بعض المفسرين بان هذه الاية نزلت بخصوص جماعة من اليهود الــذيــن كــانوا يقولون بان اللّه عندما فرغ من خلق السموات والارضين تعب واستراح فنزلت هذه الاية وخطاتهم لانهم لم يعرفوا اللّه عزوجل وشبهوه بمخلوقاته .

ومع ان الاية اعلاه تنفي كلام المشركين (عبدة الاوثان) الا انها ذات مفهوم عميق وواضح , لذا فان الامام الصادق (ع) قال : ((ان اللّه لايوصف وكيف يوصف وقد قال في كتابه : (ان اللّه لقوي عزيز) فلا يوصف بقدر الا كان اعظم من ذلك)) ((٦)) .

وكذلك فقد ورد في الخطبة (٩١) من نهج البلاغة :.

((كذب العــادلون بك , اذ شبهوك باصنــامهم , ونحلوك حلية المخلوقين باوهــامهم وجزاوك تجزئة المجسمــات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم)) ((٧)) .

وفــي الايــة الــســابــعة والاخيرة من بحثنا , نلاحظ انه تعالى قال ضمن اشارته الى حال المجرمين والــمــذنبين يوم القيامة ومثولهم في محكمة العدل الالهية الكبيرة : (يعلم مــا بين ايديهم ومــا خلفهم ولا يحيطون به علما).

ذكــر فــي تــفسير هذه الاية عدا ماذكرناه اعلاه احتمالات اخرى من جملتهاهي انها تعني بان اللّه عــلــيم باعمالهم وجزائهم , لكنهم ليس لهم علم واطلاع كامل لا على اعمالهم ولا على

جزائها وما اكثر ماتناسوه منها لكن التفسير الاول اقرب ــ حسب نظرنا.

وعـــلـــيـــه فان هذه الاية تقول : بان البشر عاجزون عن الاحاطة العلمية بكنه ذاته المقدسة او بكنه صفاته , وذلك لانه اعلى واعظم من ظنوننا وعقولنا ,فكيف يمكن ان تحيط به الخلائق , في حين ان هذه الاحاطة تستلزم محدوديته تعالى وهو منزه عن كل انواعها نتيجة البحث :.

يتبين مما ورد في الايات اعلاه بان اوصاف رب العالمين ليس لها ادنى شبه باوصاف المخلوقين , وان اي لون من قياسه بمن سواه يؤدي الى الضياع والضلال والسقوط في هاوية التشبيه .

فهو ليس كمثله شي .

وليس له كفؤ او نظير.

ولا يسعه وصف .

ولا يستطيع احد ان يحيط به علما.

وعليه يجب رعاية الاحتياط التام عند سلوك طريق معرفة صفاته .

اجـــل فان كنه وحقيقة صفاته لاتتجلى لاحد , وما يمكن ان يحصل عليه البشر هو العلم الاجمالي بها بـــشرط نفي المحدوديات الموجودة في صفات المخلوقين عنه , وصياغة مفهوم جديد في قالب هذه الالفاظ.

ونختم الكلام بحديث منقول عن امير المؤمنين علي (ع) ورد في تفسيرالاية الاخيرة :.

ســـال رجـــل امـــيـــر الـــمـــؤمنين (ع) عن تفسير هذه الاية فاجابه (ع) : ((لا يحيطالخـــلائق باللّه عزوجل علما اذ هو تبـــارك وتعـــالى جعل على ابصـــار القلوب الغطـــا , فلا فهم ينـــاله بالكيف , ولا قلب يثبته بالحدود , فلا تصفه الا لمـــا وصف نفسه , ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير)).

توضيحات :.

١ ــ.

لاتشبيه ولا تعطيل :. لقد سلكت كل جماعة طريقا خاصا في بحث صفات اللّه الذي يعد من اعقد واصعب مباحث معرفة اللّه فوقعوا في ورطة الافراط والتفريط.

فـــالـــبـــعض قد توغلوا في دوامة التعطيل الى درجة انهم قالوا : اننا لانفهم شيئا من صفات اللّه تعالى ســـوى تـــلـــك الـــمفاهيم السلبية , فمثلا عندما نقول بان اللّه عالم فاننا نفهم من ذلك نفي الجهل عنه , وعندما نقول بانه قادر فانانفهم منه نزاهته عن العجز , اما ماهية علم اللّه وقدرته فاننا لانفهم عنها شيئا على الاطلاق وهذه العقيدة تدعى بعقيدة التعطيل (اي تعطيل معرفة الصفات).

ومن جهة اخرى فقد توغل آخرون في دوامة التشبيه لدرجة بحيث لم يكتفوا فقط بوصف اللّه

تعالى بـصـفـات الـمـاهيات الممكنة فقط , بل جسموه وذكروا له يدا ورجلا ووجها وما شاكل ذلك فقد اوجـدوا فـي مـخـيـلـتـهـم الـهاكالانسان بالضبط بجميع صفاته الظاهرية والباطنية , الها يمكن رؤيـتـه ومـشاهدته , وله مكان محدود وتعترضه حالات مختلفة الشرك .

ومـن اجـل ان نـعـلم الى اية درجة سقطت هذه الجماعة في هاوية الكفروالشرك , يكفي ان نسمع المقالة المعروفة للمحقق الدواني بخصوص المشبهة ,حيث قال :.

اعتقد جماعة منهم بان للّه جسما حقا , وهؤلا بذاتهم ينقسمون الى عدة فئات , فئة تقول : ان جسمه مركب من لحم ودم , وقالت فئة : بانه ــ تعالى ــ نورلامع كسبيكة الفضة البيضا اشبار من اشباره وقـالت جماعة اخرى : بانه يشبه الانسان , وهم ينقسمون الى عدة فئات , فئة اعتقدت بانه فتى في ريعان شبابه لم ينبت الشعر في وجهه بعد ,وشعر راسه مجعد قصير : والفئة الاخرى اعتقدت بانه رجل كهل ذو لحية بيضاسودا وغيرها من قبيل هذه الخرافات ((٨)) .

ومـمـا يفهم من الايات القرآنية , فان كلا المعتقدين ــ التعطيل والتشبيه ــباطلان , لان القرآن دعا الـنـاس الى معرفة اللّه من جهة , وعرف ذاته وصفاته المقدسة في العديد من الايات الشريفة مما يدل على امكانية معرفة اللّه الاجمالية وبطلان معتقد التعطيل .

ومـن جـهـة اخـرى فقد نزه القرآن الذات المقدسة من اي شبيه ومثل ونظيروكف , مما يدل على بطلان معتقد التشبيه ايضا.

وعـلـيـه فـالـحـق هـو ذلك الطريق الدقيق الواقع بين هذين الاثنين والذي يقول : بان معرفة اللّه الاجمالية ليست ممكنة فقط بل لازمة ايضا , اما معرفة اللّه التفصيلية , اي التوصل الى حقيقة وكنه الصفات والذات الالهية المقدسة ,الاحاطة العلمية بها , فهي غير ممكنة .

٢ ــ.

لم لايصل العقل الى كنه ذاته وصفاته ؟. لقد اشرنا الى الجواب عن ذلك سابقا , ونذكره هنا بشي من التفصيل فنقول : ان النقطة الاساسية في نزاهة الذات الالهية المقدسة عن المحدودية من جهة , ومحدودية عقولنا وعلومنا من جهة اخرى .

فـاللّه عـز وجـل وجود لا نهاية له من جميع الجهات (كما اثبتنا ذلك في البحوث السابقة) , فذاته كـصـفـاته غير محدودة وغير متناهية , ومن جهة اخرى فنحن محدودون , وجميع مايتعلق بنا من علمنا وقدرتنا وحياتنا والمكان والزمان الذي نعيش فيه , محدود ايضا.

وعـلـى هـذا فـكيف يمكننا مع هذه المحدودية ان نحيط بذلك الوجوداللامحدود وصفاته ؟ وكيف يستطيع علمنا المحدود ان يخبر عن ذلك الوجوداللامحدود ؟.

اجـل , انه بامكاننا في عالم الفكر والتفكر ان نلمح شبحا من بعيد , ونشيراجمالا الى ذاته وصفاته , امـا الوصول الى كنه ذاته وصفاته , اي الاحاطة التفصيلية به , فهي غير ممكنة

بالنسبة لنا ــ هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى فان الوجود اللامتناهي ليس له مثيل او نظير من كل ناحية , وفرد لا كفؤ له , فلو كان له كفؤ او نظير لكان كلاهما محدودين (وردتفسير هذا المعنى بصورة كاملة في ابحاث التوحيد في المجلد الثالث من هذاالتفسير) ((٩)) .

فكيف يمكننا ان ندرك وجودا لانعرف له كفؤا ولانظيرا له ابدا ؟ , وكل ماتراه من الممكنات هو غيره , وصفاته تتفاوت تماما عن صفات واجب الوجود ((١٠)) .

نحن لا نقول باننا نجهل اصل وجوده ــ سبحانه ــ ولانعرف شيئا عن علمه وقدرته وارادته وحياته , بل نقول بان لدينا معرفة اجمالية عن جميع هذه الامورولا يمكننا ان ندرك كنهها وعمقها بتاتا , وحارت عقول جميع عقلا وحكماالعالم ــ دون استثنا ــ في هذا الطريق.

٣ ــ.

النهي عن التشبيه في الروايات الاسلامية . بما ان منحدر التشبيه الخطر يواجه جميع السائرين في طريق معرفة اللّه ,فاننا نجد تحذيرات كثيرة وردت في الروايات الاسلامية في هذا المجال مع العلم ان كنوزا وفيرة من العلم والحكمة والارشادات الدقيقة وردت في الاحاديث الشريفة المروية عن اهل البيت (ع) بهذا الصدد , وكنموذج منها ننقل عدة روايات من الكافي :.

١ ــ قال امير المؤمنين في خطبة الاشباح :.

((واشهد ان من ساواك بشئ من خلقك فقد عدل بك , والعادل بك كافربما تنزلت به محكمات آياتك , ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك , وانك انت اللّه الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا , ولا في روايات خواطرها فتكون محدودا مصرفا)).

٢ ــ ورد في الحديث الشريف عن الامام علي بن موسى الرضا(ع) في هذاالمجال توضيح جميل في جوابه لاحد المحدثين باسم (ابو قره) عند سؤاله عن التوحيد , حيث قال ابو قرة للامام : (انا رويناان اللّه عزوجل قسم الرؤية والكلام بين اثنين فقسم لموسى (ع) الكلام ولمحمد (ص) الرؤية , فقال ابوالحسن (ع) : فمن المبلغ عن اللّه عز وجل الى الثقلين الجن والانس (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) (ولا يحيطون به علما) (وليس كمثله شي)اليس محمدا (ص) ؟ قال : بلى قال : فكيف يجي رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جا من عند اللّه وانه يدعوهم الى اللّه بامر اللّه ويقول : (لا تدركه الابصار وهويدرك الابصار) (ولا يحيطون به علما) (وليس كمثله شي) ثم يقول : انا رايته بعيني , واحطت به علما وهو على صورة البشر , اما تستحيون , ماقدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون ياتي عن اللّه بشي , ثم ياتي بخلافه من وجه آخر قال ابو قرة : فانه يقول : (ولقد رآه نزلة اخرى) فقال ابو الحسن (ع) : ان بعدهذه الاية ما يدل

عـلـــى مارای , حيث قال : (ما كذب الفؤاد مارای) يقول ما كذب فؤاد محمد (ص) ما رات عيناه , ثم اخبر بما رای فقال : لقد رای من آيات ربه الكبرى , فيات اللّه عز وجل غير اللّه : وقد قال : (ولا يـحـيـطـون بـه عـلما) , فاذا راته الابصار فقد احاطت به العلم ووقعت المعرفة , فقال ابو قرة : فـتـكـذب بالروايات ؟ فقال ابو الحسن (ع) : اذا كانت الروايات مخالفة للقران كذبت بها ومااجمع المسلمون عليه انه لايحاط به علم لاتدركه الابصار , وليس كمثله شي ((١١)) .

٣ ــ وفـي هـذا المحتوى ورد عن الامام الصادق (ع) : ((ان اللّه عظيم رفيع لايقدر العبـاد على صفته ولا يبلغون كنه عظمته , لا تدركه الابصـار وهو يدرك الابصـار وهو اللطيف الخبير)).

٤ ــ.

هل ان اسما اللّه توقيفية ؟. اشـرنـا سابقا الى ان اسما اللّه سبحانه وتعالى تحكي عن صفاته , وكما ان صفات اللّه لا متناهية فان اسـماه غير متناهية ايضا , الا انه يستنتج من روايات كثيرة بانه لايحق لاحد ان يسمي ربه ويصفه بشي الا ماورد في الكتاب والسنة (الاحاديث المعتبرة) , وسبب ذلك هو ماذكرناه في بحوثنا السابقة , وهو ان الكثير من الاسما والاوصاف ممزوجة بمفاهيم تحكي عن نقائص المخلوقات ومحدوديتهم , واطلاق هذه الاسما على اللّه يبعدنا عن معرفته ويلقي بنا في هاوية الشرك .

لذا فقد اشتهر بين العلما بان (اسما اللّه توقيفية) اي لا يجوز اطلاق اسم عليه دون اجازة شرعية , لـذا فـهـم لايـجوزون دعوته باسما من قبيل , ((العاقل)) ,((الفقيه)) , ((الطبيب)) , ((السخي)) , وذلك لانها لم تزد في الايات والروايات المعتبرة ((١٢)) .

يـقـول المفسر المرحوم العلامة الطبرسي حول تفسير ذيل الاية ١٨٠ من سورة الاعراف : ((تدل هذه الاية على انه لايجوز لنا ان ندعو اللّه سوى بالاسماالتي انتخبها لنفسه فقط)) ((١٣)) .

ولذلك ايضا قال العلامة المجلسي (قدس سره) : (لايسمى اللّه بالسخي بل يسمى بالجواد) , وذلك لان الـسـخـاوة في الاساس بمعنى الليونة , وهذه الكلمة (السخا) تطلق على الاسخيا من حيث انهم يـلـيـنـون ازا عرض الحوائج عليهم (والليونة والخشونة لامعنى لهما بخصوص اللّه , بل هي من صفات المخلوقات) ((١٤)) .

امـا الـمرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير (الميزان) فانه لايرى دليلا في القرآن وفن التفسير عـلى كون اسما اللّه توقيفية , والاية (١٨٠) من سورة الاعراف : (وللّه الاسمـا الحسنى) لا تدل عـلـى هذا المعنى , ولكنه (قدس سره) لم يبد رايا فقهيا في هذا المجال وارجعه الى الفقه , فاضاف قائلا :.

((الاحـتـيـاط يـقتضي بالاقتصار على الاسما التي وردت في الكتاب والسنة في مجال تسمية

اللّه سبحانه ولكن اذا كان القصد مجرد توصيف واطلاق لفظي دون تسمية فلا باس)) ((١٥)).
اما المرحوم الكليني في المجلد الاول من اصول الكافي , فقد نقل روايات عديدة في باب ((النهي عن الصفة بغير ماوصف به نفسه تعالى)) يستنتج منها بان اسما اللّه توقيفية .
من جملتها ماورد عن الامام موسى بن جعفر (ع) قال : ((ان اللّه اعلى واجل واعظم من ان يبلغ كنه صفته , فصفوه بمـــا وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك)) ((١٦)) .
وورد في حديث آخر عن الامام ابي الحسن (ع) في جوابه للمفضل عندماساله عن بعض صفات اللّه قال (ع) : ((لاتجاوز ما في القرآن)) ((١٧)) وكذلك في الحديث الذي كتبه الامام الصادق (ع) لبعض اصحابه (فاعلم رحمك اللّه ــ ان المذهب الصحيح في التوحيد مانزل به القرآن من صفات اللّه عز وجل فانف عن اللّه تعالى البطلان والتشبيه , فلا نفي ولاتشبيه , هو اللّه الثابت الموجود تعالى اللّه عمايصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان ((١٨)).
يـــستـــنـــتـــج مـــن هذه الروايات وامثالها بان تسمية اللّه بغير ماورد في الكتاب والسنة فيه اشكال , واســـتـــعمال اصل البراة لاثبات جواز تسمية اللّه باسمااخرى لايخلو من الاشكال ايضا , فالاحوط عدم استعمال اوصاف واسمااخرى غير الاوصاف والاسما الثابتة في الشريعة المقدسة .
ويـــستدل احيانا ببعض الايات القرآنية ايضا وثبات كون اسما اللّه توقيفية , كما ورد في قصة نوح (ع) عـــنـــدمـــا خاطب سبحانه وتعالى المشركين حيث قال : (اتجـــادلونني في اسما سميتموهـــا انتم وآبـــائكم ما نزل اللّه بهـــا من سلطـــان).
وكذلك قال في قصة نوح : (مـــا تعبدون من دونه الا اسمـــا سميتموهـــا انتم وآبـــائكم مـــا انزل اللّه بهـــا من سلطـــان).
ولـــكن دلالة هذه الايات على المقصود لاتخلو من سقم , لان المراد منهانفي الشرك وعبادة الاصنام وتسمية الاصنام بالالهة , فهي لا تدل على ان اسماللّه توقيفية ولايجوز تعديها.
وقد استدلوا ايضا بان التسمية فرع من المعرفة , والمعرفة فرع من الادراك وبما اننا لاندرك كنه ذاته وصفاته المقدسة , فان الطريق الوحيد لتسمية ذاته المقدسة هو اللّه سبحانه , وخلفائه .
ونـــخـــتم هذا البحث بمجموعة من الابيات الشعرية التي وردت على شكل ارجوزة في كتاب معارف الائمة في هذا المجال حيث يقول :.
والوقف مشهور لدى الاصحاب ـــــــــــ والفعل يستحسنه في الباب .

فانما التوصيف فرع المعرفة ـــــــــ والحق في العرفان ماقد وصفه .
ودونه لايصدق التنزيه ـــــــــ بل جرئة لايومن التشبيه .
ويلزم القول بغير العلم ـــــــــ مع فقد سلطان عليه علمي ((١٩)) .
ا سما اللّه الحسنى والاسم الاعظم . تمهيد :.
يـــلاحظ في الايات القرآنية والروايات الاسلامية تعبير تحت عنوان ((الاسما الحسنى)) , وهذا الـــعـــنوان جا في القرآن بشكل مبهم لكنه ورد في الروايات بشكل مفصل , وهذه الاسما تدل باجمعها عـــلـــى صفاته , ونظرا لكون جميع اسمائه وصفاته حسنى , فان انتخاب هذا العنوان يدل على امتياز هذه الاسما.
ولـــكن من اين تنبع هذه الخصوصية ؟ هذا ماسنوضحه بعد تفسير الايات والروايات التي وردت في هذا المجال , فلنتوجه الان الى القرآن ونصغي خاشعين الى الايات القرآنية الكريمة:.
١ ــ (وللّه الاسمـــا الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمـــائه) (الاعراف / ١٨٠).
٢ ــ (قل ادعوا اللّه او ادعوا الرحمـــن ايا مـــا تدعوا فله الاسمـــاالحسنى) (الاسرا / ١١٠).
٣ ــ (اللّه لا الـــه الا هو له الاسمـــا الحسنى) (طه / ٨).
٤ ــ (هو اللّه الخالق البارئ المصور له الاسمـــا الحسنى) (الحشر / ٢٤).
جمع الايات وتفسيرها :.
اسما اللّه الخاصة :. لـــقـــد تقدم تفسير الاية الاولى في البحث السابق , وخلاصته انها حذرت الناس من تحريف اسما اللّه حيث تقول : (وللّه الاسمـــا الحسنى فادعوه بها وذرواالذين يلحدون في اسمـــائه).
واشارت الاية الثانية ايضا الى تعلل المشركين الذين كانوا ويشكلون على رسول اللّه في تسميته للّه تعالى باسما متعددة وخاصة اسم الرحمن الذي كان غير مالوف عند العرب المشركين آنذاك , مع انه كـــان يـــدعوهم للتوحيد فالاية تقول : (قل ادعوا اللّه او ادعوا الرحمـــن ايا مـــا تدعوا فله الاسمـــا الحسنى).
وصـــفت الاية الثالثة الباري بالخالقية والمالكية وتدبير عالم الوجود والعلم والاطلاع على الظاهر والباطن , حيث قالت : (اللّه لا الـــه الا هو له الاسمـــاالحسنى).
اجـــل فـــهـــو سبحانه بامتلاكه هذه الاسما والصفات الحسنى والمنقطعة النظير يليق لمقام الالوهية والربوبية ولا احد يليق لذلك سواه .
واخـــيـــرا فـــقـــد وصفت الاية الرابعة والاخيرة ــ من بحثنا ــ رب العالمين باوصاف متعددة , بعد ان وصـــفـــتـــه الايـــات التي سبقتها باكثر من عشرة اوصاف ,فقال : (هو اللّه الخالق البارئ المصور له الاسمـــا الحسنى).

وبعد ذلك وصفته باوصاف مهمة اخرى بلغ مجموعها ثمان عشرة صفة .

يـــســـتـــنـــتج من مجموع هذه الايات ان الاسما الحسنى كناية عن صفات الجمال والجلال الخاصة به ســبحانه , والتي تعبر كل واحدة منها عن كمال متميزاو تنفي عنه سبحانه نقصا معينا , وهي ليست تـــســـمـــية بسيطة وعادية , وقدانعكست هذه الاسما والصفات في مختلف الايات القرآنية وصارت محل اعتماد.

ولـــنـــنـــطلق الان لبحث هذا الموضوع ونرى ماهي الاسما الحسنى ؟ هل هي محدودة عدديا ؟ وان كانت كذلك فكم عددها ؟.

التوضيحات :.

١ ــ.

ماهي حقيقة الاسما الحسنى ؟. وكـــمـــا اشرنا سابقاالى ان جميع اسما اللّه حسنى , لذا فان هذا التعبيريشمل جميع الاسما الالهية , وكـــمـــا ورد في سبب نزول الاية الثانية من بحثناهذا (الاية ١١٠ من سورة الاسرا) , فقد نقل بانها نـــزلت عندما سمع المشركون رسول اللّه يقول : ياللّه يارحمن معبودين لكنه انتخب لنفسه معبودا آخر فنزلت هذه الاية في تلك اللحظة ودحضت ظن التعدد هذا , وقالت : بان هذه اسما حسنى مختلفة تشير باجمعها الى الذات الالهية المقدسة الواحدة .

لـــذا فـــان هـــذه الاسما باجمعها تعبيرات مختلفة تحكي عن الكمالات اللامتناهية لتلك الذات المقدسة الواحدة وقد عبر عنها الشاعر بقوله :.

عباراتنا شتى وحسنك واحد ـــــــــــ وكل الى ذاك الجمال يشير.

يـــســـتنتج من العبارات التي وردت في آيات القرآن الكريم ان جميع اسمائه هي مفردات من اسمائه الحسنى : (وللّه الاسمـــا الحسنى فادعوه بها) ,(الاية الاولى من بحثنا).

والـــدليل على ذلك واضح ايضا , لان اسماه ((عز وجل)) اما تعبر عن كمال ذاته (كالعالم والقادر) او عن نزاهة تلك الذات الاحدية عن اي لون من النقص (كالقدوس) او تحكي عن افعاله التي تعكس فيض الوجود من جهات مختلفة (كالرحمن والرحيم والخالق والمدبر والرازق).

وتعبير الايات اعلاه , الذي يدل على الحصر , يبين بان الاسما الحسنى خاصة به تعالى , لان اسمائه تـــعـــبـــر عـــن كـــمالاته , وكما نعلم فان واجب الوجودهو عين الكمال والكمال المطلق , لذا فالكمال الحقيقي من شانه وخاص به وكل ماسواه ممكن الوجود ومحض الحاجة والفقر.

وهـــنـــا يـــتبادر الى الذهن السؤال التالي , وهو : ان الروايات الشريفة ذكرت ـــكما سنشير اليه في الـــبـــحث القادم ــ عددا معينا للاسما الحسنى , مما يشير الى ان تعبير الاسما الحسنى

لايشمل جميع الاسما الالهية , بل يشمل قسمامنها , فما معنى ذلك ؟.
فـــي الاجـــابـــة عـــلى هذا السؤال نستطيع القول ان السبب في ذكر عدد معين من الاسما والصفات قد يـــكـــون لبيان اهميتها لا انحصارها , مضافا الى ان الكثيرمن الاسما الالهية كما سيتضح في البحوث المقبلة تشبه الاغصان الاصلية الرئيسة , والبقية تتشعب منها , فمثلا نلاحظ ان (الرازق) فرع من صفة الرب (اي المالك والمدبر).
وهكذا حال بقية الاوصاف من قبيل (المحيي والمميت).
وبـــعـــيد جدا ان تكون الاسما الحسنى ذات مفهوم خاص في الشرع (اي لها حقيقة شرعية) , بل هي اصطلاح لغوي يشمل جميع الاسما والاوصاف الالهية .
وتـــعـــبير القرآن الكريم بـــ:(وللّه الاسمـــا الحسنى فادعوه بها) هو دعوة ــ في الحقيقة ــ الى ترك الالحاد وتحريف هذه الاسما كتسمية الاصنام باسما اللّه ,او دعوة الى اجتناب تسمية اللّه بالاسما ذات الـــمـــفاهيم الممزوجة بالنقائص والخاصة بالمخلوقات او هو اشارة الى عدم تنافي تعدد الاسما الحسنى مع وحدانية ذاته المقدسة ابدا , لان تعدد الاسما ناجم عن قصر نظرتنا لادراك ذلك الكمال الـــمـــطـــلق فاحيانا ننظر من زاوية اطلاعه على كل شي فنسميه (بالعالم) واحيانا اخرى ننظر من زاوية قدرته على كل شي فنسميه (بالقادر).
وعـــلـــى اي حـــال فان جميع القرائن تدل على ان جميع الاسما الالهية المقدسة حسنى بالرغم من ان بعضها ذات اهمية خاصة .
٢ ــ.
عدد الاسما الحسنى وتفسيرها :. ذكرت روايات عديدة منقولة عن اهل البيت (ع) واهل السنة ان عددالاسما الحسنى تسع وتسعون اسما , ومن جملة هذه الروايات رواية مشهورة عن النبي (ص) انه قال : (ان له تسعا وتسعين اسما مائة الا واحدا ــ من احصاهادخل الجنة , انه وتر يحب الوتر) ((٢٠)) .
وفـــي رواية اخرى منقولة في توحيد الصدوق بنفس هذا المضمون (مع اختلاف طفيف) , عن علي (ع) ((ان رســـول اللّه (ص) قال : (وهي اللّه , الالـــه ,الواحد , الاحد , الصمد , الاول , الاخر , الـــســـمـــيع , القدير , القاهر , العلي , الاعلى ,الباقي , البديع , البارئ , الاكرم , الظاهر , الباطن , الـــحـــي , الـــحكيم , العليم , الحليم ,الحفيظ , الحق , الحسيب , الحميد, الحفي , الرب , الرحمـــن , الـــرحـــيـــم , الذارئ ,الرزاق , الرقيب , الرؤوف , الرائي , السلام , المؤمن , المهيمن , العزيز , الـــجـــبـــار ,المتكبر , السيد , السبوح , الشهيد , الصادق , الصانع , الطاهر , العدل , العفو ,الغفور , الغني , الغياث , الفاطر , الفرد , الفتاح , الفالق , القديم , الملك , القدوس ,القوي , القريب , القويم , القابض , الباسط , قاضي الحاجات , المجيد , المولى ,المنان , المحيط , المبين , المقيت ,المصور , الـــكـــريـــم , الـــكبير , الكافي , كاشف الضر , الوتر , النور , الوهاب , الناصر , الواسع , الودود ,

الـــهـــادي , الـــواقي , الوكيل ,الوارث , البر , الباعث , التواب , الجليل , الجواد , الخبير , الخالق , خير الناصرين ,الديان , الشكور , العظيم , اللطيف , الشافي)) ((٢١)) .

والـــجدير بالذكر هو ان احصا وعد الاسما الحسنى وتلفظها باللسان لايعني ان يكون سببا في دخول الجنة بدون حساب , بل بمعنى معرفة محتوى هذه الاسما والايمان بها فلابد ان يعرف الانسان اللّه بـــهـــذه الـــصـــفات الالهية ,فضلا عن التخلق بها , اي ان يشع في وجوده شعاع من علم اللّه وقدرته ورحمته ورافته وغيرها من الصفات , لان التخلق بهذه الصفات الكمالية يلازم الايمان بها.

وفي رواية اخرى في توحيد الصدوق عن الامام علي بن موسى الرضا(ع) عن آبائه عن علي بن ابي طـــالـــب (ع) انه قال : قال رسول اللّه (ص) : ((للّه عزوجل تسع وتسعون اسما , من دعا اللّه بها استجاب له , ومن احصاها دخل الجنة)).

يـــقـــول المرحوم الصدوق بعد ذكر هذه الرواية : ((المقصود من احصائها هوالاحاطة بها ومعرفة معانيها لا عدها ((٢٢)) .

والـــجدير بالذكر ان بعض الروايات ذكرت الاسما الحسنى باكثر من هذاالعدد , حتى ان في بعض الادعـــيـــة كدعا الجوشن الكبير قد بلغت الاسماالمقدسة المذكورة فيها الالف , ولا تنافي بين هذه الروايات , لانه كما ذكرنا بان التسع والتسعين المذكورة تشير الى الاسما والصفات الاكثر اهمية وخـــصوصية وذكر المرحوم الصدوق ((ره)) في كتاب ((التوحيد)) شرحا مفصلا حول تفسير هـــذه الاســـمـــا التسعة والتسعين , نذكرها هنا بصورة مختصرة لتكملة هذاالبحث وزيادة المعرفة بحقيقة هذه الاسما والصفات :.

١ ــ ٢ : ((اللّه والـــه)): اي (الجامع لجميع الكمالات) , وهو المستحق للعبادة ,الذي لاتليق العبادة الا له .

٣ ــ ٤ : ((الواحد الاحد)):انه واحد في ذاته ليس بذي ابعاض ولا اجزا ولااعضا ولا نظير له , فلا يشاركه في معنى الوحدانية غيره .

٥ : ((الصمد)): السيد والمصمود اليه في الهوائج اي المقصود اليه , الغني عن الجميع .

٦ ــ ٧ : ((الاول والاخـــر)): انـــه الاول بـــغـــيـــر ابتدا والاخر بغير انتها , وبعبارة اخرى الذات الازلية والابدية .

٨ : ((السميع)): اي اذا وجد المسموع كان له سامعا , او المحيط بجميع المسموعات .

٩ : ((البصير)): اي اذا كانت المبصرات كان لها مبصرا , او المحيط بجميع المبصرات .

١٠ : ((القدير)): معناه ان الاشيا لا تطيق الا متناع منه , فهو القادر على كل شي .

١١ : ((القاهر)): القادر على ما لم يوجد , واقتداره على ايجاده هو قهره وملكه له ة .

١٢ : ((العلي)): ذو العلى والعلا والتعالي .

١٣ : ((الاعلى)): معناه العلي والقاهر , او الافضل من كل شي .

١٤ : ((الباقي)): الذي لايعرف الفنا.

١٥ : ((البديع)): اي مبدع البدائع ومحدث الاشيا من غير مثال واحتذا.

١٦ : ((الباري)): باري البرايا اي خالق الخلائق .

١٧ : ((الاكرم)): بمعنى اكرم الكرما.

١٨ : ((الظاهر)): وهو الظاهر بياته التي اظهرها من شواهد قدرته وآثارحكمته وبينات حجته.

١٩ : ((الباطن)): الذي قد بطن عن الاوهام , اي احتجب عن الاوهام والافكار.

٢٠ : ((الحي)): معناه انه الفعال المدبر.

٢١ : ((الحكيم)): العالم الذي تكون افعاله محكمة خالية من الفساد.

٢٢ : ((الـعـلـيم)): العليم بنفسه , العالم بالسرائر المطلع على الضمائر الذي لايخفى عليه خافية ولايعزب عنه مثقال ذرة .

٢٣ : ((الحليم)): الحليم عمن عصاه , اي لايعجل عليهم بعقوبته .

٢٤ : ((الحفيظ)):الذي يحفظ الاشيا ويصرف عنها البلا.

٢٥ : ((الحق)): معناه الثابت والمحق والمستحكم الذي له حقيقة .

٢٦ : ((الـحـسيب)): المحصي لكل شي العالم به الذي لايخفى عليه شي ,وكذلك المحاسب لعباده يحاسبهم باعمالهم ويجازيهم عليهاوالكافي ((واللّه حسبي وحسبك اي كافينا)).

٢٧ : ((الحميد)): وهو المحمود المستحق لكل حمد.

٢٨ : ((الحفي)): العالم ومعنى ثان انه اللطيف بالاخرين .

٢٩ : ((البرب)): اي المالك والمدبر والمصلح .

٣٠ : ((الرحمن)): معناه الواسع الرحمة على عباده يعمهم بالرزق والانعام عليهم .

٣١ : ((الرحيم)): معناه انه رحيم بالمؤمنين يخصهم برحمته .

٣٣ : ((الذاري)): الخالق يقال : ذرا اللّه الخلق وبراهم اي خلقهم .

٣٤ : ((الرقيب)): اي الحافظ ورقيب القوم حارسهم .

٣٥ : ((الرؤوف)): اي الرحيم , والرافة الرحمة .

٣٦ :((الرائي)): معناه العالم ومعنى ثان انه المبصر.

٣٧ :((السلام)): اي ان السلامة تنال من قبله .

٣٨ :((الـمـؤمـن)): الـمصدق ن واللّه مؤمن مصدق لما وعده ومحققه ومعنى ثان : انه محقق حقق وحـدانـيـته بياته عند خلقه وعرفهم حقيقته لماابدى من علاماته وابان من بيناته وعجائب تدبيره ولطائف تقديره ومعنى ثالث : انه آمنهم من الظلم والجور.

٣٩ : ((المهيمن)): الشاهد ومعنى ثان انه اسم مني من الامين .

٤٠ : ((الـجـبـار)): اي القاهر الذي لاينال , الذي تعجز الافكار عن بلوغ عظمته , والذي يصلح الامور بارادته النافذة .

٤١ : ((المتكبر)): ماخوذ من الكبريا , وهو اسم للتكبر والتعظم , فلا شي اكبر منه .

٤٢ : ((السيد)): معناه الملك وهو الملك الواجب الطاعة .

٤٣ : ((السبوح)): معناه تنزيها له عن كل مالا تبغي ان يوصف به ((٢٣)) .

٤٤ : ((الشهيد)): اي الشاهد بكل مكان صانعا ومدبرا.

٤٥ : ((الصادق)): معناه انه صادق في وعده لا يبخس ثواب من يفي بعهده .

٤٦ : ((الصانع)): معناه انه صانع كل مصنوع اي خالق كل مخلوق ومبدع جميع البدائع .

٤٧ : ((الظاهر)): وهو المتنزه عن الاشيا والاندداد والاضداد والامثال والحدود لان جميع ذلك محدث مخلوق وعاجز من جميع الجهات .

٤٨ : ((العدل)): العادل وهو الحاكم بالعدل والحق .

٤٩ : ((العفو)): مشتق من العفو , والعفو المحو كقوله تعالى : (عفا اللّه عنك لم اذنت لهم) اي محا اللّه عنك اذنك لهم , فهو تعالى يمحو ذنوب عباده .

٥٠ : ((الغفور)): اي الغافر والغفار واصله في اللغة التغطية والستر.

٥١ : ((الغني)): الغني بنفسه عن غيره وعن الاستعانة بالالات والادوات وغيرها.

٥٢ : ((الغياث)): معناه المغيث , سمي به توسعا لانه مصدر.

٥٣ : ((الفاطر)): الخالق فطر الخلق اي خلقهم وابتدا صنعة الاشياوابتدعها فهو فاطرها اي خالقها ومبدعها من العدم .

٥٤ : ((الفرد)): المتفرد بالربوبية والامر دون خلقه ومعنى ثان : انه موجودوحده لا موجود معه .

٥٥ : ((الفتاح)): الحاكم ومنه قوله عز وجل :(وانت خير الفاتحين) , كمايعني حلال المشاكل.

٥٦ : ((الفالق)): مشتق من الفلق وهو الشق , فلق الحب والنوى فانفلقا عن النبات , وفلق الارض فانفلقت عن كل ما اخرج منها , وفلق الظلام فانفلق عن الاصباح .

٥٧ : ((القديم)): وهو المتقدم للاشيا كلها بلا اول ولا نهاية .

٥٨ : ((الملك)): اي مالك الملك قد ملك كل شي , الحاكم على الكون .

٥٩ : ((القدوس)): الطاهر , والتقديس التطهير والتنزيه عن كل عيب .

٦٠ : ((القوي)): وهو القوي بلا معاناة ولا استعانة .

٦١ : ((القريب)): معناه المجيب فهو اقرب منا الى كل شي , يسمع كلامناويجيب دعانا.

٦٢ : ((القيوم)): اي القائم بذاته الذي يقوم به غيره .

٦٣ : ((القابض)): معناه الفاني لشي يقال للميت : قبضة اللّه اليه ومنه قوله عز وجل :(ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) فالشمس لا تقبض بالبراجم واللّه تبارك وتعالى قابضها ومطلقها فهو تعالى يقبض رزق شخص ويوسع رزق اخر حسب ما

تقتضيه المصلحة .

٦٤ : ((الـبـاسـط)): يقال القابض فهو المنعم المفضل , قد بسط على عباده فضله واحسانه واسبغ عليهم نعمه .

٦٥ : ((قاضي الحاجات)): معناه مشتق من القضا , ومعنى القضا من اللّه عز وجل على ثلاثة اوجه : فـوجـه مـنـهـا الـحـكم والالزام , والثاني الخبر والثالث الاتمام كقولك قضى اللّه حاجتي اي اتم حاجتي على ماسالته , وهنا يعني قضا حاجات الخلق .

٦٦ : ((المجيد)): اي الكريم العزيز , والمجيد في اللغة نيل الشرف .

٦٧ : ((المولى)): الناصر والمشرف .

٦٨ : ((المنان)): وهو المعطي المنعم .

٦٩ : ((المحيط)):المحيط بالاشيا عالم بها كلها.

٧٠ : ((المبين)): الظاهر , البين حكمته المظهر لها بما ابان من بيناته وآثارحكمته .

٧١ : ((المقيت)): اي المحافظ الرقيب .

٧٢ : ((المصور)): اسم مشتق من التصوير يصور الصور في الارحام كيف يشا.

٧٣ : ((الكريم)): العزيز ومعنى ثان انه الجواد المفضل .

٧٤ : ((الكبير)): معناه السيد ويقال لسيد القوم كبيرهم ن والكبريا اسم التكبر والعظمة .

٧٥ : ((الكافي)): اسم مشتق من الكفاية , وكل من توكل عليه كفاه ولا يلجئه الى غيره .

٧٦ : ((كاشف الضر)): المفرج , يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السؤ.

٧٧ : ((الوتر)): معناه الفرد وليس له نظير او مماثل .

٧٨ : ((النور)): معناه المنير , كقوله تعالى : (اللّه نور السموات والارض) اي منير لهم وآمرهم وهاديهم .

٧٩ : ((الوهاب)): من الهبة , يهب لعباده ما يشا ويمن عليهم بما يشا.

٨٠: ((الناصر)): النصير , والنصرة حسن المعونة .

٨١ : ((الواسع)): اي الغني والسعة الغنى , فهو الواسع الغني عن غيره .

٨٢ : ((الـودود)): مـعناه انه مودود ومحبوب , ويقال : بل فعول بمعنى فاعل كقولك : غفور بمعنى غافر اي يود عباده الصالحين ويحبهم والودوالوداد مصدر المودة .

٨٤ : ((الوفي)): معناه انه يفي بعهدهم ويوفي بعهده .

٨٥ : ((الوكيل)): المتولي اي القائم بحفظنا ومعنى ثان انه المعتمد والملجا.

٨٦ : ((الـوارث)): معناه ان كل من ملكه اللّه شيئا يموت ويبقى ما كان في ملكه ولا يملكه الا اللّه تبارك وتعالى .

٨٧ : ((الـبـر)): الصادق , يقال : برب يمين فلان اذا صدقت وابرها اللّه اي امضاها على الصدق , كما يعني المحسن الواهب .

٨٨ ((الباعث)): اي انه يبعث من في القبور ويحييهم وينشدهم للجزاومنهم الانبيا.

٨٩ : ((الـــتـــواب)): معناه انه يقبل التوبة ويعفو عن الحوبة اذا تاب منها العبد ,يقال : تاب العبد الى اللّه عز وجل فهو تائب اليه وتاب اللّه عليه اي قبل توبته فهو تواب عليه .

٩٠ : ((الـــجـــلـــيـــل)): السيد , يقال لسيد القوم جليلهم وعظيمهم ن وجل جلال اللّه فهو الجليل ذو الجلال والاكرام .

٩١ : ((الجواد)): المحسن المنعم الكثير الانعام والاحسان .

٩٢ : ((الخبير)): العالم , يقال لي به خبر اي علم , فهو المطلع على بواطن الامور.

٩٣ : ((الـــخـــالق)): الخلاق , والخلق في اللغة تقدير الشي , خلق الخلائق خلقا, وخليقة : الخلق , والجمع الخلائق .

٩٤ : ((خير الناصرين)): معناه ان فاعل الخير اذا كثر منه سمي خيرا توسعا ,فنصرته خالية عن العيب ولا حد لها.

٩٥ : ((الديان)): وهو الذي يدين العباد ويجزيهم باعمالهم , والدين الجزا.

٩٦ : ((الشكور)): معناه انه يشكر للعبد عمله وهو المحسن الى عباده المنعم عليه بافضل النعم .

٩٧ : ((الـــعـــظيم)): السيد ومعنى ثان : انه يوصف بالعظمة لغلبته على الاشياوقدرته عليها ومعنى ثالث : انه عظيم لان ما سواه كله له ذليل خاضع فهو عظيم السلطان .

٩٨ : ((اللطيف)): اي انه لطيف بعباده , بار بهم منعم عليهم ومعنى آخر انه لطيف في تدبيره وفعله .

٩٩ : ((الشافي)): معناه معروف وهو من الشفا ((٢٤)) .

كـــان هذا مجموع الاسما التسعة والتسعين المعبرة عنها في الروايات الاسلامية بالاسما الحسنى , لكنه وكما اشرنا سابقا فان تعبير الروايات حول هذا الموضوع ليس واحدا.

ونـــذكـــر مـــرة اخـــرى بـــان قسما من هذه الصفات تعبر عن كمالات الذات الالهية المقدسة (صفات الـــجمال) , وقسما آخر ينزه ذاته المقدسة عن اي نقص او عيب (صفات الجلال , وقسم كبير منها مشتقة من افعاله (صفات الفعل).

نـــضيف الى ذلك ان قسما من هذه الصفات متقاربة مع بعضها من حيث المعنى , على الرغم من التفاوت الظريف والدقيق الموجود بينها في الغالب .

٤ ـــ.

اي واحد منها اسم اللّه الاعظم ؟. تناسبا مع بحثنا حول الاسما الحسنى نتكلم حول الاسم الاعظم ايضا.

ورد فـــي روايـــات كـــثـــيـــرة موضوع ((اسم اللّه الاعظم)) , ويستنتج منها ان من دعا اللّه باسمه الاعـــظم استجاب له ولبى حاجته , لذا فقد ورد في ذيل بعض هذه الروايات : ((والذي

نفسي بيده لقد سئل اللّه باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطاه واذا دعي به اجاب)) ((٢٥))
وتعابير اخرى من هذا القبيل , وكذلك فقد ورد في الروايات بان (آصف بن برخيا) ــ وزير سليمان (ع) , الذي جا بــعرش بلقيس من اليمن الى الشام بلمحة بصر , كان يعرف الاسم الاعظم ((٢٦)) , وكذلك (بلعم بــن بــاعــورا) عــالــم وزاهد بني اسرائيل ــ الذي كان مستجاب الدعوة كان يعرف ــالاسم الاعظم ايضا ((٢٧)) .

وقــد نــقــل العلامة المجلسي روايات كثيرة حول الاسم الاعظم واي الاسما هو من بين اسما اللّه الحسنى يطول ذكرها هنا , مانقل عن الصادق (ع) انه قال : ((اسم اللّه الاعظم في سورة الحمد)).

وكذلك مانقل في بعض الروايات : عن الصادق (ع) انه قال :((بسم اللّه الرحمن الرحيم اقرب الى اسم اللّه الاعظم من سواد العين الى بياضها)).

وقــد ذكــرت الــروايات وآيات قرآنية اسما مقدسة اخرى من اسما اللّه ,والاسما , الحسنى يفوق بــعــضــها البعض الاخر من حيث المعنى , (ولزيادة الاطلاع راجع الجز الثالث والتسعين من كتاب بحار الانوار).

لكن محور البحث هنا يكمن في ان الاسم الاعظم هل هو كلمة , ام اسم جملة , ام آية قرآنية معينة ؟ وهــل هــذه الــتــاثيرات والقدرة الكامنة في الانماط غيرمقيدة بقيد معين ؟ ام ان تاثيرها ينبع من صياغتها اللفظية اضافة الى حالات وشروط خاصة بالشخص الذي يرفع يديه بالدعا من حيث التقوى والــطــهــارة ,وحضور القلب , والتوجه الخاص للّه , وقطع الامل عمن سواه , والتوكل الكامل على ذاته المقدسة ؟.

ام ان الاســم الاعــظم ليس من سنخ اللفظ ؟ وما استعمال الالفاظ الااشارة الى حقيقتها ومحتواها , وبــتعبير آخر فان مفاهيم هذه الالفاظ يجب ان تنفذ الى روح الانسان فيتخلق بمعناها حتى يصل الى مــرحــلــة مــن الــكــمــال بحيث يصير مستجاب الدعوة بل يمكنه ــ بالاضافة الى ذلك ــ ان يتصرف في الموجودات التكوينية باذن اللّه .

مــن هــذه الاحــتــمــالات الثلاثة , يستبعد جدا ان يكون لهذه الحروف والالفاظ اثر بدون ان يكون لــمــحــتــواهــا ولاوصــاف وحــالات الشخص دخل في الموضوع , ومع انه ورد في بعض القصص الــخــرافــية التي نقلت شعرا ونثرا في بعض الكتب من ان عفريت الجن كان يستطيع الاستيلا على عــرش ســلــيــمــان وادا اعــمــالــه عن طريق معرفته بالاسم الاعظم الاســم الاعــظــم بعيد جدا عن روح التعليمات الاسلامية , علاوة على هذا فان نفس قصة (بلعم بن بــاعــورا) , التي اخبرت عن انه فقد الاسم الاعظم بعد ان انحرف عن التقوى والطريق الصحيح , تــدل عــلى ان لهذا الاسم علاقة وثيقة جداباوصاف وحالات الداعي لذا فالاحتمال الصحيح هو احد التفسيرين الاخيرين او كلاهما.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان , بعد ان اشار الى مسالة الاسم الاعظم : ((مع ان

اسما اللّه عموما واسمه الاعظم خصوصا مؤثرة في عالم الوجود وتعد وسائطا واسبابا لنزول الفيوضات فـــي هـــذا العالم , الا ان تاثيرهامنوط بحقائقها لابنفس الفاظها التي تدل عليها ولابمعانيها المرسومة في الذهن)) ((٢٨)) وهذا الكلام يؤيد ايضا صحة ماذكرنا اعلاه .

وتـــوجـــد نـــقطة جديرة بالالتفات ايضا وهي ان هناك تعابير مختلفة للاسم الاعظم في روايات هذا الباب , وكل واحد منها حصر الاسم الاعظم بمعنى معين .

فـــبعضها عدت البسملة اقرب شي الى الاسم الاعظم وبعضها حددت اسم اللّه الاعظم في ذكر هذه الـــعبارات : ((بسم اللّه الرحمن الرحيم لاحول ولاقوة الا باللّه العلي العظيم)) مائة مرة بعد صلاة الصبح .

وبعضها الاخر في سورة ((الحمد)) و ((التوحيد)) و ((آية الكرسي)) و ((القدر)).

وبعضها في الايات الست الاواخر من سورة الحشر.

وبـــالتالي فبعضها الاخر في (قل اللهم مالك الملك) الى قوله : (وترزق من تشا بغير حساب) , (آل عمران / ٢٦ و ٢٧) , وغير هذه التعابير ((٢٩)) .

ويـــمـــكـــن ان يكون سبب هذا التفاوت هو تعدد الاسم الاعظم , او تفاوت المقاصد , ولكن المهم في الـــوقـــت ذاتـــه هـــو ان طـــهارة القلب , وخلوص النية ,والتوجه الى اللّه , وقطع الامل عمن سواه , والتخلق بهذه الصفات هي التي تخلق روح الاسم الاعظم .

صفات اللّه تعالى . وهي تقسم الى قسمين عادة :.

((صفات الذات)) , و ((صفات الفعل)).

وصفات الذات تقسم الى قسمين ايضا : صفات الجمال , وصفات الجلال .

والـــمـــراد مـــن صفات الجمال الصفات الثابتة له تعالى , كالعلم والقدرة والازلية والابدية , لذا تسمى ((بـــالـــصفات النبوية)) اما صفات الجلال فيراد بهاالصفات التي تتنزه ذاته المقدسة عنها , كالجهل والـــعـــجـــز والجسمانية وماشاكل لذا تسمى بـــ((الصفات السلبية)) وكلا النوعين يسميان بصفات الذات ,وبغض النظر عن افعاله سبحانه فهي قابلة الادراك (اي يمكن ادراكها).

ويقصد بصفات الفعل الصفات التي لها علاقة بافعال اللّه , اي لاتطلق عليه قبل صدور فعل منه , وبعد صدوره يتصف بها كالخالق والرازق والمحيي والمميت .

ونؤكد مرة اخرى بان صفات ذاته وصفات فعله لامتناهية , لان كمالاته غير متناهية , وكذلك افعاله ومخلوقاته لامتناهية ولا محدودة ايضا.

ولـــكن مع هذا فان قسما من هذه الصفات يعد اساسا لبقية الصفات ,والصفات الاخيرة تعتبر فروعا , وبالالتفات الى هذه النقطة يمكن القول : بان الصفات الخمسة التالية تعد اصلا لجميع الاسما والصفات الالهية المقدسة ,وماسواها تعد فروعا لها , وهذه الصفات الخمسة هي :.

(الوحدانية , العلم , القدرة , الازلية , الابدية).

ونظرا لما قلنا آنفا , ننطلق الان لشرح هذه الصفات الاساسية الخمسة ,وبما اننا شرحنا الوحدانية سابقا فاننا سنتناول شرح الصفات الاربع المتبقية .

١ ــ.

علم اللّه المطلق . تمهيد :.

تــعــد مسالة علم اللّه الذي يشمل عالم الوجود وذاته المقدسة واحاطته بكل شي من احد اهم صفاته تعالى بعد مسالة التوحيد , فلا يخفى على علمه اللامحدود ذرة من هذا العالم الواسع . لقد احاط علمه ــ جل وعلا ــ بكل قطرة غيث تنزل من السما , وبكل برعم يتفتح في سيقان الاشجار , وبكل حبة في ظلمات الارض , وبكل موجودوكائن حي يدب في اعماق البحار العميقة المظلمة , وبــكل شهاب يشتعل وينطفي في هذه السما الواسعة , وبكل موج يعوم ويهدر على سطح المحيطات , وبكل نطفة تنعقد في ظلمات الرحم , وبالتالي بكل فكرة تخطرعلى بال احد.

وعــلــمــه بالازل والابد واحد , واحاطته العلمية بملايين السنوات الماضية والمستقبلية كاحاطته بــالــحــاضر , وبحضوره في كل مكان وزمان لم يبق للبعيدوالقريب والماضي والحاضر والمستقبل معنى , فجميعها متساوية لديه جل شانه .

هــذه هــي الــحــقــيــقة التي تنتقى من مجموع الايات القرانية , والتفكر بها له اثركبير في عقائدنا واعمالنا وبعد هذه الاشارة نعود الى القرآن الكريم لنستمع خاشعين الى الايات القرآنية التالية :.

١ ــ (واعلموا ان اللّه بكل شي عليم) (البقرة / ٢٣١).

٢ ــ (قــل ان تــخــفــوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه اللّه ويعلم ما في السموات ومافي الارض) (آل عمران / ٢٩).

٣ ــ (وهو اللّه في السمــوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون) (الانعام / ٣) .

٤ ــ (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) (الانعام / ٥٩).

٥ ــ (الم يعلموا ان اللّه يعلم سرهم ونجويهم وان اللّه علام الغيوب) (التوبة / ٧٨).

٦ ــ (ومــا تكون في شان وما تتلومنه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فــيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولافي السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين) (يونس / ٦١).

٧ ــ (يــعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيهاوهو معكم اينما كنتم واللّه بما تعملون بصير) (الحديد / ٤).

٨ ــ (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك / ١٤).

٩ ــ (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات اللّه ان اللّه عزيز حكيم) (لقمان / ٢٧).

١٠ ــ (ان اللّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان اللّه عليم خبير) (لقمان / ٣٤).

١١ ــ (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماوالارض الا في كتاب مبين) (النمل / ٧٤ و ٧٥).

١٢ ــ (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) (ق / ١٦).

شرح المفردات :.

الـ (علم) في الاصل بمعنى ادراك حقيقة شي معين , وهو على نوعين ,ادراك ذات الشي , وادراك صفات الشي والاول يتعدى الى مفعول واحد كقولنا:(علمته) , والثاني يتعدى الى مفعولين , كقوله تعالى : (فان علمتموهن مؤمنات)(الممتحنة / ١١).

ومن جهة اخرى فان العلم على قسمين : لانه تارة يراد منه الجانب (النظري) وهو ما يرتبط بالمسائل الفكرية والعقائدية , واحيانا اخرى الجانب (العملي) وهو ما يرتبط بالمسائل العملية كالعبادات والمسائل الاجتماعية .

ومن جهة ثالثة ايضا يقسم العلم الى قسمين : (عقلي) و (سمعي) ,فالاول يستحصل بالدليل العقلي , والثاني من لسان الوحي , وقد ورد في مقاييس اللغة بان العلم في الاصل بمعنى ذلك الاثر الذي بواسطته يعرف شي معين , لذا فقد وردت كلمة (التعليم) بمعنى وضع العلامات وكلمة (العلم)بمعنى الراية .

(علام) ــ على وزن جبار ــ وعلامة كلاهما تعنيان العالم الغزير العلم .

و(العلم) ــ على وزن قلم ــ ورد بمعنى الجبل الشاهق ايضا , و(العيلم)بمعنى البحر او البئر الملي بالمياه كان هذا مجمل ما قاله المحققون حول تفسيركلمة (العلم).

جمع الايات وتفسيرها :.

اللّه عز وجل عالم بكل شي :. بينت الاية الاولى بتعبير غني ومختصر ان اللّه يعلم بكل شي , بدون استثنا , فقالت : (واعلموا ان اللّه بكل شي عليم).

يلاحظ ان هذا التعبير , الذي تكرر التاكيد عليه وتكرر لاكثر من عشرمرات في السور القرآنية المختلفة , بنفس هذه العبارة او بعبارات مشابهة لهايعتبر اصلا قرآنيا كليا في وصف علم اللّه .

ان هذه العبارة من هذه الاية ــ التي هي محل بحثنا ــ قد وردت بعد ان ذكرقسم من حقوق النسا والاحكام الالهية الخاصة بها , وهي تحذير لذوي الاغراض الخبيثة الذين

يرومون استغلال هذه القوانين الالهية بصورة سيئة وقدبين القرآن هذه الجملة في آيات اخرى ايضا بعد بيانه لزوم التقوى او احكام اخرى , او ذكره لبعض الصفات الالهية وماشاكل ذلك , كل هذا من اجل بيان هذه الحقيقة , وهي ان الاحكام التي وضعها اللّه حكيمة وذات مصالح واغراض معينة من جهة , وايضا فانها تحذير لجميع المتخلفين عنها , الذين يعلم اللّه اعمالهم ونياتهم من جهة اخرى , والاثر التربوي لهذا الاعتقاد واضح فمن البديهي ان الذي يعلم ويدرك بان الامر صادر ممن احاط علمه بجميع اسرارالوجود وكل حوائج الانسان , وكذلك يعلم ان من يراقبة عالم بكل شي , لايجيز لنفسه ان يرتكب ادنى مخالفة .

يعلم نياتكم :. تحدثت الاية الثانية عن اطلاع اللّه سبحانه على نيات البشر , وعلى اسرارجميع موجودات عالم الوجود , فقالت : (قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه اللّه).

وكذلك : (ويعلم ما في السموات وما في الارض).

فهذه الاية ايضا تحذر الناس من التهرب من انجاز وظائفهم ومسؤولياتهم بحجج معينة (كحجة التقية التي ورد ذكرها في الاية التي سبقها) لان الذي يحاسبهم لايعلم اسرارهم المخفية في طيات قلوبهم التي في صدورهم فحسب , بل يعلم جميع اسرار السموات والارض .

ولقد ورد نفس هذا المفهوم والمعنى في الاية ٢٨٤ من سورة البقرة ايضا ,لكنه ــ سبحانه ــ قال هناك : (وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به اللّه).

ومن المسلم به هو ان المحاسبة فرع من العلم والاطلاع وتعبير (صدور)الذي ورد في الاية السابقة بمعنى النفوس بقرينة هذه الاية , ثم ان وقوع القلب في الصدر , ووجود علاقة وثيقة بين ضربات هذا القلب وبين بقا الانسان على قيد الحياة , علاوة على ان اي تغيير نفسي يترك اثرا في القلب , كان استعمال القرآن الكريم في آياته لكلمة (القلب) كناية عن الروح والنفس .

وبتعبير آخر فان اي احساس روحي يحصل للانسان , من قبيل العشق والنفرة , الحب والبغض , الفرح والهم , الخوف والوحشة , السكون وهدؤالبال , الكتمان والاظهار , سوف يترك آثره المادي على القلب اولا , ودقات القلب وتخلخل الضغط وهدؤ القلب يعكس اثر تلك الظاهرة الروحية في جسم الانسان .

فبديهي انه لا القلب مركز الاحساسات الروحية ولا الصدر , ولا حتى الدماغ وجميع هذه الامور ترتبط بروح الانسان التي ماورا هذه الاعضا ولهذافقد قيل ا ان القلب قد ياتي بمعنى العقل احيانا ((٣٠)) .

يعلم السر والجهر :. تطرح الاية الثالثة ــ علاوة على ماورد في الايات السابقة ــ مسالة علم اللّه بالاعمال الانسانية بشكل خاص , حيث قالت : (وهو اللّه في السموات

وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون).

بينت الجملة الاولى من الاية حضور اللّه في كل نقطة من عالم الوجود ,والجملة الثانية بينت علمه سبحانه , والجملة الثالثة احاطته جل وعلا باعمال الناس وهي بصورة عامة انذار لجميع الناس ((٣١)) .

ومن البديهي ان المقصود من حضوره ــ جل وعلا ــ في السموات والارض لايراد منه الحضور المكاني , لانه ليس جسما ليحل بمكان , فحضوره بمعنى الاحاطة الوجودية , فهو سبحانه قد احاط بكل شي علما , وكل شي حاضرعنده .

واما معنى قوله تعالى ((ويعلم ماتكسبون)) ؟ فقد قال بعض المفسرين : بانه دليل على اطلاع اللّه على السر والجهر ((٣٢)) (الباطن والظاهر) , وبتعبير آخراطلاعه على النيات القلبية والاعمال الظاهرية , وقال الاخرون بانها اشارة الى حالا وصفات روحية ومعنوية يبلغها الانسان باعماله , وعليه فهي ذات مفهوم جديد مغاير للسر والجهر ((٣٣)) .

وقال آخرون ايضا : ان ((السر هذا بمعنى النيات والجهر بمعنى الحالات وماتكسبون بمعنى ((الاعمال)) ((٣٤)) .

ان هذه التفاسير الثلاثة مناسبة كلها , ولكن من خلال تتبع موارد استعمال مادة ((كسب)) في القرآن الكريم ,فان التفسير الثالث يعتبر اقرب الى الصواب .

وعنده مفاتح الغيب :. بينت الاية الرابعة سعة علم اللّه اللامحدود بتعابير لطيفة اخرى مع ذكرشي من التفصيل , فقالت اولا : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو).

ثم اشارت الى جوانب من الغيب فقالت : (ويعلم ما في البر والبحر) و :(وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض) , حتى قال في كلمة شاملة ورائعة : (ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين).

تعد هذه الاية الشريفة من اشمل الايات القرآنية التي تحدثت عن علم اللّه اللامتناهي باسلوب دقيق جدا.

فابتدات من علم الغيب الى مافي البر والبحر وما تسقط من الاشجار من اوراق , ثم الحبات الخفية في ظلمات الارض والبراري والجبال والاودية والغابات , التي تنتظر الغيب لتنبت , فعدتها جميعا ضمن دائرة علم اللّه اللامحدود.

لـــو امعنا النظر في مفاهيم هذه الايات وتصورنا الاف الملايين من الكائنات الحية الموجودة في البر والـــبـــحـــر بانواعها العجيبة المذهلة ولو تصورنامجموع اشجار الكرة الارضية مع جميع اوراقها وعدد مايسقط منها في كل يوم وكل ساعة وكل لحظة , والمكان الذي تسقط فيه , وكذلك لو تصورنا مجموع حبوب النباتات التي تنتقل على سطح الارض ــ بواسطة البشر , والرياح وانواع الحشرات والـــســـيـــول ومـــاشاكل ذلك ــ وتنتظر دورها في ظلمات الارض للانبات والنمو , وعلمنا بان اللّه ســـبـــحانه وتعالى قد احاط علما بجميع هذه الاموروبجميع مشخصاتها وجزئياتها , لادركنا سهولة احاطته تعالى باعمالنا.

لقد فسرت روايات عديدة , منقولة عن اهل البيت (ع) , ((ظلمات الارض))بالرحم و((الحبة)) بـــمـــعـــنـــى الـــولد , و((الورقة)) بمعنى الاجنة الساقطة , و((الرطب))بمعنى النطف التي تعيش و((اليابس)) بمعنى النطف التي تموت وتجف .

واشـــار بـــعـــض مـــفـــسري اهل السنة كالالوسي في كتابه (روح المعاني) الى هذا الحديث بتعجب , واعتبره على خلاف ظاهر الاية .

صـــحيح انه وبالنظرة الاولى يبدو من ظاهر الاية انها تشير الى حبات النباتات , لكن الحديث اعلاه اشـــار الـــى مفاهيم تستنبط من هذه الاية بالدلالة الالتزامية , لانه لايوجد تفاوت جذري بين النطفة والـــحـــبـــة , وهـــكـــذا بـــين باطن الارض وظلمات الرحم , والعالم بالاولى هو عالم بالثانية بسهولة لانهمامتشابهتان مع بعضهما ((٣٥)) .

وعـــلاوة عـــلـــى ذلك فان ائمة اهل البيت (ع) كانوا يعلمون باطن القرآن كظاهره , وهذا التفسير يحتمل ان يكون جزا من الباطن .

وقد فسر المفسرون الرطب واليابس بمعان كثيرة , منها انهم قالوا : بان الرطب بمعنى الكائن الحي : واليابس بمعنى الميت , او الرطب بمعنى المؤمن ,واليابس بمعنى الكافر , او الرطب بمعنى الكائن الحي , واليابس بمعنى الجماد , او الرطب بمعنى العالم , واليابس بمعنى الجاهل ((٣٦)) .

لـــكـــن الـــظـــاهـــر ان هذا التعبير كناية عن العموم والشمول فى عالم المادة , كمايستعمل احيانا في التعابير اليومية التي تحتاج الى هذا المعنى .

انه علام الغيوب :. تـــشـــيـــر الايـــة الخامسة ــ بقرينة الايات السابقة لها الى المنافقين , فتقول :(الم يعلموا ان اللّه يعلم سرهم ونجويهم) و :(ان اللّه علام الغيوب).

وتعبير ((علام الغيوب)) تعبير جديد يمر علينا في هذه الاية , ونظرا لكون ((علام)) صيغة من صـــيـــغ المبالغة ولفظ ((الغيوب)) لفظا عاما, فانه يشمل جميع خفيات عالم الوجود باكمله وعالمي الطبيعة وماورا الطبيعة .

والـــلـــطـــيـــف هو ان جميع الايات القرآنية التي تناولناها في بحثنا لحد الان حول علم اللّه , وردت كتحذير للناس لكي يراقبوا اعمالهم واقوالهم ونياتهم ,اي انها اشارت الى المسائل

التربوية قبل كل شي .
((الـــنـــجوى)) من نجوة و ((نجاة)) في الاصل بمعنى المكان المرتفع , ومن حيث ان الشخص اذا اراد ان يـــحـــدث صاحبه بسر معين فانه ينفرد به في مكان منعزل , فان هذه الكلمة وردت هنا بمعنى الهمس في الاذن .
موجود في كل مكان :. تـــحـــدثت الاية السادسة في البداية عن شهادة اللّه على اعمال واقوال وحالات الانسان , ثم عن سعة عـــلمه واحاطته بكل شي في الوجود , وفي الحقيقة فان لهاتين المسالتين ارتباطا لطيفا مع بعضهما , قال سبحانه : (وما تكون في شان وما تتلومنه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه) ((٣٧)) .
والـــجـــديـــر بالالتفات هو ان المخاطب في الجملتين الاوليتين هوالرسول (ص) , حيث اشارت الى الـــشـــان , (اي الحالات والاعمال المهمة) ,وتلاوة القرآن الكريم , اما المخاطب في الجملة الثالثة التي تحدث عن مطلق الاعمال , فهم الناس باجمعهم .
وعلى اي حال , بما ان المخاطب في بداية الاية هو الرسول (ص) وفي الذيل هم جميع الناس , فانها تدل على العموم والشمول .
وعـــلاوة على ذلك فهي تشمل حالات الانسان واقواله واعماله (الاستنادالى تعابير الشان والتلاوة والعمل).
و((الشهود)) جمع ((شاهد)) , وهو بمعنى الحاضر والناظر والمراقب (واستعمال صيغة الجمع بخصوص الباري ــ كما وضحنا هذه المسالة كرارا ــ انماهو كناية عن عظمته وعلو مقامه سبحانه وتعالى) , ولهذا التعبير مفهوم اوسع من مفهوم العلم , وهو في الواقع يشير الى حقيقة كون علم اللّه علما حضورا ,وسنشرح ذلك في قسم التوضيحات .
((تـــفـــيـــضون)) من ((الافاضة)) وهي في الاصل بمعنى امتلا الانا بالمابحيث ينساب من حافته , وهذه الكلمة تستعمل بمعنى الشروع بالاعمال باقتدار او بصورة جماعة , وقد وردت في هذه الاية بهذا المعنى ايضا.
ثم اضاف سبحانه قائلا : (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولافي السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين).
((يـــعزب)) من ((العزوب)) ــ على وزن ((غروب)) ــ وهو بمعنى البعد والانزواوالغيبة , وقـــال بـــعـــض الـــلـــغـــويين والمفسرين : بانه بمعنى الابتعاد عن العائلة وفراق الاهل لتحصيل مرتع لـــلمواشي , ويطلق ((عزب)) و ((عازب)) على كل من يبقى بعيدا عن اهله , او كل من لم يتزوج ايضا , وكذلك يطلق على اي لون من الفراق والغيبة ((٣٨)) .
ويعد هذا التعبير في هذه الاية اشارة لطيفة الى حضور جميع الاشيا بين يدي اللّه , فحقيقة علم اللّه هو هذا ((العلم الحضوري , كما سنذكره فيما بعد.
وكـــمـــا قـــلـــنـــا ســـابـــقا فان المقصود من ((الكتاب المبين)) هو علم اللّه الذي يعبرعنه

بـــ((اللوح الـــمـــحـــفـــوظ)) ايضا , والمثقال معناه , ((الوزن)) و ((الذرة)) فسرت بعدة وجوه منها : الديدان الـــصـــغـــار والغبار الذي يلتصق باليد , وذرات الغبار العالقة في الفضا والتي ترى عندما تدخل اشعة الـــشـــمـــس فـــي الـــغرفة المظلمة , وايا كان من هذه التعابير فانه كناية عن منتهى الصغر والدقة في الحجم وتلويح بسعة علم اللّه سبحانه وتعالى .

وهو معكم اينما كنتم :. نواجه في الاية السابعة نقطتين جديدتين في مجال علم اللّه : (يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها).

وعـــلـــيـــه فهو يعلم بكل مايلج في الارض من جميع بذور النباتات وقطرات الغيث وجذور الاشجار والـــمـــعـــادن والـــذخـــائر والكنوز والدفائن واجساد الموتى وانواع الحشرات التي تتخذ من اعماق الارض بيوتا لها.

وكـــذلـــك يـــعلم بكل النباتات التي تنبت في الارض وتخرج منها ,والكائنات الحية التي تخرج منها , والمعادن والكنوز التي تظهر , والموادالمنصهرة التي تخرج من بطون الارض على صورة براكين , وعـــيـــون الـــما الصافية او المياه المعدنية الساخنة التي تنبع من الارض , واشعة الشمس الحيوية ,وقـــطـــرات الـــغيث التي تسقط من السما , والشهب والنيازك والحبات التي تنقلهاالرياح من مكان الى آخـــر , وكـــذلك يعلم بما يعرج الى السما من الملائكة وارواح الناس , وانواع الطيور والغيوم التي تـــتـــكون من مياه المحيطات والبحار ,وبالتالي فهو سبحانه قد احاط علما بادعية واعمال الناس التي تعرج الى السما.

ولـــو امـــعنا النظر في هذه الحقيقة اي بانواع الكائنات الموجودة في هذه العناوين الاربعة , لادركنا عظمة وسعة علم اللّه .

والنقطة الاخرى هي قوله سبحانه في نهاية الاية : (وهو معكم اينما كنتم واللّه بما تعملون بصير) .

فـــما اجمله والطفه من تعبير ؟ انه تعالى يقول : ان كان الحديث في بداية الاية عن علم اللّه بمختلف الموجودات الارضية والسماوية فان هذا لايعني ابدان تعبدوه بعيدا عنكم , فانه معكم اينما كنتم , وهـــو يـــرى اعـــمـــالـــكـــم , فـــانه لم يقل :((يعلم)) بل قال : ((بصير)) وهذا دليل على الحضور والمشاهدة .

واللطيف في هذه الاية هو الاستعانة بمسالة علم اللّه لتربية الانسان ايضا.

فـــمـــن جهة تقول ــ هذه الاية ــ للانسان : انك لست وحيدا فهو معك اينماكنت , فتمنح بذلك لروحه الـــسكينة , ولقلبه الصفا , ومن جهة اخرى تقول له :انت بين يدي اللّه والعالم كله في قبضته فراقب اعمالك جيدا وبهذا الترتيب تجعله دائما بين الخوف والرجا.

ومن البديهي فان هذه المعية لاتعني الحضور المكاني بل هي اشارة الى احاطة علم اللّه بكل شي .

الخالق عليم بخلقه :. جـــات الايـــة الـــثامنة باستدلال واضح , ملموس لاثبات علم اللّه

المحيطبكل شي وبجملة مختصرة وغنية جدا , كما هو شان القرآن الكريم ــ حيث قال تعالى : (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ((٣٩)) .

لــو اردنــا ان نــشــرح هــذا الــدلــيــل بشكل بسيط نقول : بان نظام موجودات الكون يدل على انها ــ الموجودات ــ خلقت وفق خطة واهداف معينة وبرنامج دقيق وعليه فان خالق هذه الموجودات يعلم بجميع اسرارها حتى قبل خلقها.

ولو التفتنا الى مسالة ديمومة واستمرار خلق اللّه , وان جميع الممكنات مرتبطة مع واجب الوجود فــي الــوجود وفي البقا , وفيض الوجود يفيض من ذلك المبدا الفياض على المخلوقات في كل آن , لادركــنــا بان علمه واحاطته بجميع وجودات عالم الوجود دائم وسرمدي وفي كل مكان وزمان , فتامل .

والــجــديــر بالالتفات هو ان الاية ابتدات باستفهام استنكاري , فهي تطلب الاجابة من سامعها , اي ان الــموضوع بدرجة من الوضوح بحيث ان كل من يراجع عقله ووجدانه يعلم او يدرك بان الخالق لاي شي خبير به حتما ((٤٠)) .

و((لــطــيــف)) مــن مــاة ((لــطف)) , وهو هنا بمعنى خالق الموجودات اللطيفة والاشيا الظريفة والدقيقة جدا , او بمعنى من احاط بها علما.

وقالوا ايضا في معنى الخبير : بانه من يعلم بالاسرار الخفية , ووصفه تعالى بهاتين الصفتين تلويح عن علمه باسرار الكون ورموزه الخفية .

والــجدير بالملاحظة هو ان اللّه قد خاطب الناس قبل هذه الاية فقال :(واسروا قولكم او اجهروا بــه انــه عــلــيم بذات الصدور) ثم طرح الاستدلال المذكوراعلاه لاثبات هذه القضية وعليه فان الاستناد الى هذه الاية في الاستدلال على اثبات علم اللّه سبحانه يدل على اثرها التربوي ايضا.

يــتــضــح مما قيل حول تفسير هذه الاية بان مفهومها واسع جدا , وينبغي ان لاتحدد بعلم اللّه باعمال الــنــاس ونياتهم وعقائدهم فحسب , بل هي في الحقيقة دليل كلي ومنطقي على علم اللّه , وقد جات لتوضيح جانب تربوي معين .

ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام و. تــنــاولــت الايــة الــتاسعة مسالة سعة علم اللّه سبحانه , حيث جسمت هذه المسالة امام نظر الجميع بــالاعــداد والارقام حيث قالت : (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات اللّه ان اللّه عزيز حكيم).

قد وردت في سورة الكهف آية مشابهة لهذه الاية مع فارق بسيط , فلنبدابالاحصا هنا ولنتامل هنيهة لــنرى هل من الممكن ان نحصل على عشرات الاقلام من شجرة واحدة تكفي ــ الاقلام التي حصلنا عــلــيــهــا من عدد من الاشجارلكتابة جميع العلوم الانسان المدونة في الاف الكتب منذ الاف السنين ولحدالان ؟ من المحتمل اننا نحتاج لحل هذه المعضلة الى حوض من

الحبر بحجم المسابح الصغيرة .
فـلـنـتصور اذا المقدار الخيالي لجميع الغابات والاشجار في جميع البساتين , والكثير من البراري والـجبال ولنتصور ملايين الامتار المكعبة من مياه المحيطات والبحار , الذي يبلغ ثلاث ارباع حجم الكرة الارضية , بعمقه الكبير ,ثم نضيف على هذا الرقم الخيالي سبعة امثاله (هذا اذا اعتبرنا العدد ٧ يدل على نفس العدد لا على قصد الكثرة) لنتج لنا رقما خياليا عجيبا والاكثر من هذا ان القرآن يقول : انها جميعا تنفد ولاتنفد كلمات اللّه , فهل يوجد تعبير اقوى وابلغ مـن هـذا الـتعبير الدال على لامحدودية علم اللّه ؟ فذكرالاعداد والارقام , واضافة الاصفار الى جانب عدد معين لايمكنه ان يعكس عظمة ذلك العدد , فكان الاعداد جامدة لاقيمة لها لكن العدد الذي ورد في هذه الاية , كناية عن اللانهاية هو عدد محسوس وناطق وغني .
اما كلمة ((البحر)) فنظرا لكون الالف واللام الموجودة فيه تدل على العموم في مثل هذه الحالات , لـذا فـهـي تـعم جميع البحار الموجودة على سطح الارض وبغض النظر عن ذلك فان جميع بحار الارض متصلة مع بعضها , فهي تعتبر بحرا واحدا ويصح استعمال صيغة المفرد فيها.
لذا فان المقصود من ((سبعة ابحر)) هو اضافة سبعة امثال جميع البحارالموجودة على سطح هذه الارض الى مقدارها الاصلي , و((كلمات اللّه)) علمه سبحانه , او الموجودات التي احاط بها علمه ومـن حـيـث ان علمه لامتناهي وجميع البحار والاشجار ــ الموجودة ــ متناهية , لذا من البديهي ان تكون عاجزة عن احصا علمه .
واللطيف هو تعبيره سبحانه في الاية بكلمة ((شجرة)) بصيغة المفرد ,و((اقلام)) بصيغة الجمع للدلالة على امكان صياغة الاقلام الكثيرة من ساق وجذع واحد.
وبالرغم من ان هناك احتمالين حول المقصود من العدد سبعة وهما :((العدد)) و ((الكثرة)), لكنه يظهر من الاية بان المقصود منه الكثرة لا العدد , اي مهما اضيفت اليه ابحر اخرى ايضا فان كلمات اللّه بالرغم من ذلك لانفاد لها.
والـجـمـلـة الاخيرة من هذه الاية (ان اللّه عزيز حكيم) تؤكد هذه المسالة ايضا , لان اللّه تعني قـدرتـه الـلامـتـناهية في الخلق والايجاد , وحكمته ايضا تدل على احاطته علما بدقائق واسرار موجودات العالم .
والاخـيـر حول هذه الاية هو انه نقل عن شان نزولها بان جماعة من اليهودقالوا : بان اللّه قد ذكر كـل شي فى التوراة ولم يبق شيئا فقال الرسول (ص) : مثل ماورد في التوراة بالنسبة الى كلام اللّه كالقطرة من البحر , فنزلت هذه الاية وبينت سعة علم اللّه .
وروي كـذلـك بان هذه الاية نزلت عندما قال جماعة من الكفار : ان ما ياتي به محمد سينتهي قريبا , فردهم الرسول (ص) : بان هذا كلام اللّه ولا نفاد له ,فنزلت هذه الاية لتبيان هذا المعنى ((٤١)) .

عنده مفاتح الغيب الخمسة :. طـرحـت الايـة العاشرة ايضا قسما آخر من علم اللّه تعالى , وهو العلوم الغيبية المخصوصة بذاته الـمـقدسة , واكدت بان لا احد يحيط بحقيقتها سواه ,قال تعالى : (ان اللّه عنده علم الساعة وينزل الـغـيـث ويـعـلـم ما في الارحام) (من حيث نوع الجنس وما يتعلق به والسلامة , ومن حيث سائر الاستعدادات والقدرات الاخرى) (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان اللّه عليم خبير).

مـاذكـر في هذه الاية من علم اللّه يعكس بوضوح موعد القيامة , لكن لحن الاية يدل على اختصاص عـلـم الامـور الاربـعـة المذكورة بعد هذا الامر باللّه سبحانه ايضا , لانه لا يرى تشابه بين هذه المواضيع الخمسة سوى من حيث كونها علوما خاصة باللّه سبحانه , علاوة على ماصرحت به الكثير من الروايات المنقولة من طرق الشيعة والسنة عن رسول اللّه (ص) والائمة المعصومين (ع) ,حول اختصاص هذه العلوم الخمسة بذاته المقدسة جل وعلا , وكنموذج ننقل هنا حديثا من تفسير (الدر المنثور) وآخر من تفسير ((نور الثقلين)) :.

١ ــ ورد في (الدر المنثور) عن رسول اللّه (ص) قال : ((ومفاتيح الغيب خمس لايعلمهن الا اللّه , لايـعلم ما في غد الا اللّه , ولا متى تقوم الساعة الا اللّه ,ولايعلم ما في الارحام الا اللّه , ولا متى ينزل الغيث الا اللّه , وما تدري نفس باي ارض تموت الا اللّه)) ((٤٢)) .

٢ ــ ورد في (نور الثقلين) عن الامام الصادق قال : ((الا اخبركم بخمسة لم يطلع اللّه عليها احدا مـن خـلقه ؟ قلت : بلى , قال : ان اللّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان اللّه عليم خبير)) ((٤٣)) .

وقد وردت روايات كثيرة اخرى ايضا في كتب الحديث حول هذاالمجال ((٤٤)) .

الاجابة على سؤالين :. السؤال الاول : كيف ان هذه العلوم الخمسة مختصة باللّه سبحانه وتعالى مع انه من الممكن تشخيص جـنـس الـجنين (ذكر ام انثى) بوسائل معينة ؟ وان لم تكن هذه المسالة قطعية لحد الان , وكذلك نزول الغيث حيث يستنبا بنزوله قبل هطوله بقليل .

الجواب :.

الـكلام لايدور فقط حول جنس الجنين بل ان اللّه سبحانه يعلم عددالاجنة الموجودة في الارحام , ووضـعـيتها واستعداداتها واذواقها , ومواهبها ,وقدراتها وضعفها وجميع خصوصياتها وهكذا عن الغيث , فقد احاط علمه بكمية الغيث ونوعيته وعدد قطراته ووزنها ومحل سقوطها ولا احد يمكنه ان يحيط علما بهذه الامور وباي وسيلة كانت .

والشاهد على كلامنا هذا هو حديث ورد في نهج البلاغة حول تفسير هذه الاية :.

(فيعلم اللّه سبحـانه مـا في الا رحـام من ذكر او انثى وقبيح او جميل وسخي اوبخيل فهـذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا اللّه) ((٤٥)) .

تـدل هـذه الـعـبارة بوضوح على ان المقصود هو العلم بجميع صفات الجنين الجسمية

والروحية , لاجنس الجنين فقط.

السؤال الثاني :.

كيف يمكن الجمع بين هذه الاية والروايات الكثيرة التي وردت في تفسيرها وبين الروايات الكثيرة التي صرحت بان الرسول (ص) والائمة المعصومين (ع) كانوا يخبرون عن حوادث المستقبل , او يـــوم وفـــاتهم , ومحل دفنهم , وسائر الامور المستقبلية , الا يوجد تضاد بين هاتين المجموعتين ؟ لان الاية تقول : (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت)؟.

الجواب :.

يمكن الاجابة على هذا الاشكال بان الفرق هو في الاجمال والتفصيل بتوضيح ان مايخبر به اوليا اللّه او الـــمـــلائكة عن حوادث المستقبل وعلم الغيب ليس الا علما اجماليا , فمثلا يعلمون بان الشخص الـــفلاني سيموت في الغد ,اما العلم بساعة ولحظة وفاته وبقية خصائصها فهو مختص به سبحانه , فهذا علم تفصيلي وكلي وشامل , في حين ان علم اوليا اللّه علم اجمالي وجزئي .

وقـــد اراد بعض المفسرين الرد على هذا الاشكال عن طريق العلم الذاتي والعرضي فقالوا : ان علم اللّه بـــهـــذه الامـــور ذاتي , وان اوليا اللّه لايملكون لنفسهم شيئا , فعلمهم انما هو بتعليم اللّه (اي ان علمهم عرضي).

لكن هذا الجواب لايتناسب مع الكثير من الروايات المنقولة من طرق الشيعة والسنة في هذا المجال , بـــل وحـــتـــى لايـــتـــطابق مع ظاهر الاية في ثلاثة موارد : احدها انحصار علم الساعة به سبحانه , وكذلك ماتدري نفس ماذاتكسب غدا , وماتدري نفس باي ارض تموت .

وكل شي في كتاب مبين :. اشـــارت الاية الحادية عشرة الى علم اللّه بسر الانسان وعلانيته , وغيب السموات والارض , قال تعالى :.

(وان ربك ليعلم مـــا تكن صدورهم ومـــا يعلنون ومـــا من غـــائبة في السمـــا والا رض الا في كتـــاب مبين).

وتعبيره سبحانه ((ربك)) اشارة لطيفة الى هذه الحقيقة : فهل يمكن ان يكون المربي ومالك التدبير والـــتـــصـــرف لـــلـــمخلوقات ان لايحيط علما بالحالات الباطنية والظاهرية لمن يربيه ومن هو تحت تصرفه ؟ وهذه الربوبية هي بذاتهاالدليل على علم اللّه سبحانه وتعالى .

((تكن)) من مادة ((كن)) على وزن ((جن)) بمعنى الستارة وكل مايمكنه ان يحجب الاشيا , وقد وردت الصدور هنا كغطا ساتر على الاسرار الباطنية ,وكما اشرنا سابقا فان كلمتي الصدر والقلب قد وردتا في الكثير من التعبيرات القرآنية بمعنى الروح والعقل .

وكـــلمة ((غائبة)) اذا كانت ذات معنى وصفي فهي كناية عن الامورالمحجوبة والخفية جدا (لان التا المربوطة تاتي في مثل هذه الحالات للمبالغة كما في (علامة) : ((٤٦)) .

وقــد وردت كــلــمة ((مبين)) بمعنى واضح , وبمعنى موضح (لازم ومتعدي) ,والمعنى الثاني هنا اقرب , اي ان اللوح المحفوظ او لوح علم اللّه مبين وكاشف للحقائق ((٤٧)) .

ونحن اقرب اليكم :. وفي الاية الثانية عشرة تعابير جديدة ولطيفة حول علم اللّه , فقد طرحت فيها ايضا مسالة علم اللّه كــتحذير لجميع الناس ليراقبوا افكارهم ونياتهم ,وماتكن صدورهم , قال تعالى : (ولقد خلقنــا الا نســان و نعلم مــا توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد).

اشــارت هذه الاية الى قسمين من علم اللّه تعالى : الاول : يعتمد على مسالة خلق الانسان , اي , كيف يمكن ان يجهل الخالق الحكيم فعله ؟ خصوصاوان خلقه مستمر وفيضه ينزل كل لحظة على جميع مــوجــودات عــالــم الــوجود ,وبتشبيه ناقص , هو التيار الذي ينبعث من المولد الكهربائي ويزود المصابيح بالنور باستمرار.

والــثاني هو انه غير بعيد عن مخلوقاته , فهو اقرب اليهم من انفسهم , لذافحضوره الدائمي وقربه يعد دليلا آخر على احاطته بجميع الامور.

وقد ذكرت في كتب التفسير واللغة تفاسير متعددة بخصوص كلمة ((وريد))منها : ان (الراغب) فسره بمعنى الشريان الذي يتصل بالقلب والكبد , وقال جماعة : انه بمعنى وريد الرقبة .

وقــال آخرون : انه بمعنى الوريد الذي يتصل بالفم او تحت اللسان وفسره جماعة بانه بمعنى جميع الاوعــيــة الدموية الموجودة في البدن وبديهي فان المعنى الاول (الشريان الرئيسي الابهر) اكثر تناسبا مع مفهوم الاية , لانه اراد ان يبين قرب اللّه الشديد من الانسان , وهذا المعنى اقرب خصوصا مع ملاحظة وجود وريدين في الرقبة .

والــتــعبير بكلمة ((حبل)) يشير ايضا الى ان المقصود ليس جميع اوردة البدن , بل الرئيسة منها , وكما عبر البعض حيث قالوا : بان المقصود هو الاوردة التي لها منزلة الانهار لا الجداول .

وعــلــى اي حــال فــهذه الكلمة مشتقة من كلمة (ورود) اي بمعنى الوصول الى الما ــ التي لها تناسب واضح مع اوردة الدم .

ومن هنا يعبر عن الازهار بالورد , اي الثمرة الاولى التي ترد من الشجرة ((٤٨)) .

((تــوســوس)) مــن الوسوسة والوسواس , وهو بمعنى الصوت الهادئ الخارج من آلات الطرب , والــنــدا والــصــوت الــخــفي , والخواطر القلبية ,والتصورات الفكرية الخاطفة , والافكار غير المرغوبة ((٤٩)) .

وعــلى اي , فعندما يحيط اللّه تعالى بالخواطر الفكرية الخاطفة , فانه لايبقى مجال للشك والترديد بــانــه ســبــحانه يحيط علما بسائر اعمالنا وافعالناواعتقاداتنا وتعبيره : ونحن اقرب اليه من حبل الوريد , اضافة الى كونه تحذيرا ,فهو ينزل علينا نوعا من السكينة الباعثة للامل , ونور هذا الامل هو الذي ملاجميع اجزا وجودنا.

اليس عجيبا ان يبتعد الانسان من معشوقه بعد ان يعلم بانه اقرب اليه من نفسه ؟ من الذي يقاسمنا الم هذه المصيبة عندما يكون المعشوق مع الانسان ويحترق الاخير بنار الهجران ؟.
نحن اقرب قال من حبل الوريد ـــــــــ انت قد هاجرت عنه وتوغلت بعيد.
ايها المالي قوسا من نبال ـــــــــ قرب الصيد وترمي للجبال وبضم الايات القرآنية المذكورة اعلاه الى بعضها , يتضح بان القرآن الكريم قد وضع برنامجا دقيقا واسعا لتبيان علم اللّه واحاطته اللامحدودة بجميع الامور بذكر ادلة دقيقة ضمن عبارات مختلفة , وجعلها اساسا لتربية الانسان في جميع الاحوال التوضيحات :.
١ ـــ.
تاثير علم اللّه في بعدي العرفان والتربية :. ان الاهـــمـــية الخاصة التي اولاها القرآن الكريم لهذه المسالة تنبع اولا من الدور المهم لمسالة علم اللّه فـــي بحث معرفة اللّه , حيث تقرب الانسان الى ربه وتعرفه به , وتجعله يراه في كل مكان وان معرفة اللّه بدون معرفة جوانب علمه تعتبر ناقصة وضعيفة جدا.
ومـــن حـــيـــث ان لجميع المعارف انعكاسا على اعمالنا وتصرفاتنا الفردية والاجتماعية , وكون هذه الـــمـــســـالـــة تنبع من العلاقة الوثيقة بين (الايديولوجية) و(النظرة العالمية) فان لادراك علم اللّه اللامحدود آثار تربوية وهي كالتالي :.
فـــمـــن جهة نجد ان الاعتقاد بوجود رقيب عليم عظيم له تاثير في ترغيب وردع الانسان في انجاز اعماله فعندما يقول سبحانه : (ولقد خلقنـــا الا نســـان ونعلم مـــا توسوس به نفسه و نحن اقرب اليه مـــن حبل الوريد) وقوله : (وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون) وقوله : (وما يعزب عن ربـــك مـــن مثقال ذرة في الا رض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر) وقوله (وعنده مفاتح الغيب وما تسقطمن ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمـــت الا رض ولا رطب ولا يابس الا في كتـــب مبين) ,او قوله سبحانه : (وكفى بربك بذنوب عبـــاده خبيرا بصيرا) , (سورة الاسرا ـــالاية ـــ ١٧) , فانه تحذير شديد لجميع بني البشر واشعار بالخوف والرجا في كل مايصدر منهم من عمل .
ومـــن جـــهـــة آخرى فان الاعتقاد بان الناظر والرقيب علينا هو ولي نعمتنا ,كانه يقول لنا : ((كيف تستعينون بنعم اللّه وعطاياه على معصيته)) ؟ ومـــن جـــانب ثالث فان هذه المراقبة تحيي بصيص الامل في قلب الانسان ,ويشعر بعدم كونه وحيدا فـــي مـــواجـــهة الحوادث , بل يشعر بان الرقيب هو من يحيط علما بجميع الكون ومشاكله واسراره الـــبـــاطنية والعلنية , وهو سبحانه وتعالى قدير ورحيم في نفس الوقت وهذه العقيدة ترفد الانسان بالقوة والاستقامة في مواجهة المواقف الصعبة .
ومـــن جـــانب رابع فان الالتفات الى سعة علم اللّه تعالى يدلنا على سعة وعظمة عالم الوجود , وعمق اسرار عالم الخلق والتكوين , وهذا بحد ذاته يمكن ان يكون دافعا مهما نحو التطور

العلمي .

٢ ــ.

الادلة على علم اللّه :. ذكر الفلاسفة والمتكلمون ادلة عديدة لاثبات علم اللّه بجميع الامور ,اهمها الادلة الثلاثة التالية : (والطريف هو ان الايات المذكورة اشارت الى جميع هذه الادلة). (ا).

برهان الخلق والنظم :. ان النظام المذهل الموجود في هذا الكون , والقوانين الدقيقة التي تسيرجميع ذرات الوجود , ابتدا مــن الــذرة وانتها بالمنظومات والكواكب السيارة ,وابتدا من الموجودات المجهرية وانتها بالانسان الــذي هــو ارقى نموذج في الخلق , ومن الاعشاب الاحادية الخلية التي تعيش في اعماق المحيطات ,وحتى الاشجار العظيمة التي يبلغ طولها خمسين مترا وهكذا النظم المعقدة العجيبة التي تسيطر على روح الانسان وقلبه ,والتنوع المذهل الملحوظ في الكائنات الحية , من النباتات والحيوانات , والذي تبلغ انواعها مئات الالاف , فهذه جميعا تدل على علم اللّه اللامحدود.

فهل يمكن ان يصنع احد شيئا ويجهل اسراره ؟.

فخالق العين ونظام الدماغ المعقد , والمدارات الالكترونية العجيبة التي تدور حول نواة الذرة , هو عالم بها حتما.

وعليه فكما يدلنا برهان النظم على وجود اللّه فانه يثبت عدم محدودية علمه ايضا.

ونظرا الى ان مسالة الخلق امر مستمر ودائمي فان الموجودات في حال ((الصيرورة)) المستمرة لا ((الايجاد)) الاول فحسب , وان ارتباطهم مع منشي الخلق لايمكن ان يكون في البداية فقط , بل هو مستمر مع استمرار حياتهم ووجودهم , فسوف تثبت احاطته العلمية بجميع الاشيا وفي كل حال ومكان وزمان ايضا.

ب ــ.

برهان الامكان والوجوب :. ثبت في بحوث معرفة اللّه ان واجب الوجود هو اللّه وحده سبحانه ,وماسواه ممكن الوجود , وثبت ايضا بان الممكنات محتاجة وتابعة له في الوجود والبقا معا , وبتعبير آخر الجميع حاضر بين يديه , وهــذا الــحضورالدائمي دليل على علمه بجميع الامور , لان العلم بحقيقة المعلوم ليست الاحضور ذات المعلوم عند العالم (فتامل).

جــ ــ.

برهان اللاتناهي :. بــغــض الــنــظــر عــن مسالة العلة والمعلول , فان اللّه سبحانه وتعالى وجود غيرمتناهي من جميع الجوانب , لذا لا يخلو منه مكان او زمان (مع انه لايحده مكان او زمان) , لاننا لو افترضنا خلو مكان او زمان من وجوده تعالى فقد حددناه .

لذا فعدم تناهيه يدل على حضوره واحاطته بجميع الوجود , او بتعبيرآخر كل شي ماثل بين يديه .

فهل يمكن ان يكون العلم غير هذا الحضور ؟.
وفي الحقيقة ان موانع العلم اما ان تكون حجب مادية , واما بعدالمسافة , ونحن نعلم انتفا هذه الامور عن ذات الباري .
وكـــما اشرنا في بداية هذا البحث فان في الايات المذكورة اعلاه اشارات واضحة حول هذه الادلة العقلية التي تعبر عن متانة الدليل القرآني ومنطقه المتفوق , وقد اشرنا اليها ضمن تفسير الايات .
٣ ــ.
ان علم اللّه حضوري :. كما ان حقيقة العلم من البديهيات , فمن الواضح ايضا وجود نوعين من العلم لدينا وهما مختلفان تماما : .
الـــنـــوع الاول : نحن نعلم وندرك وجودنا , وارادتنا , وميولنا , حبنا وبغضنا ,مايدور في اذهاننا , بـــدون حاجة الى اي وساطة , اننا نحيط علما بانفسنا ,وافكارنا وحالاتنا الروحية ماثلة بين ايدينا , ولاحجاب فيما بيننا وبينها (ويدعى هذا النوع بالعلم الحضوري).
الـــنـــوع الـــثاني : نحن نعلم بما يحيط بنا من الموجودات ايضا ولكن من المسلم به ان السما والارض والنجوم لم تجد بذاتها طريقا الى ارواحنا وافكارنا , بل نفذت صورهاالى اذهاننا عن طريق آثارها وبـــالـــحـــقـــيـــقـــة ان عرفناه عنهاهو تلك المفاهيم التي مرت الى اعماقنا وهذا النوع من العلم يدعى بالعلم الحصولي .
وعـــلـــم اللّه بـــجميع موجودات العالم من النوع الاول , لانه موجود في كل مكان , ويحيط بكل شي احاطة وجودية , ولا شي بعيد عنه سبحانه .
فـــهو سبحانه لايحتاج الى الحواس وانعكاس صور الموجودات في الذهن , ولا الى المفاهيم الذهنية ابدا , وعلمه بكل شي علم حضوري .
٤ ــ.
علم اللّه اللا متناهي :. ان مـــحـــاولات الانسان المستمرة لكشف اسرار الوجود , التي شغلته منذاليوم الاول من حياته , قد اصـــطحبت معها كنوز العلم التي يمكن ان ندرك ابعادها بمشاهدة ملايين الكتب الموجودة على رفوف المكتبات العالمية الكبيرة , والتي بلغ عدد الكتب في بعضها خمسا وعشرين مليون كتاب .
صـــحـــيـــح ان بعض هذه الكتب مكررة او مترجمة عن بعضها الاخر , لكنه لاريب فى احتوائها على حقائق كثيرة غير مكررة ناجمة عن المساعي الفكرية والتجريبية لكل المجتمع البشري على مدى التاريخ , بغض النظر عن العلوم التي بقيت في اذهان العلما ودفنت معهم .
لكن جميع هذه العلوم بالنسبة الى المجهولات بمنزلة القطرة من البحر اوالذرة من الجبل .
ويمكن بيان اسباب هذه المحدودية بالامور التالية :.
ا ــ محدودية قدرتنا الحسية , فنحن نستطيع ادراك قسم صغير من موجودات عالمنا الحسي

فقط , كما ان قدرتنا على التحليل العقلي ايضا ليست قادرة الا على ادراك قسم صغير من المسائل العقلية .

ب ــ ان عمر الانسان بالنسبة الى عمر عالم الوجود كساعة واحدة لا اكثر.

جـــ ــ يـــعـــد الـــمحل الذي نعيش فيه اي الكرة الارضية صغيرا ومحدودا جدابالمقارنة مع كواكب الـــمـــجـــرات التي لاتعد ولاتحصى , (ويقدر العلما عددالنجوم الموجودة في مجرتنا فقط بمئة الف مـــلـــيـــون كـــوكب , وقد بلغ عددالمجرات التي اكتشفها البشر بهذه الاجهزة الحقيرة لحد الان الف مليون مجرة ومـــن هنا يمكن ادراك سعة علم اللّه , وما اجمل التعبير القرآني في هذاالمجال : (ولو انما في الا رض من شجرة اقلـــم والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمـــت اللّه) (لقمان ــ الاية / ٢٧).

والاهـــم مـــن الجميع هو ان اللّه تعالى عالم بذاته المقدسة ايضا , ولان ذاته المقدسة لامتناهية , فان علمه بهذه الذات اللامتناهية لامتناه ايضا , ولا تستطيع الاعداد او الارقام ان تفصح عن عظمته .

٥ ــ.

اسئلة مهمة حول علم اللّه :. كـــانت هنالك اسئلة على شكل مناضرات بين الفلاسفة والمتكلمين حول علم اللّه منذ قديم العصور , وقد اتسعت فيما بعد , وذلك لكون مسالة العلم بصورة عامة ومسالة علم اللّه بصورة خاصة , معقدة , واهم هذه الاسئلة ما يلي :.

١ ــ كيف يمكن ان يحيط اللّه علما بذاته المقدسة , في حين ان العالم والمعلوم يجب ان يكونا شيئين ؟ فهل يوجد تفاوت بين علم اللّه وذاته المقدسة ؟ وبعبارة اخرى هل يمكن ان يكون اللّه عالما ومعلوما في نفس الوقت ؟.

الجواب :.

اولا : ان هـــذا الـــســـؤال لا ينحصر بعلم اللّه بذاته المقدسة , فهو يجري حتى على علمنا بوجودنا ,فنحن نعلم يقينا بوجودنا وندرك باننا موجودون , فهل يجب ان يكون العالم والمعلوم هنا شيئين ايضا ؟ في حين اننا لسنا باكثر من شي واحد , خصوصا وان علمنا بانفسنا من النوع الحضوري ايضا.

ثـــانيا : نورد هنا ماجابه العلامة المرحوم (الخواجة نصير الدين الطوسي)على نفس هذا السؤال , قال : انه يكفي التغاير الاعتباري اي ان موجودا واحدامن حيث كونه مبدعا عاقلا يستطيع ان يدرك حـــضوره بذاته , فهو عالم , ومن حيث كونه حاضرا عند ذاته , يكون معلوما , وبتعبير آخر ننظر الـــى هـــذا الـــوجـــودالـــواحـــد من زاويتين : من زاوية ادراكه لذاته فنسميه عالما , ومن زاوية انه مدرك فنسميه معلوما (فتامل).

٢ ــ كـــيـــف يحيط اللّه علما بموجودات العالم وهي في حالة تغير دائم ,فهل ان ذاته المقدسة تتغير ايضا الـــجـــواب :يـــصـــح هـــذا الاشـــكال فيما اذا كان علم اللّه بالاشيا الخارجية كعلمنا

حاصل عن طريق (انعكاس صور الاشيا) , لان تغير هذه الموجودات يؤدي الى تغير هذه المفاهيم والصور لكن بما ان عــلم اللّه علم حضوري وجميع الاشيا ماثلة بين يديه , فان هذاالاشكال لامعنى له لان التغير يحصل فــي مــوجــودات هذا الكون فقط , لافي ذاته المقدسة فوجوده ثابت ومحيط بهاجميعا والمتغير هو الــموجودات المحاطه , كما هو الحال فيما لو تحرك شخص معين امامنا فان صورته سوف تقع على شبكية العين , وستتغير هذه الصورة بتغير حاله , فتتغير المفاهيم الذهنية الموجودة عنه في اذهاننا تبعا للتغييرات ,وكل هذا لسبب كون علمنا هنا انعكاسا للاشيا الخارجية فينا , فلو كان علمنابالاشيا الــخارجية علما ناجما من الاحاطة بجميعها , لما حصل اي نوع من التغير , بل لكان التغير فيها فقط (فتامل).

٣ ــ كــيــف يــحصل العلم للّه بالجزئيات , مع ان الجزئيات متعددة ومتكثرة ,وذاته المقدسة واحدة لاتعرف التعدد؟.

الــجــواب : ان هــذا الخطا ايضا نجم عن مقايسة علم اللّه بعلمنا الذي نحصل عليه عن طريق انتقال المفاهيم والصور الذهنية , في حين ان علمه بالموجودات ليس علما حصوليا , بل حضوري , اي ان جــميع الموجودات ماثلة بذاتها بين يديه عز وجل , وهو يحيط بها جميعا دون الحاجة الى مفاهيم او صور ذهنية معينة ((٥٠)) .

٤ ــ كيف يمكن تصور علم اللّه بالحوادث المستقبلية التي ليس لها وجودخارجي في الوقت الحاضر حــتــى تقع في دائرة علم اللّه ؟ فهل توجد لدى اللّه مفاهيم وصور ذهنية عنها ؟ مع تقدسه سبحانه عــن ان يــكون له ذهن , او ان يكون علمه حصوليا ؟ اذا ماعلينا الا ان نستسلم ونقول : بانه سبحانه لايــعلم بالحوادث المستقبلية تعالى غير صحيح ايضا.

عــلــى الــرغــم من ان هذا السؤال والاشكال قد طرح حول العلم بالحوادث المستقبلية , الا انه يرد بــنــفسه حول الحوادث الماضية المعدومة ايضا , لان الحوادث الماضية لا وجود لها الان , فصورة (فرعون) او بني اسرائيل واصحاب (موسى) مثلا لا وجود لها حاليا وقد تلاشت ,كما ان تاريخها قــد فــات ايضا ,فنحن نستطيع الوقوف على الماضي بمجرد ان نستحضر في اذهاننا صوره فحسب لان عــلــمــنــا عــلم حصولي يتحقق بواسطة المفاهيم والصور الذهنية فقط ,وبما ان علم اللّه علم حضوري فهو لايعرف اي لون من الوساطة والمفاهيم ,فكيف يمكن تصور علمه بالحوادث الماضية ؟.

الجواب : يمكن الاجابة على هذا السؤال والاشكال بثلاث طرق :.

١ ــ ان اللّه مــحــيــط دائما بذاته المقدسة التي هي علة جميع الكائنات ,وهذا العلم الاجمالي بجميع حوادث وموجودات الوجود ازلي وابدي (اي قبل الايجاد وبعده).

وبــتــعــبــيــر آخــر لو علمنا علل الاشيا , لاستطعنا ان نعلم نتائجها ومعلولاتهاايضا , لان كل علة تستبطن جميع كمالات معلولها واكثر.

ويــمــكــن شــرح هذا الكلام بشكل اوضح كما يلي : ان الحوادث الماضية لم تنمح تماما ,

فان آثارها مـــوجودة في طيات الحوادث الانية , وكذلك بالنسبة الى الحوادث المستقبلية فهي غير منفصلة عن الحوادث الانية , ولها علاقة معها ,وعليه فـــ((الماضي)) و((الحاضر)) و((المستقبل)) يشكلون مـــعـــا ســـلـــســـلـــة شـــبيهة بالعلة والمعلول , بحيث لو اطلعنا على كل واحدة منها بدقة , لشاهدنا فيه الحلقات القبلية والبعدية لهذه السلسلة .

فـــمـــثـــلا لو احطت علما وبدقة بمناخ جميع الكرة الارضية , وبكل مميزاته ,وجزئياته , وعلله , ومـــعلولاته , وحركة الكرة الارضية , ومسالة الفعل وردالفعل , لاستطعت ان احيط علما بوضعية الـــمـــناخ قبل او بعد ملايين السنين بصورة دقيقة لان شواهد الماضي والمستقبل موجودة فعلا , لا الشواهدالاجمالية بل تفصيلات الشواهد المنعكسة في جزئيات الحاضر.

فالحاضر يعكس الماضي , والمستقبل يعكس الحاضر , والاحاطة العلمية الكاملة بجزئيات الحاضر , معناها الاحاطة الكاملة بحوادث الماضي والمستقبل .

لـــذا فـــعـــندنا تكون حوادث الحاضر ماثلة بين يدي اللّه تعالى بجميع خصوصياتها , فانها بمعنى مثول الماضي والمستقبل ايضا بين يديه عز وجل .

فـــالحاضر مرآة للماضي والمستقبل , ويمكن مشاهدة جميع الحوادث الماضية والمستقبلية في مرآة الحاضر (فتامل).

٢ ــ ويـــوجـــد طـــريـــق آخـــر للاجابة على هذا السؤال نوضحه بالمثال التالي :تصوروا ان شخصا مـــحـــبوس في غرفة صغيرة لايوجد فيها سوى ثقب صغير يطل على الخارج , فعندما تمر قافلة من الابـــل مـــن امـــام هذا الثقب , فان هذا السجين سوف يشاهد اس بعير اولا , ثم رقبته , ثم سنامه , ثم ارجـــلـــه , ثـــم ذنـــبه , وهكذاالحال بالنسبة لسائر الابل الاخرى , فصغر الثقب هذا هو السبب في ايجادحالات من الماضي والحاضر والمستقبل لدى الناظر السجين , لكن المسالة تختلف تماما بالنسبة لـــلواقف على سطح الغرفة وينظر الى الصحرا نظرة شاملة , فهو يشاهد جميع ابل القافلة في وقت واحد.

ومـــن هنا يتضح ان ايجاد مفاهيم الماضي والحال والمستقبل ناجمة عن محدودية نظرة الانسان , فما هـــو مـــاض بـــالنسبة لنا كان مستقبلا لاقوام قد سبقوناوماهو مستقبل بالنسبة لنا الان ماضيا بالنسبة لاقوام ستاتي فيما بعد.

امـــا الـــذات الـــمـــوجودة في كل مكان وقد احاطت بالازل والابد , فان الماضي والحاضر والمستقبل بالنسبه لها لامعنى له , فجميع حوادث الدهرماثلة بين يديها (ولكن كل واحدة في موقعها الخاص) , وهـــي مـــحـــيـــطـــة عـــلـــمـــابـــجـــمـــيـــع الـــحوادث وموجودات العالم , سوا بالماضي , وبالحاضر , وبالمستقبل بصورة متساوية .

ونحن نقر طبعا بان تصور هذه المسالة بالنسبة لنا نحن المحبوسين في سجن والزمان والمكان , امر صعب ومعقد , ولكنه في نفس الوقت قابل للتدقيق والمطالعة .

٣ ــ الطريق الاخر الذي الذي استند عليه الكثير من الفلاسفة , هو ان اللّه تعالى عالم بذاته المقدسة , وبما ان ذاته علة جميع المخلوقات , فان العلم بالعلة سيكون سببا للعلم بالمعلول , وبتعبير آخر فان اللّه تـــعالى جامع لجميع الكمالات الموجودة في جميع المخلوقات باتم صورة , وما هو غير موجود في ذاته المقدسة هو نقائص المخلوقات فقط.

اذن , فـــعـــلمه تعالى بذاته هو بالحقيقة علمه بجميع المخلوقات (وهناك فرق دقيق بين هذا الطريق والطريق الاول يتضح من خلال التامل).

٦ ــ.

علم اللّه في الروايات الاسلامية :. وردت فـــي الروايات الاسلامية تعابير لطيفة جدا , منها ماجا في نهج البلاغة حول علم اللّه , حيث يمكن الاستعانة بها لفهم البحوث بصورة افضل ,نذكر ادناه نماذج منها :.

١ ــ قول امير المؤمنين علي (ع) في باب علم اللّه :.

((يـــعـــلـــم عـــجيج الوحوش في الفلوات , ومعاصي العباد في الخلوات ,واختلاف النينان في البحار الغامرات , وتلاطم الما بالرياح العاصفات)) ((٥١)) .

٢ ــ وقال (ع) في كلام آخر :.

((عالم اذ لا معلوم , ورب اذ لا مربوب , وقادر اذ لا مقدور)) ((٥٢)) .

٣ ــ وقال (ع) ايضا في كلام آخر :.

((قد علم السرائر , وخبر الضمائر له الاحاطة بكل شي , والغلبتة لكل شي)) ((٥٣)) .

٤ ــ في الكافي في باب صفات الذات عن الامام الصادق (ع) قال : ((لم يزل اللّه عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم فلما احدث الاشيا وكان المعلوم , وقع العلم منه على المعلوم)) ((٥٤)) .

يحتمل ان يكون هذا التعبير اشارة الى العلم الاجمالي السابق لحدوث الاشيا والعلم التفصيلي اللاحق لحدوثها.

٥ ــ وفي حديث آخر ورد ان احد اصحاب الامام الرضا (ع) كتب اليه رسالة يسال فيها عن اللّه عز وجـــل : ((اكـــان يـــعلم الاشيا قبل ان خلق الاشيا وكونها؟ او لم يعلم ذلك حتى خلقها واراد خلقها وتكوينها ؟ فعلم ما خلق عند ما خلق ,وما كون عندما كون ؟ فوقع بخطة : لم يزل اللّه عالما بالاشيا قبل ان يخلق الاشياكعلمه بالاشيا بعد ما خلق الاشيا)) ((٥٥)) .

ان كل واحد من التعابير الدقيقة والظريفة التي وردت فى هذه الروايات يعد بابا من البحوث العلمية والمنطقية التي تدور حول مسالة علم اللّه تعالى والتي ذكرناها سابقا.

وقد بلغت الروايات الواردة في علم اللّه من الكثرة بحيث لو جمعت لصارت كتابا مستقلا.

تقسيمات علم اللّه . الف و ب ــ ان اللّه سميع بصير. تمهيد :.

كما نعلم فان صفات اللّه عين ذاته , وذاته عين صفاته , وبتعبير آخر فان اللّه ذات كلها علم , وكلها قدرة , وكلها ازلية وابدية , اي هناك كمال مطلق غيرمتناه جامع لجميع هذه الصفات .

وعليه فان تفكيك الصفات تابع لمنظارنا وادراكنا العقلي .

لـــذا فـــقد تكون احدى هذه الصفات الالهية احيانا ذات فروع كثيرة , وهذه الفروع ايضا تكون تابعة لزاوية نظرنا كوصفه تعالى بصفتي ((السميع)) و((البصير)) ,واللتان تعتبران من

الصفات الالهية المعروفة التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم عشرات المرات .
((السميع)) كناية عن علم اللّه بـ ((المسموعات)) , و((البصير)) كناية عن علمه تعالى بـ((المبصرات)) من الحوادث والاشخاص والاعمال وغيرها.
وعندما تستعمل هذه الالفاظ بخصوص البشر فانها بصدد عضوي العين والاذن , لكنها عندما تستعمل بخصوص الباري تعالى فانها تتجرد من هذه المفاهيم وتفيد حقيقة العلم بالمسموعات والمبصرات وسنوضح ذلك في قسم التوضيحات ان شا اللّه تعالى .
بعد هذا التمهيد نعود الى القرآن الكريم لنستمع الى الايات التالية :.
١ ـ (ليس كمثله شي وهو السميع البصير) (الشورى / ١١).
٢ ـ (ان اللّه يامركم ان تؤدوا الا مانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان اللّه نعما يعظكم به ان اللّه كان سميعابصيرا)(النسا / ٥٨).
٣ ـ (لا يحب اللّه الجهر بالسؤ من القول الا من ظلم و كان اللّه سميعاعليما)(النسا / ١٤٨).
٤ ـ (وقاتلوا في سبيل اللّه واعلموا ان اللّه سميع عليم) (البقرة / ٢٤٤).
٥ ـ (وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب) (سبا / ٥٠).
٦ ـ (هنالك دعا زكريا ربه قال هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا) (آل عمران / ٣٨).
٧ ـ (واتقوا اللّه و اعلموا ان اللّه بما تعملون بصير) (البقرة / ٢٣٣).
٨ ـ (ان اللّه بعباده لخبير بصير) (فاطر / ٣١).
٩ ـ (فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى اللّه ان اللّه بصيربالعباد)(غافر / ٤٤).
١٠ ـ (اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شي بصير) (الملك / ١٩) ((٥٦)) .
شرح المفردات :. (سميع) من مادة ((سمح)) على وزن ((منع)) في الاصل بمعنى القوة السامعة التي بواسطتها يسمع الانسان الاصوات (تاتي بمعنى المصدر , تاتي بمعنى الاسم المصدري ايضا , وقد تطلق هذه الكلمة على عضو السمع اي الاذن احيانا.
واتسع هذا المفهوم فشمل استعمالات اخرى , فهو يطلق ايضا على الادراكات الباطنية الروحية , واتسع اكثر فاستخدم للاشارة الى احاطة اللّه الوجودية بجميع الاصوات .
وقد تسعتمل هذه الكلمة بمعنى الفهم والادراك احيانا , كما ورد في الاية (٢١) من سورة الانفال : (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) ((٥٧)) .
((بصير)) من ((بصر)) (على وزن سفر) وتعني العين كما قال الراغب في مفرداته , وقد تاتي بمعنى حدة النظر احيانا , لذا قد تستعمل بمعنى قوة الادراك والبصيرة الباطنية ((البصر والبصيرة)) احيانا , كما ورد في الاية (٢٢) من سورة ((ق)) : (

فكشفنـــا عنك غطـــائك فبصرك اليوم حديد).
وقد ذكر ((ابن منظور)) في ((لسان العرب)) ايضا نفس هذه المعاني لكلمة ((بصر)) , في حـــيـــن نـــجد ان ((صحاح اللغة)) فسرها بمعنى حاسة النظر , و بمعنى العلم ايضا , وفسرها ((المصباح)) بمعنى النور الذي يمكن للعين رؤية المبصرات عن طريقه .
لـــكـــنـــه يستنتج من مجموع كلمات اصحاب اللغة وموارد استعمال هذه الكلمة , انها تعني اولا عضو النظر , ثم قوة النظر , وبعدها استعملت بمعنى الادراك الباطني والعلم , وفي خصوص الباري تعالى تستعمل بمعنى احاطته الوجودية بالمبصرات .
جمع الايات وتفسيرها :.
هو السميع البصير :. بعد ان نفت الاية الاولى وجود المثل عن اللّه تعالى , وصفته بصفتي السميع والبصير : (ليس كمثله شي وهو السميع البصير).
وواضـــح ان المقصود من ((ليس كمثله شي)) يشمل كلا من ذاته وصفاته وافعاله , لان ذاته واجبة الوجود , وصفاته وافعاله لامتناهية , وما اعتقده بعض المفسرين من ان نفي المثل والشبيه الوارد في هذه الاية يشمل الذات المقدسة فقط ولا يشمل الصفات , محض اشتباه .
صـــحـــيـــح ان هـــنالك صفات كالعالم والقادر والسميع والبصير , تطلق على الخالق والمخلوق , لكنه لاريـــب في ان مفاهيمها متفاوتة في هاتين الحالتين لذافقد قال بعض المفسرين : بان الاية اعلاه تفيد الـــحـــصـــر , اي ان اللّه تعالى هوالسميع والبصير فقط , لانه تعالى سميع بكل ماتعنيه هذه الكلمة , وبصيركذلك , اي يعلم جميع المسموعات والمبصرات ولا احد غيره مثله في هاتين الصفتين .
فـــالـــبشر وسائر الاحيا التي تمتلك عيونا وآذانا تدرك فقط اجزا محدودة من الالوان والاصوات , وقد ثبت الان علميا ان الامواج الصوتية التي تعجز اذن الانسان والحيوانات عن ادراكها تفوق بكثير ماتستطيع ادراكه , وهكذا في موردالالوان والمبصرات .
يعلم ماتعملون :. بعد ان امر اللّه سبحانه وتعالى عباده في الاية الثانية بادا الامانات الى اهلها والحكم بين الناس بالعدل , وصف نفسه بهاتين الصفتين اللتين لهما علاقة وثيقة ولطيفة بالامرين الواردين في بداية الاية حيث قال تعالى : (ان اللّه يامركم ان تؤدوا الا مانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان اللّه نعمايعظكم به ان اللّه كـــان سميعا بصيرا).
وكما نعلم فان الامانات الواردة في الاية ذات معنى واسع وعميق , وقدورد في روايات اهل البيت : بانها تشمل حتى مسالة امامة وقيادة الناس , فهي امانات الهية ويجب ان تودع عند اهلها ((٥٨)) .
وكـــذلك فان تعبيره سبحانه بكلمة (الناس) يشمل جميع البشر حتى من هم غير مسلمين , اي ينبغي رعاية اسس العدالة بين جميع بني البشر , ومعاملة الصديق والعدو , والغريب والقريب

بالتساوي .
للبحث حول مسالتي الامانة والعدالة , اللتين هما روح المجتمع الانساني وروح الحكومة الاسلامية , محل آخر طبعا , وسنتاول ذلك فيما بعد الغرض هناهو معرفة علاقة هاتين المسالتين بصفتي ((السميع)) و((البصير)) المنسوبتين الى اللّه تعالى .
وهذه الجملة بالحقيقة هي تحذير لكل من يتولى منصبا رئاسيا , او ياخذعلى عاتقه حمل امانة معينة , او قضا وحكما بين الناس , وهذا التحذير كانه يقول لنا : اعلموا بان اللّه تعالى رقيب عليكم يعلم ماتعملون , ويسمع ماتقولون وهذا يثبت بان لصفات اللّه جانبا تربويا بالاضافة الى مسالة العقيدة .
بالاضافة الى انه من المحتمل ان تكون هاتين الصفتين اشارة الى نقطة اخرى , وهي ان مسالة ادا الامانة والحكم بين الناس تحتاج الى اذن سميعة وعين بصيرة , فلايمكن البت في الامور بدون سماع صوت المظلومين , ومعرفة حقيقة مظالمهم , والتمعن الكامل في هذه الامور ويجدر الالتفات الى ان فعل (كان) يدل على ملازمة هذه الصفات للذات الالهية المقدسة , فهو سبحانه وتعالى سميع بصير دائما وابدا.
ومايجدر ذكره هو تقارن هاتين الصفتين (السميع والبصير) في مواضع اخرى ايضا من القرآن. والملفت للنظر هو تقدم صفة السميع على البصير في كل مواضع القرآن التي وردت فيها هاتان الصفتان سوية , ولعل السر في ذلك يكمن في كون القول يسبق العمل , وحيث ان هذه الايات تهدف الى تنمية الحالات التربوية لانسان ,فهي تريد ان تخاطب الانسان وتقول: ((يايها الانسان ان ربك يسمع اقوالك ثم يرى اعمالك)).
هو السميع والعليم :. دار الحديث في الاية الثالثة عن ((السميع)) و((العليم)) حيث ذكرت المظلومين وسمحت لهم بالوشاية والاذاعة ضد الظالمين , قال تعالى : (لا يحب اللّه الجهر بالسؤ من القول الا من ظلم و كان اللّه سميعا عليما).
اما المقصود من ((الجهر بالسؤ)) , فقد قال بعض المفسرين : انه بمعنى لعن المظلوم للظالم , وفسره البعض الاخر بالسب والشتم , والبعض الاخربمعنى الترافع الى القاضي , او بمعنى تعرية ظلم الظالمين امام الناس في الغيبة والحضور.
((لكن مناسبة الحكم للموضوع)) توجب اباحة هذه الامور في مجال دفع الظلم , وكسب الراي العام ضد الظالم فقط , لذا فمن الافضل ان تنحصر مسالة سب وشتم الظالمين بالمجال الذي تكون عاملا مساعدا للنهي عن المنكرومحاربة الظلم والفساد.
وجملة (و كان اللّه سميعا عليما) تصلح في ان تكون مستثنى , كما تصلح ان تكون مستثنى منه ايضا , اي انها تحذير للمغتابين الذين لم يتعرضوا للظلم ,كما انها تحذير للمظلومين لئلا يتعدوا حدود اللّه , ويراعوا العدل والانصاف .
والجدير بالذكر هو ان السبب في ذكر صفتي السميع والعليم يكمن في تحدث الاية عن الجهر

بالسوء ودوافعه الذاتية الخفية , فقالت : بان اللّه يسمع هذا الكلام , وهو عليم بنيات المظلومين قائليه .

واما ماقاله البعض : من ان مفهوم الاية هو جواز رد الشتم بالمثل , كما لوقال احد لشخص : (ايها الزاني) , يجوز لهذا الشخص ان يرد عليه بذلك , خطاكبير لانه يجب مواجهة ظلم الظالم باحقاق الحق , لا بارتكاب ظلم آخر ,ويجب النهي عن المنكر ودفع شر الظالم , لا ارتكاب منكر آخر وتربية ظالم آخر.

على اي حال , فان هذه الاية تدل على رفض الاسلام الركون الى الظالمين , بعكس مانسبه البعض الى السيد المسيح (ع) من انه قال : ((لو ضربك احد على خدك الايمن , فقدم له خدك الايسر)) جهادكم مراقب من قبله :. نواجه في الاية الرابعة تعبيرا جديدا ايضا , حيث امرت الناس بالتوجه الى هاتين الصفتين الالهيتين (السميع والعليم) , قال تعالى : (وقاتلوا في سبيل اللّه واعلموا ان اللّه سميع عليم).

والتعبير بعبارة (في سبيل اللّه) تعبير لطيف وغني جدا , حيث وضح للجميع بان الهدف من الجهاد الاسلامي ليس كسب السلطة الدنيوية واحتلال الدول ــ كما اتهمنا به الكثير من مفكري الغرب , بل فتح الطرق الى اللّه ــ طرق الطهارة والتقوى والحق والعدالة ــ.

وجملة (واعلموا ان اللّه سميع عليم) تحذر جميع المجاهدين المسلمين لكي يراقبوا اقوالهم ونياتهم , ويتجنبوا كل مايشوه المعنى السامي والجميل لكلمة (في سبيل اللّه) , وكذلك فانها تزيد من معنوياتهم عندما يثقون بان اللّه معهم اينما كانوا , ويعلم حالهم .

انه قريب منكم :. وفي الاية الخامسة يلاحظ ايضا تعبير جديد , وهو اقتران مفهوم ((السميع)) مع مفهوم ((البصير)) , حيث قال سبحانه مخاطبا رسوله الكريم (ص) :(قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب).

وهذه الاية تشير الى احتمال ضلال الرسول بدون الوحي الالهي , وان الذي يعصمه (ص) من الخطا ويهديه الى الحق والصواب هو الوحي الالهي , لاالتفكر والاستدلال البشري المعرض للخطا.

وقد ورد في بعض التفاسير بان جماعة من المشركين قالوا للرسول (ص) :لقد ظللت يامحمد , لانك تركت دين اجدادك , فنزلت هذه الاية واجابتهم عن لسان رسول اللّه (ص) : بانه لو كنت اعتمد على نفسي في هذا الامر لكنتم محقين في اتهامكم لي بهذه الاتهامات , ولكن ارتباطي بالوحي الالهي لايبقي معنى للضلال في هذه الحالة , وذلك لانه تعالى يعلم اسرار الغيب , (وهي العبارة التي وردت في الايتين السابقتين) , وهو السميع البصير (العبارة الواردة في الايات الثلاثة السابقة) وهو السميع القريب (هذه العبارة الواردة في ذيل هذه الاية المعنية لبحثنا).

ويستنتج من هذه الاية ايضا ان الاعتماد على النفس هو الذي يقودالانسان الى الضلال , وان الاعتماد على القوة العقلية ايضا لايوصله الى مكان معين , وانه يحتاج لبلوغ مراده الى الاستنارة بنور الوحي الالهي .

والملاحظة الاخيرة هو ان قرب اللّه منا ليس كقرب بعضنا من بعض , بل هو اقرب الينا من انفسنا , كما سنبحث هذا في محله ان شا اللّه تعالى .

انه سميع الدعا :. طرحت الاية السادسة تعبيرا جديدا ايضا , حيث وصفته تعالى بسميع الدعا , فنقلت عن زكريا (ع) : (هنالك دعا زكريا ربه قال هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا) ((٥٩)) .

وبالرغم من ان السميع من السمع , لكنها في مثل هذه الحالات تعطي معنى السامع ومعنى المجيب وذلك لان من لم يستجب لندا معين كانه لم يسمعه ((٦٠)) .

انه تعالى بصير :. اكدت الاية السابعة على مفهوم البصير بما يعمل الانسان , والذي يعدالمحور الاساس للمسائل التربوية , قال تعالى : (واتقوا اللّه و اعلموا ان اللّه بماتعملون بصير).

وذكر هذه الجملة بعد اصدار سبعة اوامر حول رضاعة الاولاد , وحق الاولاد والامهات والمرضعات , ومسؤولية الوالد تجاههم , وبديهي ان فقدان التقوى هنا , وعدم خوف الانسان من المراقبة الالهية سوف يكون مانعا عن ايجاد علاقات اجتماعية سليمة داخل الاسرة لحفظ حقوق الجميع , وقداثبتت التجارب صعوبة توطيد اسس الحق والعدالة في النظام الاسري باستعمال قوة القانون والخوف والعقوبات , وان السبيل الوحيد لذلك هو حلول روح التقوى والايمان باللّه سبحانه وتعالى وبانه بكل شي بصير.

ان اللّه خبير باحوال العباد :. يلاحظ في الاية الثامنة تعبير جديدا ايضا , وهو اقتران مفهومي الخبيروالبصير مع بعضهما , فقد تحدثت الاية في بدايتها عن الوحي الالهي , وانزال القرآن الكريم بعد الكتب السماوية السابقة له , ثم قال تعالى : (ان اللّه بعباده لخبير بصير).

ان هذه الجملة تشير الى ان هذا الكتاب السماوي متناغم مع وضعية البشر واحتياجاته في جميع المجالات , لانه نازل من لدن خبير بكل شي وبصير بكل حوائج الانسان .

وقد فسرت هذه الاية ايضا بانها رد على اشكال من كانوا يعترضون على انزال القرآن على محمد (ص) لكونه يتيما وفقيرا , فقال تعالى : بانه الخبيروالبصير بعباده ويعلم ايهم اكثر استعدادا لتحمل عب الرسالة الشريفة (ولا يمكن الاستدلال على هذا المعنى بقرينة الاية التي تلت هذه الاية) ((٦١)) .

ولا باس بالجمع بين التفسيرين .

وذهب بعض المفسرين : الى ان كلمة خبير هنا كناية عن الاحاطة بالامورالمعنوية

والروحية , وبصير كناية عن الاحاطة بالامور الجسمانية , ولهذا السبب تقدمت كلمة الخبير على كلمة البصير .

وبالرغم من ان كلمة الخبير المشتقة من الخبر ذات معنى واسع جدايشمل كل احاطة بظواهر الامور وبواطنها , الا ان اقترانها بصفة البصير يوحي الى كونها كناية عن الاحاطة بباطن الامور (وقد ذكر الراغب في مفرداته بان احدمعاني هذه الكلمة هو العلم بباطن الامور).

انه بصير بالمشاكل التي تواجه عباده :. ذكرت الاية التاسعة صفة البصير فقط , واما ماجا من انه بصير بعباده وجاجتهم الى الامداد الالهي فهذا جا نقلا لخطاب مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم ايمانه مع آل فرعون وبذل النصح لقوم موسى (ع) عندما كانوا يخططون لقتله , وهددهم بالعذاب الالهي وصرفهم عن هذا العمل فقال لهم (فستذكرون ما اقول لكم) فان حملتم كلامي هذا على التعاون مع موسى (ع) وقصدتم ايذائي فاني : (وافوض امري الى اللّه ان اللّه بصير بالعباد).

وبالتالي فقد نجى اللّه سبحانه هذا العبد المؤمن المجاهد من المؤامرات العديدة التي حيكت ضده (والتي كان من جملتها التعذيب والاعدام).

وبالحقيقة , ان التذكير بكون اللّه بصيرا بالعباد هنا انما هو كناية عن عدم تخلي مثل هذا الرب عن عباده المجاهدين المخلصين , وان مثل هؤلا العبادبايمانهم بمثل هذا الرب سوف لايهابون الصعاب , ومن هذه الجهة فقد اشارت الاية التي بعدها الى نجاته من مخالب الاعدا في ظل اللطف الالهي .

وهذه المسالة جديرة بالذكر ايضا , وهي الاصرة الوثيقة الموجودة بين كون اللّه سبحانه بصيرا بعباده وبين تفويض الامور له , لانه كيف يمكن ان يدافع عن الانسان من لايعلم مشاكل الانسان وحوائجه الظاهرية والباطنية ؟ وبتعبيرآخر فالتفويض بمعنى ثمرة الايمان بكون اللّه بصيرا بالعباد وامورهم ,والتفويض هنا طبعا لايعني ان يتقاعس الانسان ويتكاسل ابدا , لان هذا الكلام صدر من رجل مجاهد جازف بحياته من اجل الدفاع عن موسى (ع) ورسالته ,بل المقصود هو ادا التكليف ثم تفويض الامر الى اللّه سبحانه وتعالى .

الطير فوقهم صافات . واخيرا نجد ان المسالة خرجت من دائرة اعمال العباد في الاية العاشرة والاخيرة من ايات البحث , حيث اشارت الاية الى جميع عالم الوجود وكون اللّه بصيرا بتنظيم قوانينه : (اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن).

فمن الذي يمسك هذه الاجسام الثقيلة في الجو التي تقاوم قانون الجاذبية , لساعات او اسابيع او اشهر ؟ وقد تواصل بعض الطيور المهاجرة طيرانها لمدة اسابيع واشهر متواصلة وبدون ادنى توقف , (ما يمسكهن الا الرحمن).

لماذا ؟ لـ (انه بكل شي بصير).

فهو يعلم جميع القوانين التي تساعدهم على الطيران باطمئنان وسكينه تامة , لانه هو

خالق هذه القوانين ومنظمها.

اجل , انه هو الرحمن الذي وسعت رحمته العامة جميع الوجود , وهوالذي منح هذه الطيور شكلا مناسبا ووزنا مناسبا وارجلا وعيونا وحواس مناسبة لكي تتمكن من التحليق في جو السما العالية .

واللطيف هو ان اسلوب الطيران وكيفية ابتدائه وانتهائه متفاوت جدالدى انواع الطيور طبقا لهيكلها واسلوب معيشتها والمحيط الذي تتواجد فيه ,والالطف من ذلك هو ان انواعا من الطائرات قد صممت وصنعت لحد الان بالاقتباس من اشكال واجنحة الطيور المختلفة , وهذا هو تجلي معنى الاية (انه بكل شي بصير) , وان لم يتجل لنا هذا المعنى بان كنا متطبعين على عجائب هذاالعالم , فان مشاهدة الطيور الجميلة السابحة في جو الفضا بحركاتها الجذابة الماهرة التي تجذب اليها الانظار , كافية لادراك قدرة وعلم هذا الخالق البصير.

نتيجة البحوث :.

نستنتج من مجموع الايات المذكورة اعلاه بان اللّه لايخفى عليه مثقال ذرة في السما ولا في الارض والايمان بهذه الحقيقة يحتمل ان يكون له تاثيربليغ في ايقاظ الانسان وتربيته , لذا , فالايات اعلاه ايضا تدور غالبا حول محورالمسائل الانسانية التربوية .

التوضيحات :.

١ ــ.

معنى كون اللّه سميعا بصيرا :. ان جميع علما الاسلام يذكرون اللّه تعالى بصفات ((السميع)) و((البصير)) , وذلك لتكرر هذه الصفات في القرآن الكريم .

ولكنهم اختلفوا في تاويلهما.

اعتقد المحققون بان كون اللّه سميعا وبصيرا لايتعدى احاطته وعلمه بالمسموعات والمبصرات , ولان لهاتين الكلمتين مفهومان يستعملان للتعبيرعن قوة سمعنا وبصرنا , فلذلك يتبادر الى الذهن عضوا الاذن والعين , ولكن من البديهي انهما عندما تستعملان لوصف الباري سبحانه وتعالى تتجردان عن مفاهيم الالات والادوات والاعضا الجسمانية , لان ذاته المقدسة اسمى واجل من الجسم والجسمانيات .

وهذا ليس تعبيرا مجازيا طبعا , وان سميناه مجازيا فهو مجازي مافوق الحقيقة , لانه يعلم ويحيط بالمسموعات والمبصرات وهي ماثلة بين يديه تعالى بحيث يسبق ويفوق كل سمع وبصر , لذا فقد ورد وصفه تعالى فى الادعية باسمع السامعين وابصر الناظرين .

لكن جماعة من قدما المتكلمين اعتقدوا بان صفتي السميع و العليم ,تختلفان عن صفة ((العلم)) , وهؤلا لابد لهم من الاعتقاد بان صفتي السميع والبصير من الصفات الزائدة على ذات اللّه , وهذا يعني الاقرار بتعدد الصفات الازلية , وهو نوع من الشرك , والا فكون

اللّه سميعا بصيرا لايمكن ان يكون سوى علمه بالمسموعات والمبصرات .

٢ ــ.

السميع والبصير الواردة في نهج البلاغة والروايات :. بــحثت الروايات الاسلامية هذه الصفات الالهية بشكل عميق ودقيق ,ونتطرق هنا الى ذكر نموذج منها لتكملة البحث .

١ ــ في خطبه لامير المؤمنين علي (ع) قال :.

((كل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات , ويصمه كبيرها , ويذهب عنه مابعد منها , وكل يصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الا جسام)) ((٦٢)) .

٢ ــ وفي مكان اخر قال (ع) :.

((والسميع لا باداة , والبصير لا بتفريق آلة)) ((٦٣)) .

٣ ــ وفي خطبة آخرى قال :.

((فاعل لا بمعنى الحركات والالة , بصير اذ لا منظور اليه من خلقه)) ((٦٤)) .

٤ ــ وورد عن الامام الصادق (ع) عندما ساله زنديق عن اللّه عز وجل انه سميع بصير قال:.

((هــو ســمــيع بصير , سميع بغير جارحة , وبصير بغير آلة , بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه) ((٦٥)) .

٥ ــ في البحار عن الامام الصادق (ع) عن احد اصحابه قال له : ان رجلاينتحل موالاتكم اهل البيت يقول : ان اللّه تبارك وتعالى لم يزل سميعا بسمع ,وبصيرا ببصر , وعليما بعلم , وقادرا بقدرة .

قال : فغضب (ع) ثم قال :.

((مــن قال ذلك ودان به فهو مشرك , وليس من ولايتنا على شي , ان اللّه تبارك وتعالى ذات علامة سميعة بصيرة قادرة)) ((٦٦)) .

٣ ــ.

الاثر التربوي للايمان بكون اللّه سميعا بصيرا :. ان تاكيد القرآن على وصف الباري تعالى بهاتين الصفتين له آثار تربوية مهمة , فهو يذلل الطريق امام الــمسلمين للوصول الى معرفة اللّه من جهة , ومن جهة اخرى يدعوهم جميعا الى التخلق بهذا الخلق الــكــريــم والــتــشبه بهاتين الصفتين الالهيتين , ومن جهة ثالثة يلقي في قلوب المؤمنين السكينة من حــيث كون يد العناية والحماية الالهية معهم في كال حال , ومن جهة رابعة تحذيرللمؤمنين ليراقبوا اقوالهم واعمالهم لان اللّه محيط بها علما.

وقــد اكــدت الــروايات الاسلامية الشريفة ايضا على هذه المسالة التربوية المهمة التي من جملتها مايلي :.

١ ــ ورد عــن الامام الصادق (ع) حديث يعض به احد خواصه وهو(اسحاق بن عمار) قال

(ع) : ((يا اسحاق خف اللّه كانك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك , فان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثك يرزم لخ بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين عليك)) ((٦٧)) .

٢ ــ وفي حديث اخر عن الامام الصادق (ع) في تفسير الاية : (ولمن خــاف مقام ربه جنتــان) قال :.

(من علم ان اللّه يراه و يسمع مــا يقول و يعلم مــا يعمل من خير اوشر , فيحجزه ذلك عن القبيح من الا عمــال , فذلك الذي خــاف مقــام ربه ونهى النفس عن الهوى) ((٦٨)) .

٣ ــ وكــذلــك مــاورد في تفسير (علي بن ابراهيم) عن الامام الصادق (ع) انه قال : ((لما همت به وهــم بها قامت الى صنم في بيتها فالقت فيه ملاة لها فقال لهايوسف : ما تعملين ؟ قالت : القي على هذا الــصــنــم ثوبا لايرانا فاني استحي منه فقال يوسف : فانت تستحين من صنم لا يسمع ولا يبصر ولا استحي انا من ربي ؟)) ((٦٩)) .

٤ ــ ورد فــي تــفسير روح البيان في ذيل الاية (وافوض امري الى اللّه ان اللّه بصير بالعبــاد) (غافر / ٤٤).

خــرج بــعض الاصحاب (رضي اللّه عنهم) الى الصحرا فطبخوا الطعام ,فلما تهياوا للاكل راوا هنالك راعيا يرعى اغناما فدعوه الى الطعام , فقال الراعي : كلوا انتم فاني صائم فقالوا له على سبيل الاخــتــبــار : كــيف تصوم في مثل هذا اليوم الشديد الحرارة فقال لهم : ان نار جهنم اشد حرا منه , فاعجبهم كلامه فقالوا له : بع لنا غنما من هذه الاغنام نعطك ثمنه مع حصة من لحمه , فقال لهم :هذه الاغنام ليست لي وانما هي لسيدي ومالكي , فكيف ابيع لكم مال الغير ؟فقالوا له : قل لسيدك انه اكله الذئب او ضاع : فقال : اين اللّه ابــن مــســعــود مــن مالكه مع الاغنام فاعتقه , ووهب الاغنام له , وكان ابن مسعود يقول له في بعض الاحيان بطريقه الملاطفة : اين اللّه ((٧٠)) .

وهــنــالــك نــمــاذج كثيرة من هذا القبيل , منقولة في التاريخ والروايات الاسلامية , تدل على الاثر الــتــربــوي الــبليغ النابع من الايمان بعلم اللّه وبتواجده في كل مكان , وبكونه سميعا وبصيرا , في الحجز عن المعاصي والذنوب .

٤ ــ.

اللّه المدرك :. عــد علما العقائد صفة ((المدرك)) من احدى صفات اللّه , وقد اشارالقرآن الكريم الى هذا المعنى فــي الاية الثالثة بعد المائة من سورة الانعام حيث قال : (لا تدركه الا بصــار وهو يدرك الا بصــار وهو اللطيف الخبير).

قــال الــمــتــكــلــمون : بان المدرك بمعنى السميع والبصير , وعليه فهذه الكلمة تجمع كلتا الصفتين ((٧١)) .

وقــد قــال الــراغــب فــي الــمفردات : بان ((الادراك)) معناه الوصول الى نهاية الشي

,لكن البعض فسروها بالمشاهدة العينية , والبعض الاخر قالوا : انهابمعنى المشاهدة ببصيرة القلب .

وفـــي الحقيقة فانه لاشي في اللغة يدل على ان معنى الادراك هو الادراك الحسي , بل وكما قلنا فان الادراك مـــعـــناه الوصول الى نهاية الشي والاحاطة به ,سوا كان حسيا ام عقليا ومايثير العجب اكثر هو انه على الرغم من ان الاية اعلاه قالت وبعبارة صريحة : ((لاتدركه الابصار (سوا في الدنيا ام فـــى الاخـــرة , وســـوافـــي ذلـــك الـــرســـول (ص) فـــي ليلة المعراج ام غيره) فمع ذلك اصر بعض الـــمـــفسرين على حمل الاية على خلاف معناها الظاهري , وقالوا : بانه يمكن رؤية اللّه في الاخرة على الاقل , وذكروا عدة توجيهات في هذا المجال , وقد ذكر الفخرالرازي اربعة نماذج منها في تـــعليقه على هذه الاية ((٧٢)) , جميعها ضعيفة جدا وتبعث على التاسف وتدل على ميل البعض في تحميل القرآن آرائهم الباطلة باي ثمن كان .

وســـنـــبـــحـــث هذا الموضوع بتفصيل اكثر في شرح الصفات الالهية السلبية انشا اللّه تعالى وسوف نـــلاحـــظ عكس ذلك تماما في روايات اهل البيت :حيث لم تكتف فقط بنفي قدرة الانسان على رؤيته تعالى , بل حتى نفت قدرة العقل البشري على ادراك كنه ذاته المقدسة .

فروع اخرى من علمه تعالى . جـــ ـــ.

ان اللّه حكيم . تمهيد :.

الـــجـــديـــر بـــالـــذكر هو ان القرآن الكريم وصف الذات الالهية المقدسة بـــ ((الحكيم)) في تسعين موضعا وقد اقترنت في كثير من المواضع مع صفة ((العزيز)).

واحيانا مع صفة ((الخبير)).

واخرى مع صفة ((العليم)).

واخرى مع صفة ((الواسع)).

واحيانا مع صفة ((التواب)).

واحيانا مع صفة ((العلي)).

واحيانا اخرى مع صفة ((الحميد)).

وكما سنرى فيما بعد فان كل واحدة من هذه الصفات تعطي مفهوما اكمل واشمل عندما تاتي مع صفة الحكيم .

وعلى اي حال فان حكمة اللّه ماهي الا علمه واحاطته بتدبير الوجودونظم الخلق .

بعد هذا التمهيد نصغي خاشعين الى الايات التالية :.

١ ـــ (ان اللّه عزيز حكيم) (التوبه / ٧١).

٢ ـــ (و اللّه عليم حكيم) (التوبه / ١٠٦).

٣ ـــ (كتـــاب احكمت آيـــاته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (هود / ١).

٤ ـــ (ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته وان اللّه تواب حكيم) (النور / ١٠).

٥ ــ (تنزيل من حكيم حميد) (فصلت / ٤٢).
٦ ــ (انه علي حكيم) (الشورى / ٥١).
٧ ــ (وكــان اللّه واسعا حكيما) ((٧٣)) (النسا / ١٣٠).
شرح المفردات :.
(سميع) من مادة ((سمع)) على وزن ((منع)) في الاصل بمعنى القوة السامعة التي بواسطتهايسمع الانسان الاصول (تاتي بمعنى المصدر تاتي بمعنى الاسم المصدري ايضا) وقد تطلق هذه الكلمة على عضو السمع اي الاذن احيانا.
واتــســع هذا المفهوم فشمل استعمالات اخرى فهو يطلق ايضا على الادراكات الباطنية الروحية , واتسع فاستخدم للاشارة الى احاطة اللّه الوجودية بجميع الاصوات .
وقــد تــسعمل هذه الكلمة بمعنى الفهم والادراك احيانا , كما ورد في الاية (٢١) من سورة الانفال : (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون) ((٧٤)) .
((بــصير)) من بصر على وزن ((سفر)) ــ كما قال الراغب في مفرداته ــ بمعنى العين , وقد تاتي مــعنى قوة النظر احيانا , لذا قد تستعمل بمعنى قوة الادراك والبصيرة الباطنية والبصيرة والبصر احيانا , كما ورد في الاية (٢٢) من سورة (ق) : (فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد).
وقــد ذكر ((ابن منظور)) في ((لسان العرب)) ايضا نفس هذه المعاني لكلمة ((بصر)) في حين نــجــد ان ((صــحــاح الــلغة)) فسرها بمعنى حاسة النظر وبمعنى العلم ايضا , وفسرها ((مصباح البصر)) بمعنى النور الذي يمكن بواسطته رؤية المبصرات .
لــكــنــه يــستنتج من مجموع كلمات اصحاب اللغة وموارد استعمال هذه الكلمة انها تعني اولا عضوا الــنــظــر , ثم قوة (حاسة) النظر وبعدها استعملت بمعنى الادراك الباطني والعلم , وفي خصوص الباري تعالى تستعمل بمعنى احاطته الوجودية والمبصرات .
جمع الايات وتفسيرها :.
قدرته مندمجة مع حكمته :. الجدير بالذكر ان الصفات التي وصف اللّه تعالى ذاته المقدسة بها في ذيل الايات القرآنية لها علاقة وثيقة وخاصة مع محتوى الاية , بحيث ان التدقيق في هذه المسالة يرشد الى نقاط مهمة , فباخذ هذه المسالة بنظر الاعتبار نتناول تفسير الايات اعلاه .
بعد ان ذكر سبحانه في الاية الاولى قسما من الواجبات الاسلامية حول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر , واقامة الصلاة وادا الزكاة وماشاكل ذلك ,وبعد التذكير بشمول رحمته عباده المطيعين , قال عز وجل : (ان اللّه عزيزحكيم).
((الــعــزيــز)) من ((العزة)) اي عدم المغلوبية , والاصل في استعمالها هو في التعبير عن الاشيا الــصــلبة التي لاينفذ فيها شي , وعليه فان صفتي ((عزيزوحكيم)) هنا تدلان على قدرته وعلمه اللامتناهيان .

والـــجدير بالذكر هو ان هاتين الصفتين قد وردتا معا في الكثير من الايات القرآنية , واكثر ماورد ذكـــرها في الايات التي تحدثت حول تشريع الاحكام ,وبعث الانبيا , ونزول القرآن (كالايات ١٢٩ و ٢٠٩ و ٢٢٨ مـــن سورة البقرة ,والاية الثانية من سورتي الجاثية والاحقاف) وذلك للتذكير بان اللّه تـــعـــالـــى قـــدفـــصـــل جـــمـــيع ما يحتاجه البشر بتشريع القوانين وانزال القرآن بدقة متناهية , لانه علاوة على كونه حكيما وعليما , فهو قادر على هذا العمل ايضا.

وبـــتـــعبير آخر , ان افضل القوانين يشرعها من هو اعلم واكثر اقتدارا من الجميع , وهو اللّه ولا احد غيره .

والـــحـــديث في قسم من الايات التي ختمت بصفتي ((عزيز حكيم)) هو عن خلق السما والارض , وتـــسبيح الكائنات له تعالى , او تنظيم خلقة الجنين ,وماشاكل ذلك (كالاية (١) من سورة الحديد , والاية (٢٤) من سورة الحشر ,والاية (٦) من سورة آل عمران).

وهو كناية عن كون عالم التشريع لايكون لوحده قائما في ظل علم اللّه تعالى وحكمته , بل ان عالم التكوين كذلك ايضا.

وفي قسم آخر عن افعال اللّه تعالى كالقيام بالقسط , وخلق المسيح (ع) ,ونصر المؤمنين في القتال , وتاليف قلوب المؤمنين , وختمت بعبارة ((عزيزحكيم)) هي (كالايات ١٨ ــ آل عمران , و٦٢ , و ١٢٦ من سورة آل عمران ,والاية ٦٣ من سورة الانفال).

وهذه الايات تشير الى ان افعال اللّه تعالى ايضا تتفرع من علمه اللامحدود وقدرته المطلقة .

واحـــيـــانـــا نجد ان بعض الايات تتحدث عن الثواب والجزا وتختتم بـــ(العزيز الحكيم) (المائدة ــ ١٨) , كـــنـــايـــة عـــن كون العطايا الالهية ايضا قائمة على اساس الحكمة والحساب الدقيق , وكذلك اشـــارة الـــى قـــدرة اللّه تـــعالى على تنفيذماوعده به عباده المؤمنين من العطايا العظيمة , والى عجز المجرمين عن الفرارمن جزائه تعالى .

واخـــيـــرا فـــقـــد يكون تلازم هاتين الصفتين من اجل اضاة بصيص الامل في قلوب المؤمنين وتهدئة خـــواطـــرهم , ليدركوا بانهم ليسوا لوحدهم ابدا في مواجهة الصعاب والاعدا , كالاية الشريفة : (ومن يتوكل على اللّه فان اللّه عزيزحكيم) (الانفال ــ ٤٩).

وخـــلاصـــة الـــكـــلام فان عزة اللّه تعالى وقدرته لاتبقي مجالا لاي مانع دون تنفيذ ارادته ومشيئته ســـبحانه , فهو على كل شي قدير , فله تعالى القدرة على ادارة نظام التكوين ونظام التشريع , وعلى الدفاع عن اوليائه واحبائه سبحانه .

ولـــكـــونه سبحانه حكيما , فانه خبير بكل اسرار الوجود , وبمصالح الاموروبمفاسدها , وبحوائج عباده , واتصافه سبحانه وتعالى بهاتين الصفتين هو السرفي تواجد افضل الانظمة في عالم الوجود .

جميع افعاله تتسم بالحكمة :. وفـــي الايـــة الـــثانية يمر علينا التعبير القرآني الثاني في هذا المجال , حيث مزج علم اللّه تعالى مع حـــكـــمـــته , ووصفه بصفتي العليم والحكيم في آن واحد ,وبعد ان تحدثت عن جماعة من المسلمين خلطوا عملا صالحا وآخر طالحا ,قال تعالى : (واخرون مرجون لا مر اللّه اما يعذبهم و اما يتوب عليهم و اللّه عليم حكيم).

ان اللّه تـــعـــالـــى عليم يعلم هذه الجماعة جيدا , وحكيم من حيث معاملته كل فرد بما يستحقه , فتارة يرحم وتارة اخرى يعذب , وبذلك يجعلهم بين الخوف والرجا , وهذه الحالة تعد من العوامل التربوية للانسان .

والـــواقـــع ان التعبير بكلمة ((عليم)) اشارة الى احاطته تعالى بالموضوع ,و((حكيم)) اشارة الى اطلاعه على الحكم ((٧٥)) .

ومن البديهي ان كلا من العذاب او العفو الالهي ليس من دون حساب , بل هو قائم على اسس اللياقات العملية والاخلاقية والنيات الذاتية للافراد.

والـــجـــديـــر بـــالـــذكر هو ان بعض الايات التي سبقت هذه الاية عن جماعة اخرى من الذين خلطوا الطاعات بالمعاصي , ختمت بالوعد بالمغفرة (ان اللّه غفور رحيم) , وذلك من اجل التاكيد على تلك الـــمـــغـــفـــرة , ويـــعـــتقد ان تلك الايات تحدثت عن الذين تابوا من ذنوبهم حالا واصلحوا نفوسهم بعد اقتراف المعاصي مباشرة , لكن الجماعة المذكورة في آية بحثنا لم تكن كذلك .

ويـــلاحظ في آيات كثيرة اخرى ايضا بان صفتي ((عليم وحكيم)) لها علاقة وثيقة بمحتوى الاية فـــي جـــمـــيـــع تـــلك الايات , لان الكثير منها قد تحدثت عن الاحكام والقوانين الالهية

التي لها علاقة واضحة بعلم اللّه تعالى وحكمته والبعض الاخر منها تحدثت عن القوانين التكوينية التي لايمكن تشريعها ايضا بدون العلم والحكمة .
وبعضها تحدثت عن التوبة والثواب والعقاب , والعدل في هذه الاموريحتاج الى العلم والحكمة والعلم باعمال ونيات العباد , والحكمة في تقديرالثواب والعقاب حتما.
هو الحكيم الخبير :. ونلاحظ استعمال الاية الثالثة تعبيرا آخر وهو ذكر صفتي ((الحكيم والخبير)) في موضع واحد , قال تعالى : (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير).
قال الزمخشري في كشافه : ((تشير هاتان الصفتان الى فعلين الهيين ذكرتهما الاية في البداية , اي ان الايات القرآنية محكمة ومتوازنة لانها صادرة من لدن حكيم , ومفصلة لانها صادرة من لدن خبير وعليم بكل شي)) ((٧٦)) .
حكيم لانه وضع طريقا للرجعة :. في الاية الرابعة نلاحظ وجود تعبير قرآني جديد وهو اقتران صفة ((الحكيم)) بصفة ((الثواب)) , قال تعالى : (ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته وان اللّه تواب حكيم).
وردت هذه الاية بعد مجموعة من الايات المتعلقة بمسالة اللعان (وهواذا اتهم رجل زوجته بالزنا ــ والخروج عن جادة العفاف ولم يكن لديه اربعة شهود على ادعائه : وجب ان يجلد ثمانين جلدة وفق قانون القذف , لكن القرآن اسقط عن الزوج هذا الحكم شريطة ان يحلف باللّه خمسا كما ورد تفصيله في آيات سورة النور.
لكن زوجته ستكون محل تهمة في هذه الحالة , وتبرا من الاتهام في حال ادائها اليمين الخماسي ايضا , لكن العلاقة بين هذين الزوجين ستتقطع الى الابد.
بالالتفات الى هذه المسالة يتضح ان علاقة صفتي ((التواب)) و ((الحكيم))مع محتوى الاية وثيقة جدا , حيث وضع سبحانه وتعالى امام الطرفين طريقاللتوبة والرجوع , لكي يتمكن الذي افترى على صاحبه من العودة الى مواصلة الحياة الزوجية بتحمل عقوبة القذف هذا من ناحية , ومن ناحية اخرى ونظرالكون الزوجين اكثر اطلاعا على بعضهما, ولتعسر اقامة الدليل على مثل هذه المسائل الخاصة غالبا , فان اللّه تعالى قد صان حقوق الزوجين وحق اولادهما ,وصان الزواج من اي لون من التلوث بسنة احكام اللعان الحكيمة هذه).
هو الحكيم الحميد :. يلاحظ في الاية الخامسة اقتران صفة ((الحكيم)) بصفة ((الحميد)) , بعد ان بينت الاية عظمة القرآن الكريم , قال تعالى : (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد).
وردت تفاسير عديدة حول معنى كلمة ((الباطل)) وجملة ((من بين يديه ومن خلفه)) , لكن الظاهر هو ان ((الباطل)) يشمل كل مايبطل ويسقط هذا الكتاب السماوي من الاعتبار , وجملة ((من بين يديه ومن خلفه))كناية عن جميع الجهات , اي ان غبار البطلان لن

يترسب على هذا الكتاب السماوي , لا من حيث اللفظ ولامن حيث المعنى , سوا كان في الكتب السابقة ام المقالات اللاحقة .

والدليل على ذلك هو انه تنزيل من لدن رب حكيم يحيط بجميع اسرارخلق الانسان والكون , والهدف منه هو الامتنان على الانسان باكبر النعم الالهية ,نعمة تستحق اعلى مراتب الحمد , لذا فقد وردت صفة الحميد بعد صفة الحكيم .

ولهذا لا يمكن لروح هذا الكتاب ان تضعف , ولمعانيه ان تستبدل بمرورالزمان , او يستطيع احد تحريفه ويغير محتوياته .

((انه علي حكيم)). بعد ان اشارت الاية الخامسة الى مسالة الوحي وارتباط الانبيا مع الذات الالهية المقدسة بطرق مختلفة (الالهام القلبي , التكليم بايجاد امواج صوتية ارسال الوحي) قالت الاية السادسة : (انه علي حكيم).

ان علوه تعالى يستوجب ان لايتصل مع عباده الذين هم موجودات جسمانية ومخلوقات امكانية , الا بالطرق التي ذكرناها اعلاه , وحكمته تستوجب ان يفيض الوحي بالمعارف والتعاليم التي تعبد طريق الانسان الى اللّه تعالى .

هنا تتضح الاصرة الوثيقة الموجودة بين هاتين الصفتين , ويتضح محتوى الاية .

امره بالطلاق ينبع من حكمته تعالى :. وبالتالي فالاية السابعة والاخيرة من بحثنا , بعد ان سمحت للزوج والزوجة بالطلاق عند فقدان الالفة , املتهما بالحياة المستقبلية لكي لاييأساويسلكا طريق المعاصي قال تعالى : (وان يتفرقا يغني اللّه كلا من سعته و كان اللّه واسعا حكيما).

فمن جهة يبشرهما تعالى بالغنى من فضله وكرمه (وهذا يتناسب مع وصفه تعالى بالواسع) , ومن جهة اخرى فقد شرع الطلاق وسمح للزوجين بالافتراق في حالات خاصة (وهذا مقتضى حكمته سبحانه) , لانه لو لم يشرع قانون الطلاق ــ كما في القوانين المسيحية المشرعة في عصرنا الحاضر ــ لواجه الزوجان طريقا مسدودا في حالات الطلاق الضرورية , ولتورطا بنار محرقة لامفرمنها , ولتهيات الارضية لوقوع كل الوان الانحرافات الاخلاقية والجرائم وتضييع حقوق الزوجين وابنائهما.

نتيجة البحث :.

يستنتج من مجموع الايات اعلاه بوضوح ان حكمة اللّه تعالى التي هي احدى فروع علمه , تدل على ان الوجود بكل ابعاده قائم على اساس نظام وحساب دقيق وقوانين موزونة ومنسجمة , وان افعال اللّه تعالى بكل ابعادهامقرونة بالحكمة , وهذا هو مايعبر عنه بالنظام الاحسن في بعض الاحيان .

وهذا النظام الاحسن قد تجلى في عالم التشريع والتقنين والاحكام الشرعية , وفي طيات تشريع هذه القوانين والاحكام اسرار وفلسفات لايعلمهاالا اللّه الحكيم الذي ارانا قسما منها

ايضا.

التوضيحات :.

١ ــ.

الدليل على حكمة اللّه تعالى :. لــم يكن اتصاف اللّه تعالى بالحكمة مستنبطا من عشرات الايات القرآنية ,التي وصفته بالحكيم , بل يمكن اثباته بالادلة العقلية ايضا.

لانــه وكما اشرنا سابقا فان صفة الحكيم تطلق على من يؤدي افعاله بافضل وجه , واقرب طريق , ويــتــحــرز عن اي عمل غير موزون وغيرصالح وبالحقيقة ان الحكمة تشمل الحالات العملية في الغالب , بينما نجد ان العلم يشمل الحالات النظرية .

لذا فان جميع الادلة التي تثبت علم اللّه تعالى , الحالات تثبت حكمته ايضا , ولكن يجدر الالتفات الى الــتــفاوت الموجود بين الباري الحكيم والانسان الحكيم , فالاخير هو من تنسجم اعماله مع قوانين عــالــم الــوجــود , لكن قولنا : اللّه حكيم , يعني ايجاده سبحانه قوانين هي مصداق للنظام الاحسن , وبتعبير ادق :ان اللّه تعالى هو الذي يقنن القانون ويشرعه ونحن نطبقه .

ومن جهة اخرى فان نظرة واحدة الى عالم الوجود ــ من المنظومات الشمسية والكواكب والنجوم , حــتى مكونات الذرة , ومن الكائنات الحية الاحادية الخلية , وحتى الحيوانات العملاقة , والاشجار العظيمة ــ كافية لادراك حكمة الخالق ومؤسس هذا البنا البديع .

ان جــميع الكتب التي كتبت حول العلوم الطبيعية , والفيزيا , والكيميا ,والتشريع , وعلم الحيوان , والنبات , وعلم الفلك والنجوم , هي في الاساس تشرح حكمة اللّه تعالى , وكما قال العلما : ان جميع هذه العلوم هي في الواقع ورقة واحدة من كتاب اسرار عالم الوجود العظيم . وهذا بحد ذاته افضل دليل على حكمته سبحانه .

وبتعبير آخر : كما ان برهان النظم يثبت وجود اللّه سبحانه وتعالى , فهويثبت علمه وحكمته ايضا .

والــجــدير بالذكر ان روايات كثيرة , ومن جملتها رواية ((توحيد المفضل))المعروفة , تحتوي على اشارات قيمة كثيرة حول حكمة اللّه تعالى في خلق الانسان , والحيوان , والطيور , والاسماك , والسما , والشمس والقمر والنجوم ,والما والنار , والمعادن , والنباتات , والاشجار , وغيرها , وقد وضحت باجمعها ماقلناه اعلاه .

الاثار التربوية لمعرفة حكمة اللّه تعالى :. غــالــبــا مــايــنظر الى صفات اللّه تعالى من بعد ((معرفة اللّه)) , وهذا صحيح في محله طبعا , لكن القرآن الكريم استعمل هنا نقطة ظريفة اخرى وهي استعانته بهذه الصفات لتربية الانسان في الغالب , والــتــي تــجــلت نماذج منها في الايات التي ذكرناها اعلاه , لذا يجب ان نعمل بهذا الكتاب الالهي , ونتخذ من معرفة صفات

اللّه تعالى اساسا لتهذيب نفوسنا وتكامل عقولنا.

ان للايمان بحكمة اللّه تعالى انعكاسات وآثار تربوية في نفس الانسان ,وهذه الاثار هي كالتالي:.

(ا) ــ الايـــمـــان بـــحكمته تعالى يمكنه ان يترك آثارا بليغة في التطورات العلمية للانسان ومعرفته باسرار عالم الوجود , ويزيد في سرعة العلم البشري بالسير الى الامام قدما.

لاننا عندما نعلم ان صانع هذا البنا البديع العظيم معمار ماهر , واودع كل موضع منه اسرار الحكمة , فاننا سوف لا ننظر الى موجودات وحوادث هذاالعالم بنظرة عادية , بل سوف نتعمق في كل ظاهرة كـــمـــوضـــوع مـــهـــم , بـــحـــيـــث نتوصل الى اكتشاف قانون الجاذبية العام المهم جدا , وقوانين مهمة اخرى بمجرد سقوط تفاحة من شجرة ما.

ولاتـــعـــجب عند سماعك بان (انشتاين) كان يعتقد بان العلماوالمكتشفين العظام كانوا جميعا يؤمنون نوعا ما بوجود المبدئ العليم ,وبحكمة الوجود , وهذا الامر هو الذي كان يشجعهم على بذل مساع اكبر.

(ب) ــ ان الاعـــتـــقاد بحكمة اللّه تعالى في التشريع والتقنين يهون الصعاب الموجودة في تعاليم تلك الـــشرائع , ويلتذ الانسان في تحمل الشدائد في طريق امتثال اوامره سبحانه , لانه يدرك بان جميع هـــذه الـــبرامج والقوانين صادرة من ذلك الحكيم العظيم فتجويزه سبحانه وتعالى دوا مرا مثلا , انما هـــو لـــدور ذلك الدوا في شفا الانسان , وتشريعه لتكليف شاق معين , انما هو من اجل سعادة الانسان وتكامله المترتبة عليه .

(ج) ــ ايـــمـــان الانـــسان بهذه الصفة الالهية يزيد من صبره وتحمله وقدرته ,ومقاومته في مواجهة الـــمـــصـــائب والـــحـــوادث الـــمرة , وذلك لانه يدرك وجودحكمة معينة في كل واحدة منها , وهذا الاحـــساس يعينه في التغلب على المشاكل المذهلة , لاننا نعلم بان الشرط الاول للتغلب على المشاكل هو التمتع باالمعنوية العالية , والتي لاتتحقق الا في ظل معرفة حكمة اللّه تعالى .

(د) ــ وكما نعلم ان افضل مقام مرموق يبلغه الانسان هو وصوله الى مقام القرب منه تعالى , ولايتحقق الـــقرب منه سبحانه الا بالتخلق باخلاقه تعالى والاقتباس من نور صفاته والايمان بحكمة اللّه تعالى يـــدعو الانسان الى سلوك طريق العلم والحكمة والتخلق بالاخلاق الالهية , ولعل هذا هو السر في تـــعـــبـــيـــرالقرآن عن الحكمة بعبارة (خيرا كثيرا) حيث قال : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا) (البقرة / ٢٦٩).

ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) قوله : ((الحكمة ضيا المعرفة وميراث التقوى وثمرة الـــصـــدق ومـــاانـــعـــم اللّه على عبد من عباده نعمة انعم واعظم وارفع واجزل وابهى من الحكمة)) ((٧٧)) .

نـــخـــتم كلامنا هذا بكلام العلامة المجلسي (ره) , والذي يوضح البحوث السابقة وخصوصا

البحث الاخير.

فــقــد نــقــل العلامة المجلسي (ره) معنى الحكمة عن العلما بانهم قالوا :الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل , وقيل : مايمنع من الجهل , وقيل : هي الاجابة في القول , وقيل : هي طاعة اللّه , وقيل : هي الــفــقــه فــي الــديــن , وقال ابن دريد : كل مايؤدي الى مكرمة , او يمنع من قبيح , وقيل : مايتضمن صلاح النشاتين ((٧٨)) .

فرع آخر لعلم اللّه . د ــ.

ارادة اللّه ومشيئته .

تمهيد :.

تحدثت آيات قرآنية كثيرة عن ارادة اللّه سبحانه سوا ارادته في عالم الخلق والوجود , او ارادته في تشريع القوانين والاحكام وتكاليف العباد ومصيرهم .

لاريب في ان للّه تعالى ارادتان , تكوينية وتشريعية , وظهور الحوادث المختلفة في اوقات مختلفة يــعــد دليلا واضحا على ارادته في ايجاد موجود اوحادثة ما او بحادثة معينة في يوم كذا , لا قبله ولابعده .

وهكذا فانه تعالى اراد ان يؤدي عباده الطاعة الفلانية ويتركوا المسائل الاخرى .

لكن ماهو معنى وحقيقة ارادة اللّه تعالى ؟.

تعد هذه المسالة من اعقد المسائل الكلامية والعقائدية والفلسفية ولكن بعد التحليل النهائي سنتوصل الــى ان ارادة اللّه تــعالى ومشيئته فرع من فروع علمه سبحانه اما كيف ؟ فهذا ماسنعرفه بعد تتبع الايات القرآنية التي وردت حول ارادته ومشيئته تعالى .

ولنستمع سوية خاشعين الى الايات الكريمة التالية :.

١ ــ (انمــا قولنــا لشي اذا اردنــاه ان نقول له كن فيكون) (النحل / ٤٠).

٢ ــ (قــل فــمن يملك لكم من اللّه شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كــان اللّه بمــا تعملون خبيرا) (الفتح / ١١).

٣ ــ (ونــريــد ان نــمــن عــلــى الذين استضعفوا في الا رض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) (القصص / ٥).

٤ ــ (يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (البقرة / ١٨٥).

٥ ــ (يخلق اللّه مــا يشــا ان اللّه على كل شي قدير) (النور / ٤٥).

٦ ــ (ولا تقولن لشي اني فــاعل ذلك غدا # الا ان يشــااللّه) (الكهف / ٢٣ / ٢٤).

٧ ــ (ومــا كــان لبشر ان يكلمه اللّه الا وحيا او من ورا حجــاب او يرسل رسولافيوحي باذنه مــا يشــا انه علي حكيم) (الشورى / ٥١) ((٧٩)) .

شرح المفردات :.

(الارادة) مـــن مـــادة (رود) (عـــلى وزن موج) , وهي في الاصل بمعنى التردد المصحوب بالهدوء لتحصيل شي , لذا تطلق على الذي يبحث عن مرتع لرعي المواشي .

وكلمة ((الارادة)) الماخوذة من هذا الاصل هي بالواقع مركبة من ثلاثة عناصر : ((ارادة الشي عـــن رغـــبـــة)) و ((مـــع الاصـــل فـــي الوصول اليه)) و ((الامر بفعله من قبله او الاخرين)) ((٨٠)) .

يعتقد الكثير من اصحاب اللغة والمتكلمين ان ((المشيئة)) تعني ((الارادة)) , لذا فقدقال الراغب فـــي المفردات : يعتقد اكثر المتكليمن ان المشيئة تعني ((الارادة)) تماما , واعتقد البعض منهم ان الـــمـــشيئة تعني ايجاد الشي والوصول اليه , ولو انها حلت محل الارادة في الاستعمالات المتعارفة , وعـــلى هذا تكون المشيئة بالنسبة الى اللّه سبحانه وتعالى بمعنى الايجاد , وبالنسبة الى الناس بمعنى الوصول الى شي معين ((٨١)) .

لـــكـــنـــه ورد في بعض كتب اللغة ان ((المشيئة)) غير ((الارادة)) , فالمشيئة هي الميل الذي يحصل للانسان بعد التصور والتصديق , ثم يصل بعدها العزم والتصميم , ثم تتحقق الارادة (وعليه فـــان المشيئة) تطلق على المراحل الاولى ,و ((الارادة)) على المرحلة الاخيرة وتتصل بالفعل ((٨٢)) .

وقـــد ورد فـــي الـــروايـــات الاسلامية ايضا ان ((المشيئة)) مرحلة قبل ((الارادة)) , وسياتي شرحه في قسم التوضيحات ان شا اللّه .

جمع الايات وتفسيرها :.

ارادته نافذة في جميع الاشيا :. اخبرت الاية الاولى بحقيقة عدم انفصال ارادة اللّه تعالى عن وجودالاشيا , فبمجرد قوله سبحانه للشي الذي يريده , كن , فانه سيتحقق : (انمـــاقولنـــا لشي اذا اردنـــاه ان نقول له كن فيكون).

وطـــبـــعـــا ان هذا الكلام لايعني وجود الحوادث والموجودات في لحظة واحدة , بل يعني وجودها وحدوثها وفق الارادة الالهية والامر الالهي بدون تقديم او تاخير حتى ولو لحظة واحدة .

اي اذا اراد اللّه تـــعالى ان يبقى جنين في بطن امه وتسعة اشهر فتسعة ايام بالضبط , فانه سيولد في الـــموعد المحدد وبدون لحظة من التقديم او التاخير ,وهكذا اذا اراد سبحانه ان يمكث هذا الجنين اقـــل او اكثر من هذه المدة واذااراد اللّه ايجاد منظومة كالمنظومة الشمسية , او عالم عظيم آخر كالعالم الحالي فانه سوف يوجد على الفور.

الـــتعبير بكلمة (كن) ايضا انما جا بسبب عجز اللفظ عن بيان المعنى ,اي انه تعبير كنائي والا فلا توجد فاصلة بين ارادة اللّه تعالى وتحقق الشي المراد.

والعجيب هو ان بعض المفسرين القدما فسروا كلمة (كن) كامر صادر من اللّه تعالى , فواجهوا هذا السؤال : من هو المخاطب ؟ ايمكن مخاطبة المعدم ؟.

وعــليه اضطروا لتوجيه مخاطبة المعدوم , او القول بوجود المعدومات ,او الاستدلال بالاية على كون كلام اللّه تعالى قديما.

فــي حــيــن ان هــذا الكلام كله خاطي , وتشير القرائن الى كون هذه الجملة كناية عن عدم وجود فاصلة بين ارادة اللّه وتحقق الشي المراد.

وبالحقيقة فان الاية قد تحدثت عن ارادة اللّه تعالى وايجاد الاشيالاغير , وكما سنعلم فان ارادة اللّه تــعــالى تكون على معنيين , فمن جهة تكون عين ذاته , ومن جهة اخرى تكون عين فعله ايضا (فتامل جيدا).

وقد ورد شي من هذا القبيل في الايات : ١١٧ ــ البقرة , ٨٢ ــ يس , ٥٩ و٤٧ ــ آل عمران , ٣٥ ــ مريم , ٦٨ ــ غافر.

ويــجدر الالتفات الى ان بعض الايات المذكورة اعلاه قد نزلت بخصوص منكري المعاد لتذكيرهم بــعــدم وجود شي يصعب على الارادة الالهية لايجاده (كالاية ٨٢ من سورة يس , والاية المذكورة في بحثنا).

وبعضها نزلت بخصوص خلق آدم (ع) من التراب (كالاية ٥٩ ــ آل عمران).

او خلق المسيح من دون اب (كالاية ٤٧ من سورة آل عمران , والاية ٣٥من سورة مريم).

او بخصوص الابداع في خلق السموات والارض (كالاية ١١٧ من سورة البقرة).

لاشي يحول بينه وبين ارادته ــ تعالى ــ :. تحدثت الاية الثانية عن ارادة اللّه في الثواب والعقاب ومصير الناس ,واشارت الى هذه الحقيقة التي تــفصح عن عدم وجود شي يمنعه عن ارادته بخصوص مكافاة ومعاقبة عباده , قال تعالى : (قل فمن يملك لكم من اللّه شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كــان اللّه بمــا تعملون خبيرا).

ان سبب تقاعسكم عن الجهاد هو اما لتوقي الحوادث المؤلمة لكم ولاهليكم , واما للحصول على منافع مــادية وحفظ الاموال , وجميع هذه الامورترتبط بارادة اللّه ومشيئته , ولا احد يملك لكم من اللّه شيئا.

ان رسوخ هذه العقيدة في قلب الانسان يؤدي الى ممارسته الاوامرالالهية من دون الخوف من ضرر معين او فوت منفعة وما شاكل ذلك , لان مقاليدجميع هذه الامور بيده تعالى .

وعــليه يتضح لنا اثر الايمان بالارادة والمشيئة الالهية على اعمال الانسان واستعداده لادا التكاليف الالهية .

وعلى اي حال فالحديث هنا يدور حول الارادة التكوينية ايضا.

اراد سبحانه ان يعين المستضعفين :. تحدثت الاية الثالثة عن اثر الارادة الالهية في مصير الاقوام , وانارت بصيص الامل في نفوس الامم الــمــظلومة , قال تعالى : (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الا رض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين).

ان التعبير بالفعل المضارع ((نريد)) الذي يدل على الاستمرار هو للدلالة على ديمومة وخلود

هذه السنة الالهية المتمثلة بتسلط المستضعفين وسيطرتهم على زمام الامور في الارض واندحار الطواغيت المستكبرين .

ولكن يجب الالتفات الى ان الاية قد تحدثت عن ((المستضعفين)) لا((الضعفا)) , اي عن الذين يجاهدون ويقاتلون دوما, وقد استضعفوا من قبل اعدائهم لا عن الذين استسلموا للذلة والضعف .

وبضم هذه الاية الى الاية الخامسة بعد المائة من سورة الانبيا (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) نستنتج بان المستضعفين هم اولئك الصالحون المؤمنون المجاهدون .

ويجب الالتفات الى ان كلمة (نمن) مشتقة من اصل (من) وهو في الاساس بمعنى الوزن الثقيل , ثم اطلق على النعم ذات الاهمية , واستعمال هذاالتعبير بخصوص الباري عز وجل يدل على اعطائه عز وجل للنعم الثقيلة العظيمة بدون عوض , اما عندما يستعمل بخصوص العباد فهو يعني التذكيربالنعم بقصد المن .

وطبعا هنالك بحوث كثيرة حول هذه السنة الالهية , اي حكومة المستضعفين , وسنذكرها في محلها ان شا اللّه تعالى والجدير بالذكر هنا هو ان للايمان بارادة اللّه التكونية اثرا تربويا عميقا يلهم المؤمنين الصالحين القوة والامل والاقتدار , ويزيدهم في مواجهة الظالمين رسوخا وقوة .

يريد اللّه بكم اليسر :. تحدثت الاية الرابعة عن ارادة اللّه تعالى التشريعية , والتي وردت في مواضع عديدة من القرآن , اي ارادته في التقنين , فبعد الحديث عن فريضة الصيام في شهر رمضان واستثنا المسافرين والمرضى من هذا الحكم , قال تعالى : (يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر).

وتعد هذه الاية من الايات التي نفت التكاليف التي لاتطاق و ((التكاليف الشاقة)) في نفس الوقت , وماقاله الفخر الرازي في عدم دلالة ذيل الاية على العموم اشتباه محض , لان الالف واللام الواردة في كلمتي ((اليسر)) و ((العسر))للجنس , وتدل في مثل هذه الحالات على العموم.

ويمكن طبعا ان يكون هنالك استثنات معينة في هذا القانون , كبقية القوانين الاخرى , مثل الامر بالجهاد وماشاكله , فالجهاد ضد الخنوع والذل تحت سلطة الاعدا , يعد من مصاديق اليسر ايضا لا العسر.

فبعد ان ذكر سبحانه وتعالى نوعين من الاحكام الالهية في الاية الاولى من سورة المائدة , في مجال الالتزام بجميع العقود والمواثيق , وحلية اكل لحوم المواشي قال : ((ان اللّه يحكم مايريد)) وهذا التعبير يوضح شمول الارادة الالهية التشريعية لكل الاشيا.

وبخصوص جزا الاعمال , نلاحظ انه تعالى بعد ان ذكر دخول المؤمنين الصالحين الجنة , قال

: (ان اللّه يفعل مـــا يريد).
وبـــديـــهـــي ان شـــمـــولية ارادة اللّه في التشريع , وفي الاثابة والمعاقبة , وهكذافي عالم الوجود , لاتعني انفصال ارادته عن حكمته سبحانه , او ان يكون خلقه او محاكمته او اثابته بدون حكمة .
ان اللّه يخلق مايشا :. تـــحـــدثت الاية الخامسة عن المشيئة الالهية وشمولها لكل مخلوق في عالم الوجود (المشيئة الالهية العامة التكوينية) , قال تعالى : (يخلق اللّه مـــا يشـــاان اللّه على كل شي قدير).
وردت هذه الجملة في القرآن الكريم بعد ان اشار تعالى الى خلق مختلف انواع الدواب من ما , فمنهم مـــن يـــمـــشي على بطنه , ومنهم من يمشي على رجلين , ومنهم من يمشي على اربع , ونحن نعلم بان تـــنـــوع الاحـــيـــا بلغ من الكثرة والتشعب بحيث يتجاوز عدد انواع الحشرات التي درسها العلما عدة ملايين ,وهكذا انواع النباتات بتركيباتها وخصائصها المتفاوتة , فان انواعها بلغت مئات الالاف , مما تدل باجمعها على سعة مفهوم الاية المذكورة اعلاه .
والجدير بالذكر ان هنالك انواعا جديدة من الاحيا تكتشف بمرور الزمان لم تكن موجودة سابقا , اي ان ايجاد وخلق الحيوانات والنباتات لايتعطل حتى ولا لحظة واحدة دليلا على ارادة ومشيئة المظهرالمبدي , لان الصانع العديم الارادة يخلق امورا متساوية ومتشابهة , بينما كلماحلت الارادة في موضع اصطحبت معها التنوع ((٨٣)) .
قل في كل شي : ((ان شا اللّه)) :. والايـــة الـــســـادسة تحدثت عن المشيئة الالهية ايضا , والحديث هذه المرة يدور حول مصير العباد واعمالهم , فالتفت عز وجل بالخطاب الى رسوله الكريم (ص) وقال : (ولا تقولن لشي اتي فـــاعل ذلـــك غـــدا الا ان يـــشـــــا اللّه) اي عندما تتحدث عن عزمك بالقيام بعمل مافي المستقبل فتوكل على الـــمـــشـــيـــئة الالـــهـــية دائما وقل : ((ان شا اللّه)) وهذه الجملة تدل على تقدم مشيئة اللّه على بقية المشيئات وعدم وقوع اي شي دون مشيئة سبحانه .
وواضح ان هذا الكلام لايشير ادنى اشارة الى مسالة الجبر , بل يشير الى غلبة المشيئة الالهية التي لاتـــســـتطيع اي فرد بلوغ هدفه بدونها , وما الحرية التي منحها اللّه للانسان الا لاختباره وتربيته والعروج به في سلم الكمال وحرية الارادة الانسانية لاتعني سلب القدرة الالهية .
اضـــافة الى هذا فان ارادة ومشيئة الانسان هي احدى عوامل وصوله وبلوغه اهدافه , وهنالك مئات من العوامل الاخرى , خارجة عن قدرته , ولاترتبط الا باللّه تعالى .
ومـــن هـــنا فان ادب الكلام والخضوع للامر الواقع يفرض على الانسان ان لاينس عبارة : ((ان شا اللّه)) في برامجه الخاصة ابدا.
وجا التاكيد هنا ايضا على اثر ((المعرفة)) على اعمال الانسان , فايمانه بالارتباط بالمشيئة الالهية يـــجـــعـــلـــه يـــشـــعـــر دائما بالفقر الى اللّه وعدم الاستقلال عنه سبحانه , فلا يصيبه

الغرور ابدا , ولايـــركـــب مـــركـــب الانانية , ويزيده استقامة وصلابة في مواجهة الصعاب والمشاكل , وينفذه من الوقوع في مخالب الياس والقنوط لانه يعلم انه مشيئة اللّه اكبر من كل شي .

يوحي باذنه مايشا :. واخـــيرا تحدثت الاية السابعة والاخيرة من بحثنا عن المشيئة الالهية التشريعية وبصورة ظريفة , يـــجـــب الالتفات الى ان القرآن الكريم قد استعمل كلمة (الارادة) في التكوين والتشريع بكثرة لكن اســـتـــعـــمل كلمة (المشيئة) في المسائل التكوينية عادة , وقد استعملها في مجال التشريع والتقنين بـــنـــدرة مـــمايدل على شمول مفهوم المشيئة للجانب التكويني بصورة اكثر) قال تعالى :(ومـــا كـــان لـــبـــشـــر ان يكلمه اللّه الا (بثلاثة طرق) وحيا او من ورا حجـــاب (كما تحدث مع موسى في جبل طور , والحجاب هنا بمعنى حجاب المادة)او يرسل رسولافيوحي باذنه مـــا يشـــا انه علي حكيم) فسموه يقتضي ان لا يرى او يكلمه بشر ,وحكمته تقتضي ان يرسل الرسل لهداية الخلق , ويرتبط برسله بالطرق الثلاث المذكورة في الاية اعلاه .

يـــســـتـــنـــتج من مجموع الايات المذكورة بان ارادة اللّه سبحانه التكوينية والتشريعية تشمل جميع الممكنات , كل ماتقتضيه حكمته .

وان كان للانسان ارادة لعمل شي معين فانما هي باذن اللّه .

ولاشي يمنع عن تحقق ارادته سبحانه , ومشيئته غير منفصلة عن خلق الاشيا.

ومصيرنا جميعا بيده سبحانه , فالخير والفائدة والسعادة كلها هي فيض من وجوده عز وجل .

فبالاعتماد على ارادة اللّه ومشيئته تهون علينا الحوادث الصعبة .

هذا ماتفيضه علينا هذه الصفات الالهية من معطيات .

التوضيحات :.

ـ ا.

لدلائل العقلية على الارادة الالهية :. عـــنـــدما ننظر الى عالم التكوين نجد ان في كل يوم يحدث امر جديد ,ولكل موجود ظاهرة وتاريخ معين , بل العالم بذاته يمثل مجموعة من الظواهروالحوادث .

وهنا يطرح هذا السؤال : بما ان اللّه عالم لانه علة العلل لجميع الكائنات ,فهو قديم وازلي , اذا كيف يمكن ان يوجد كل موجود في زمان معين او ان تقع كل حادثة في زمان معين ؟.

والـــجـــواب عـــلى هذا السؤال هو ان اللّه فاعل غير مجبور , بل فاعل لمايريد ومايشا , وما انفصال الـــكـــرة الارضـــيـــة عن الشمس قبل خمسة مليارات سنة مثلا , او ظهور الاحيا على سطح الكرة الارضـــيـــة قـــبل عدة ملايين من السنين , او دخول الانسان الى عالم الوجود قبل آلاف السنين , الا امتثالا لارادته المتميزة سبحانه .

وخـــلاصـــة الـــكلام هو ان وجود بعض الممكنات وعدم وجود بعضهاالاخر , او حدوثها في موعد مـــحدد (مع ان اللّه قادر على كل شي بصورة متساوية) يدل على اتصاف ذاته المقدسة بصفة اخرى غير القدرة , وهي الارادة والمشيئة الالهية .

٢ ــ.

مامعنى ارادة اللّه سبحانه ؟. لاشـــك فـــي عدم امكانية مقايسة مفهوم ارادة الانسان بالارادة الالهية , لان الانسان يتصور الفعل في الـــبـــدايـــة (مثل شرب الما) , ثم فوائده , ثم يعتقدبفوائده , ثم يشتاق ويرغب الى القيام بذلك الفعل , فـــعندما يصل شوقه هذامراحله النهائية يصدر اوامره الى العضلات , فيتحرك الانسان لانجاز هذا العمل .

لكننا نعلم ان كل هذه المفاهيم (التصور والاعتقاد , والشوق والاموروحركة العضلات) لامعنى لها بخصوص الباري , لانها جميعا حادثة , فاين ارادته منها اذا؟.

مـــن اجـــل هـــذا ذهـــب عـــلما الكلام والفلاسفة المسلمون ــ صوب مفهوم يتناسب مع الوجود البسيط الـــمـــجـــرد , وبنفس الوقت يتناسب مع اي نوع من انواع التعبير الحاصل لدى اللّه تعالى , فقالوا : ان ارادة اللّه تعالى على نوعين :.

١ ــ الارادة الذاتية .

٢ ــ الارادة الفعلية .

١ ــ الارادة الالـــهية الذاتية هي علمه بالنظام الاصلح لعالم التكوين , وعلمه بخير وصلاح العباد في الاحكام والقوانين الشرعية .

انـــه يعلم اي نظام افضل واصلح لعالم الوجود , ويعلم افضل الاوقات المناسبة لايجاد الموجودات , وهذا العلم منبع تحقق الموجودات وحدوث الظواهر في الازمنة المختلفة .

وكـــذلك هو يعلم مصلحة عباده الكامنة في هذه القوانين والاحكام , وان روح هذه القوانين والاحكام هي علمه بالمصالح والمفاسد.

٢ ــ ارادته الفعلية عين الايجاد وتعد من صفاته الفعلية لذا فان ارادته في خلق السموات والارض هي عين حدوثها , وارادته في فرض الصلاة هي عن وجوبها وفي تحريم الكذب هي عين حرمته .

وخـــلاصة الكلام هي ان ارادة اللّه الذاتية عين علمه , وعين ذاته , لذلك اعتبرناها من فروع العلم وارادته الفعلية عين الايجاد والتحقق .

وسيتضح الموضوع بصورة افضل عند نقل بعض الاحاديث الشريفة الواردة في هذا المجال , ان شا اللّه تعالى .

٣ ــ.

الارادة الالهية التكوينية والتشريعية :. كما ذكرنا آنفا بان المقصود من الارادة التكوينية هي الارادة التي يفيض منها وجود جميع الكائنات والموجودات , او بتعبير آخر عين ايجادها

جميعا.

اما الارادة التشريعية فهي الارادة التي يفيض منها جميع الاوامر والنواهي الالهية , وجميع الاحكام والقوانين الشرعية , وبتعبير آخر عين هذه الاحكام والقوانين .

ومن خلال متابعة الايات القرآنية يتضح بان كلمة (ارادة) مستعملة بكلاالمعنيين بشكل واسع , في حين نجد ان (المشيئة) مستعملة في مجال الخلق والتكوين في الغالب , في مجال التشريع ويندر مجيئها , مما يدل على كون (المشيئة) اقرب الى مفهوم التكوين .

٤ ـ.

الارادة الالهية في الروايات الاسلامية :. وردت في روايات اهل البيت ايضاحات كثيرة في هذا المجال , نذكرمجموعة منها كنموذج :.

١ ـ ورد في توحيد الصدوق و ((عيون اخبار الرضا)) عن الامام علي بن موسى الرضا (ع) جوابه على سؤال عن ارادة اللّه تعالى في خلقه انه قال : ((الارادة من المخلوق وما يبدو له بعد ذلك من رد فعل , واما من اللّه عز وجل فارادته احداثه لا غيرذلك لانه لايروي ولا يهم ولا يتفكر , وهذه الصفات منفية عنه , وهي من صفات الخلق ,فارادة اللّه هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ , ولا نطق بلسان , ولا همسة ولا تفكر ولا كيف لذلك , كما انه بلا كيف)) ((٨٤)) .

وقد اورد هذا الحديث الشريف المرحوم الكليني في ((اصول الكافي)) ((٨٥)) ومن الواضح ان هذا الحديث يشير الى ارادة اللّه الفعلية ة واماالارادة الذاتية فهي علمه بالنظام الاحسن كما مر بيانه .

٢ ـ وقد ورد ايضا في هذا الكتاب عن الامام علي بن موسى الرضا (ع) انه قال : ((المشيئة والارادة من صفات الافعال , فمن زعم ان اللّه تعالى لم يزل مريدا شائيافليس بموحد)) ((٨٦)) .

ومن الواضح ايضا ان هذا الحديث ناظر الى الارادة الفعلية , التي تقدم بيانها , فعندما ينفي ((الارادة الازلية)) فالمقصود هو نفي مقالة من يقول ان الارادة زائدة على الذات وانها ازلية , فيكون مفهومها تعدد الوجود الازلي الى اثنين اواكثر , وهذا المعنى لا يتلائم مع التوحيد.

اما الارداة الذاتية التي هي عين العلم , والعلم بدوره عين الذات المقدسة فهو عين التوحيد لا الشرك ((فتامل جيدا)).

٣ ـ ورد في كتاب الكافي حديث عن الامام علي بن موسى الرضا (ع) جافيه : ((قال اللّه : يابن آدم بمشيئتي كنت انت الذي تشا لنفسك ما تشا وبقوتي اديت فرائضي , وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سميعا بصيرا قويا ما اصابك من حسنة فمن اللّه , وما اصابك من سيئة فمن نفسك)) ((٨٧)) .

وهذا الحديث ناظر الى الارادة التكوينية للّه تعالى المتعلقة باختيار وحرية الانسان والتي

جعلت الانسان حاكما على مقدراته , غاية الامر ان الانسان يسي الاستفادة منها في بعض الاحيان , ويستعمل نعم اللّه تعالى في معصية وهذا من عمل الانسان نفسه , اما حسن الاستفادة من نعم اللّه تعالى فهو من توفيق اللّه ومعونته لعبده (تامل جيدا).

٢ ــ.

القدرة الالهية المطلقة .

تمهيد :.

يعتبر موضوع القدرة الالهية من اهم مباحث صفات الكمال والجمال الالهية بعد بحث العلم , تلك القدرة اللامحدودة من كل ناحية والشاملة لجميع الممكنات والملازمة للارادة والمشيئة , فهو سبحانه وتعالى يفعل مايريدويمحو مايشا فى اى وقت وزمان .

والوجود بمظاهره العظيمة المذهلة وبدقائقه الظريفة , يدل باكمله على القدرة الالهية المطلقة .

وللدخول فى صلب الموضوع ينبغي طي المراحل التالية :.

١ ــ دلائل القدرة الالهية المطلقة .

٢ ــ اللّه فاعل ومختار.

٣ ــ راى الذين اشكلوا على تعميم القدرة الالهية .

٤ ــ عدم شمول القدرة الالهية المستحيلات .

لندخل الان فى بحث الموضوع الاول ونصغي خاشعين الى الايات القرانية الشريفة :.

١ ــ (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير) (الملك / ١).

٢ ــ (اللّه الذي خلق سبع سموات ومن الا رض مثلهن يتنزل الا مر بينهن لتعلموان اللّه على كل شي قدير) (الطلاق / ١٢).

٣ ــ (له ملك السموات والا رض يحيي ويميت وهو على كل شي قدير) (الحديد / ٢).

٤ ــ (يخلق ما يشا و هوا العليم القدير) (الروم / ٥٤).

٥ ــ (للّه ملك السموات و الا رض وما فيهن و هو على كل شي قدير) (المائده / ١٢٠).

٦ ــ (اولم يروا ان اللّه الذي خلق السموات والا رض قادر على ان يخلق مثلهم).

(الاسرا / ٩٩).

٧ ــ (اولــم يــروا ان اللّه الــذي خــلق السمــوات والا رض ولم يعي بخلقهن بقــادرعلى ان يحيي الموتى بلى انه على كل شي قدير) (الاحقاف / ٣٣).
٨ ــ (فلا اقسم برب المشــارق و المغــارب انا لقــادرون) (المعارج / ٤٠).
٩ ــ (ومــــا كـــان اللّه لــيــعــجــزه مــن شي في السمــوات ولا في الا رض انه كــان عليما قديرا) ((٨٨)) (فاطر / ٤٤).
١٠ ــ (قل ان الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشــا واللّه واسع عليم) (آل عمران /٧٣).

شرح المفردات :.

((قــديــر)) من مادة ((قدرة)) , وهي بمعنى من يفعل كل مايريده بمقتضى حكمته , لا اقل ولا اكــثــر مــن ذلك , لذا فان هذه الصفة لا تستعمل الا مع اللّه تعالى واساسا ان صفة القدرة المطلقة لا يــجوز استعمالها الا في خصوص اللّه تعالى , وكلما استعملت مع غيره فانها ينبغي ان تكون محدودة ومقيدة , لان غيره لوكان قادرا من جهة معينة فهو عاجز من جهة اخرى ((٨٩)) .
واصل هذه الكلمة ماخوذ من ((قدر)) وهو بمعنى مقياس شي وكنهه ونهايته , والسر في استعمال هــذه الكلمة بخصوص الباري تعالى هو فعله كل مايريد وباي مقدار كان , واعطائه عباده اي مقدار يريده هو سبحانه ((٩٠)) .
و ((قــدير)) و ((قادر)) كلاهما صفتان من صفات اللّه سبحانه , وهما ماخوذان في الاصل من ((الــتــقدير)) في الكمية , و ((قادر)) اسم فاعل , و ((قدير)) صفة مشبهة بالفعل او صيغة مبالغة , و ((المقتدر)) ابلغ منها ((٩١)) .
((يعجزه)) في الاصل من مادة ((عجز)) ((بضم الجيم)) , وهي بمعنى ذيل الشي و (عجز) على وزن ((حبس)) بمعنى التاخر عن شي معين والوقوع في متابعة عمل ما , وتاتي ايضا بمعنى القصور والعجز عن ادا عمل ما في مقابل القدرة على ذلك العمل , و ((المعجز)) بمعنى الشخص او الــشــي الذي يعجزالاخرين , و اطلاق كلمة ((عجوز)) على المراة المسنة انما هو لعجزها وقــصــورها(ومن خلال تتبع مصادر اللغة المعروفة كمقاييس اللغة ومفردات الراغب نجدان هذه الكملة تستعمل بخصوص في النسا المسنات فحسب) ((٩٢)) .
((واســع)) مــن مــادة ((ســعة)) , و ((وسع)) وهي بمعنى السعة في مقابل الضيق وتستعمل بخصوص الامكنة والحالات والافعال , لذا يطلق على القدرة والتمكن والايجاد ((الوسعة)).
اما سعة اللّه تعالى فهي اما ان تكون نابعة من سعة رزقه ورحمته التي وسعت كل شي , او من احاطته تــعــالــى بكل شي علمــا , او مــن احــاطته الوجودية بجميع الاشيا , يعني كثير العطايا وكثير العلم ايــضا و ((الواسع)) كماورد تعبير الــ ((موسع)) ايضا في القرآن

الكريم بخصوص الباري , والـذي فـسـره بـعـض ارباب اللغة ايضا بمعنى القادر والغني ((٩٣)) وهنالك تفسير آخر لهذه الكلمة يخرج عن موضوع هذا البحث ((٩٤)) .

جمع الايات وتفسيرها :.

انه على كلي شي قدير:. بـعد ان اشارت الاية الاولى الى الملك الالهي الابدي وتسلطه تعالى على جميع عالم الوجود , اكدت على قدرته المطلقة : (تبـارك الذي بيده الملك وهوعلى كل شي قدير) (الملك / ١).

(تبارك) من مادة (برك) وهي في الاساس بمعنى صدر البعير , لذا عندمايضع البعير صدره على الارض يقال : (برك البعير) , وهذه الكلمة جات هنابمعنى البقا وعدم الزوال .

ويـطـلـق عـلى النعمة الدائمة الباقية (النعمة المباركة) , واطلاق هذه الصفة على الذات الالهية المقدسة لازليتها وابديتها.

وجملة (بيده الملك) تفيد الحصر , اي ان الملك ومقدرات عالم الوجودبيده تعالى فقط.

وجملة (وهو على كل شي قدير) ذات مفهوم واسع وعميق جدا , فهي تعني ان القدرة الالهية تشمل جميع مايمكن ان يكون فى عالم الامكان .

والـجدير بالذكر ان هذه الكلمة (شي) تطلق على المعدوم بالقياس لامكانية وجوده , لذا فقولنا بان اللّه قادر على الشي الفلاني المعدوم فعلا , يعني قدرته تعالى على ايجاده , والا فالقدرة على المعدوم لامعنى لها.

ويـسـتـعمل الانسان مفهوم القدرة في دائرة محدودة خاصة , نظرالحياته المحدودة وافقه الفكري الـضيق ووقوعه في اسر الظروف التي تطبع عليها , في حين نجد ان الاية اعلاه قد كسرت جميع هـذه الـقـيود وبينت امتداد وشمول قدرة الباري الى ما ورا هذه القيود والظروف , والشي الوحيد الـخـارج عـن دائرة القدرة الالهية هو الامورالمستحيلة فقط , وذلك لانها بذاتها لا تقبل الوجود , ولايصح عادة استعمال لفظة القدرة بشانها.

وقـد تقدم فى البحث اللغوي بان كلمة (قدير) ولكونها صفة مشبهة او من صيغ المبالغة , فهي تفيد المبالغة وذات مفهوم اوسع من مفهوم (قادر) ولعل هذا هو السر في استعمال اغلب الايات القرآنية لهذه الكلمة عند وصف القدرة الالهية .

لـذا فـقـد تـحدثت الايات التي تلت هذه الاية عن خلق الانسان , والموت والحياة , وخلق السموات السبع , والنجوم , ودفع الشياطين والتي تعتبر كل منهانموذجامن عجائب عالم الوجود.

الهدف من خلق الكون هو معرفة قدرته سبحانه :. بـعـد ان ذكـرت الايـة الـثانية خلق السموات والارض , بينت ان الهدف الاصلي من جميع ذلك هو اطـلاع الـعباد على سعة قدرة اللّه وعلمه سبحانه : (اللّه الذي خلق سبع سمـوات ومن الا رض مـثلهن يتنزل الا مر بينهن لتعلمـوا ان اللّه على كل شي قدير وان اللّه قد احـاط بكل شي علما) (الطلاق /

.(١٢

وعـــليه فان خلق السموات العريضة والارضين الواسعة , والتدبير الدائم والمستمر الموجود فيما بـــيـــنـــهـــا , يـــعـــتـــبر بحد ذاته افضل دليل على عمومية وشمولية القدرة الالهية لكل شي , لان هذه المجموعة المتنوعة تحتوي على كل الوان الممكنات .

وهـــنـــاك بـــحـــوث كـــثـــيـــرة حـــول معنى السموات السبع , والارضين السبع ,ذكرناها في التفسير الامثل ((٩٥)) .

بيده الموت والحياة :. اما الاية الثالثة , فعلاوة على طرحها مسالة اختصاص تلك السموات والارض بالباري تعالى , ذكرت اســـتـــمرار ظاهرتي حياة وموت الموجودات كواحدة من ادلة قدرته سبحانه : (له ملك السمـــوات والا رض يحيي ويميت وهوعلى كل شي قديـــر) (الحديد / ٢).

ان مـــســـالة ايجاد الحياة والموت معقدة وعجيبة الى درجة ان القدرة عليهاتعتبر دليلاعلى اطلاق وعمومية القدرة الالهية .

اجل , هذه هي المسالة التي حارت فيها عقول العلما , وحاروا فى معرفة القوانين المتحكمة بها لعلهم يـــتـــمـــكـــنون من خلق خلية حية من الجمادات وبالاستعانة بوسائل معينة , فى الوقت الذي نجد انهم تـــوصـــلـــوا الـــى اســـرار مـــعـــقـــدة جدا من قبيل (غزو الفضا والصناعات العظيمة وصناعة العقول الالكترونية الدقيقة).

اجـــل , فـــمـــن حولنا يوجد مئات الالوف بل الملايين من انواع الكائنات الحية التي يحار البشر الاف السنين فى فهم اسرار تركيب احداها اولا تدل هذه الخلائق العجيبة على ان قدرة الباري مطلقة ؟ تطورات الحياة دليل على قدرته تعالى :. تـــطـــرقت الاية الرابعة الى هذه المسالة من طريق آخر , وضمن ذكرهالحالات الانسان المختلفة , وانـــتـــقـــاله من حال الى آخر باذن اللّه تعالى , وذكرهالخلق مختلف المخلوقات , فقد بينت عمومية القدرة والعلم الالهي: (اللّه الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيبة يخلق مـــا يشـــا وهو العليم القدير) (الروم / ٥٤).

حـــقـــا , ان مـــلاحـــظـــة تطورات الجنين ومراحل حياة الانسان المختلفة ومنحنى قدرته التصاعدي والـــتـــنازلي الذي يبدا من نطفة ويصل فى قمة المنحنى الى انسان قوي ومتفكر وذكي ذي قدرة على تـــخـــيل وانجاز مسائل كثيرة , ثم ينزل حتى يصير موجودا عاجزا حتى اعجز من الطفل احيانا من حيث القدرة الجسمية والفكرية , وملاحظة جميع هذه التحولات السريعة العجيبة , يوحي ويحكي عن قدرته تعالى على كل شي .

لـــذا نـــجـــد ان القرآن الكريم ومن اجل اثبات عمومية العلم الالهي والقدرة الالهية , قد دعا الانسان للتفكر في السموات العلى تارة , وللتفكر فى وجوده الشخصي والتحولات العظيمة التي تلازمه منذ انعقاد النطفة الى حين الموت تارة اخرى .

وتـــعـــبـــيره بعبارة (خلقكم من ضعف) بدرجة من المتانة حتى كان الانسان مخلوق من مادتي الضعف والعجز ولـــكـــن ارجـــع الـــبـــصر وانظر الى حقيقة ذلك الموجود القوي الذي ينشا من هذه النطفة الحقيرة , ويـــطوي آفاق السما والارض , ولا يقنع بحد معين من القدرة والتطور العلمي والصناعي , وعندما يطوي المرحلة التنازلية من منحنى القدرة , يعود الى نفس ذلك الضعف البدائي ان كل هذا يدل على قدرة ذلك الخالق الحكيم اللامحدودة .

المالكية والقدرة :. وفـــى الاية الخامسة يلاحظ بعد ذكرها مالكية وحاكمية الباري على السموات والارض وما فيهن , بينت انه سبحانه على كل شي قدير:.

(للّه ملك السمـــوات و الا رض ومـــا فيهن و هو على كل شي قدير) (المائدة / ١٢٠).

وبديهي ان سبب هذه الحاكمية والمالكية هو خالقيته تعالى , وقطعا ان من خلق جميع هذه المخلوقات المتنوعة هو على كل شي قدير , وبالحقيقة ان صدر الاية دليل على ذيلها.

ويـــحـــتـــمـــل ان يـــكـــون هذا التعبير لقطع امل المشركين بالاصنام وهدايتهم الى الباري , ليعلموا ان مـــقـــدرات جميع الامور ومقاليدها بيده تعالى , او لنفي ودحض عقيدة المسيحيين فى تاليه عيسى ((ع)) , والتي ورد ذكرها فى الايات السابقة لهذه الاية من نفس السورة .

وعلى اي حال فهو اساس لقلع جذور الشرك بجميع اشكاله .

ويجدر الالتفات الى ان كلمة (ملك) ــ بكسر الميم ــ تعني سلطة الانسان على شي معين , و (الملك) ــ بضم الميم ــ تعني التحكم بنظام اجتماعي معين ,وبتعبير آخر فالمصطلح الاول له حالة فردية والـــثـــانـــي لـــه حالة اجتماعية وهو نفس مايرد في تعابيرنا اليومية عندما نعبر عنه ب (المالك)و (الحاكم).

قدرته تعالى على اعادة الخلق :. اشارت الاية السادسة الى مسالة (المعاد) وقدرة الباري على احيا الموتى في الاخرة , لتكون ردا عـــلـــى من شككوا في المعاد الجسماني وورد ذكرهم في الاية السابقة لهذه الاية في قوله تعالى : (ذلـــك جـــزآؤهـــم بانهم كفروا بياتنا وقالواااذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا) فاجابهم الـــقـــرآن فـــى قـــولـــه تـــعـــالى :(اولم يروا ان اللّه الذي خلق السمـــوات والا رض قـــادر على ان يخلق مثلهم) (الاسرا / ٩٩).

جـــمـــلـــة (اولم يروا) بمعنى (اولم يعلموا ؟) باعتبار ان المقصود من الرؤية المذكورة فيها هو الرؤية القلبية , ومصدر هذا العلم والاطلاع هو نفس تلك القاعدة العقلية التى تقول : (حكم الامثال فـــيـــما يجوز وفيما لايجوز واحد) , اي ان الموضوعات المتشابهة لها حكم واحد دائما , فان كان احـــدهـــمـــا مـــمـــكـــنـــا فـــانـــه يسري على سائر الموضوعات فتكون ممكنة جميعا , وان كان محالا فالجميع محال .

قدرته تعالى على احيا الموتى :. بـــعـــد ان اشـــارت الايـــة السابعة الى قدرة اللّه تعالى على احيا الموتى فى عالم الاخرة , ذكرت هذا الـــمـــعنى بتعبير آخر حيث قال تعالى : (اولم يروا

ان اللّه الذي خلق السمـــوات والا رض ولم يعي بخلقهن بقـــادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شي قدير) ((٩٦)) (الاحقاف / ٣٣).

اكدت هذه الاية ايضا على ان خلق السموات والارض بعظمتها وتنوعهادليل على قدرة الباري على احـــيـــا الموتى من جهة , وقدرته على كل شي من جهة اخرى لان لجميع مايمكننا تصوره نماذج فى عـــالـــم الـــوجـــود والـــمـــوت والـــحـــياة , وكذلك الكائنات المجهرية والمخلوقات العظيمة جدا بكل ابعادهاومن كل شكل ولون ونوع وجنس , فخلقها من قبل الباري تعالى , يعد افضل دليل على عمومية القدرة الالهية .

قدرته تعالى على تبديل الاقوام :. طـــرحـــت الاية الثامنة مسالة القدرة الالهية بقسم الهي عميق المغزى , قال تعالى : (فلا اقسم برب المشـــارق و المغـــارب انا لقـــادرون) (المعارج / ٤٠).

قـــد يـــشـــكل ذوي الملاحظة السطحية ويقولون : كيف يصح اثبات القدرة الالهية بقسمه سبحانه ؟ ويـــتـــضـــح الجواب عن هذا السؤال من محتوى القسم (رب المشارق والمغارب) , لان (المشارق والـــمغارب) اشارة غنية جدا الى خلق العالم العظيم بنظامه الدقيق , ففي كل يوم تشرق الشمس من مـــشـــرق جـــديدوتغرب فى مغرب جديد , واستمرار هذه العملية على مدى ملايين السنين ,وخلق الـــشـــمـــس بـــعـــظـــمتها هذه , وخلق الكرة الارضية بكل اسرارها , والنظام الدقيق الذي يتحكم فى حـــركتهما, لخير دليل على شمول القدرة الالهية لكل شي , ومنها تبديل جماعة من الكفار اللجوجين باناس خير منهم .

هذا فيما اذا فسرنا القسم الوارد في هذه الاية بانه يتعلق بمشارق ومغارب هذه الارض طبعا , اما اذا فسرناه بمشارق ومغارب الكرات والمنظومات الشمسية الفضائية , لاتضح سعة معناه بصورة افضل .

والـــنـــكـــتة اللطيفة فى ان اللّه تعالى يقسم نيابة عنهم برب المشارق والمغارب بانه قادر على تبديل الاقوام بخرين خيرا منهم , هي التنبيه الى ان القادر على اخفا هذه الشمس العظيمة في افق المغرب واظهارها فى اليوم التالي من مشرق جديد , لقادر على تبديل هؤلا القوم بخير منهم .

وما كان اللّه ليعجزه من شي :. طرحت الاية التاسعة مسالة عمومية القدرة الالهية فى بعدين:. الاول : نفي كل الوان العجز عنه سبحانه , والثاني : قدرته على كل شي ليكون المعاندون على بصيرة مـــن امرهم من هذه الناحية , قال تعالى :(ومـــا كـــان اللّه ليعجزه من شي في السمـــوات والا في الا رض) , (انه كـــان عليماقديرا) (فاطر/ ٤٤).

وفـــى هـــذه الايـــة لانـــجد استدلالا صريحا على قدرة اللّه تعالى في اي من جملتي هذه الاية , لكن الاشارة الاجمالية الى السموات والارض والنظام الدقيق الموجود فيهن , بمثابة دليل على علم اللّه سبحانه وقدرته المطلقة .

والـــهـــدف مـــن ذكر هذا الموضوع فى الاية الشريفة وبقرينة صدر الاية , هوتحذير المشركين , والمعاندين والظالمين , واعلامهم بان سلب قوتهم وقدرتهم ليسير جدا على اللّه تعالى كما حصل في الامم السابقة .

وتـــجـــدر الاشـــارة ايـــضا الى ان منشا العجز عن شي اما الجهل الذي يسلب من الشخص القدرة على مواجهة الحوادث , واما الضعف وعدم القدرة , اماالعالم القادر فلا يغفل عن الحوادث ولا يعجز عن مواجهتها.

هو الواهب القدير:. وبـــالـــتـــالي فقد طرحت الاية العاشرة والاخيرة من بحثنا نفس هذا المعنى بشكل آخر , وبدون ان تـــذكر مصطلح القدرة او تنفي العجز عن اللّه تعالى , قال سبحانه : (قل ان الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشـــا واللّه واسع عليم) (آل عمران /٧٣).

مع ان اكثر المفسرين قالوا بان كلمة (واسع) هنا تشير الى سعة الرحمة الالهية , او سعة قدرته , او كرمه وجوده سبحانه , ولكن من المسلم ان تفسيراكهذا يحتاج الى تقدير شي محذوف , في حين ان الحذف والتقدير على خلاف القاعدة ولا يصح بدون قرينة .

فظاهر الاية يوحي انها تتحدث عن سعة وجود الباري تعالى , وطبعا ان سعة وجوده تضم كافة هذه المعاني والمفاهيم , من قدرته المطلقه ورحمته الواسعة وكرمه اللامحدود.

لذا قال الفخر الرازي في تفسيره : لان كونه واسعا يدل على كمال القدرة ,وكونه عليما على كمال العلم , فيصح منه لمكان القدرة ان يتفضل على اي عبدشا باي تفضل شا , ويصح منه لمكان كمال العلم ان لايكون شي من افعاله الا على وجه الحكمة والصواب ((٩٧)) .

نتيجة البحث :.

يمكن الاستنتاج من مجموع الايات السابقة بان القدرة الالهية لاتعرف اي لون من التحديد والتحجيم , وخلق السموات والارض وانواع الموجودات وخصوصا مسالة الحياة والموت , خير دليل على هذا المفهوم .

والـــغـــايـــة مـــن تـــاكـــيد الايات القرآنية على هذه المسالة هي اثبات المعادوالحياة بعد الموت تارة , ولتحذير المغرورين الانانيين تارة اخرى , وكذلك لزرع الاطمئنان فى قلوب الصالحين والمؤمنين ليسالوه حل مشاكلهم ويلتجئوا اليه في امورهم , ويخشونه ولا يخشون احدا غيره .

التوضيحات :.

١ ــ.

الادلة على القدرة الالهية المطلقة :. هنالك ادلة مختلفة لاثبات هذه المسالة بعضها علمية , والاخرى فلسفية :.

١ ــ الدليل العلمي : (والمقصود من العلم هنا هو العلوم التجريبية) :.

عندما نجلس في بيتنا ونفكر في محيطنا المحدود الضيق فقط , نجد ان الدنيا صغيرة وبسيطة ولكن لـــو خرجنا من هذه الدائرة الضيقة وذهبنا الى الغابات والمزارع والحقول , وقمم الجبال الشاهقة , واعـــماق البحار الواسعة ,ولو طرنا باجنحة الخيال وتصورنا عظمة الفضا والكواكب السيارة , ثم نزلناوتوغلنا في اعماق الذرة واسرارها لتجسمت لنا عظمة الوجود العجيب .

فـــهنالك آلاف الانواع من النباتات المختلفة في التركيب بصورة تامة ولهاخواص متنوعة , ابتدااا من الـــنـــبـــاتات المجهرية السابحة فى امواج البحار ,وانتهاا بالاشجار التي يبلغ طولها خمسين مترا او اكـــثـــر وازهارهاوجذورها الى انواع السموم القاتلة .

وكـــذلـــك آلاف الانواع من الحيوانات والحشرات والاحيا التي تبلغ من الصغر احيانا بحيث لايمكن رؤيـــتها بالعين المجردة , ومن الكبر احيانا اخرى بحيث يتعدى طول بعضها الثلاثين مترا (كبعض الحيتان التي تعتبر اكبرالحيوانات على الارض).

وقـــد بـــلـــغ وزن الـــقلب لدى بعضها الف كيلو غرام الاخر.

وبعضها بدرجة من الخفة بحيث تحلق في جو السما بسرعة , وبعضهاالاخر اقوى من الفولاذ بحيث تتحمل ضغط الما العظيم في اعماق البحار.

وهنالك نجوم متفاوتة مع بعضها من حيث الكبر والصغر , والبعدوالقرب , والوزن وسرعة الحركة وبقية الصفات الاخرى , وكل واحدة ذات عالم خاص .

وكذلك تركيب الخلايا والذرات ونظامها العجيب المذهل , فكل واحدة منها تجسم لنا عالما جديدا.

والالطف من جميع ذلك هو ان جميع هذه الموجودات العجيبة الموجودة في عالم الوجود مركبة من اصـــل واحـــد , والـــكـــائنـــات الحية مركبة جميعها من الخلايا الصغيرة , وكل عالم المادة مركب من وحدات صغيرة تدعى الذرة ان هـــذا الـــتـــنوع البسيط والمحكم فى نفس الوقت الذي نراه في الكتاب التكويني يشبه بالضبط ذلك الـــنوع الملحوظ في الكتاب التدويني اي (القرآن الكريم) , فكل تلك المحتويات والمعارف الالهية العظيمة مصبوبة في قالب الفاظ مركبة من هذه الحروف الابجدية البسيطة ومـــن مـــطـــالـــعة مجموع هذه المسائل , نتوصل الى ان مبدي عالم الوجود ذوقدرة لامحدودة , ولا يعجزه شي في السموات ولا في الارض .

٢ ــ.

برهان الوجوب والامكان (برهان فلسفي) :. عـــرفـــنا في بحث اثبات وجود اللّه بان الوجود لا يتعدى احدى حالتين : امامستقل بالذات ويدعى (واجب الوجود) , او محتاج الى غيره ويدعى (ممكن الوجود).

وكـــذلـــك ثبت في بحث التوحيد ووحدة الذات الالهية المقدسة بان (واجب الوجود) في هذا العالم واحـــد لا اكثر , وكل ما سواه (ممكن الوجود) ,وجميع الممكنات محتاجة اليه تعالى لا فى بداية ايـــجادها فحسب , بل في بقائها واستمرارها وهذا بحد ذاته مظهر وبرهان على قدرة اللّه على كل شي (فتامل جيدا).

٣ ــ.

برهان سعة الوجود (برهان فلسفي):. من المؤكد ان سبب عجزنا عن انجاز عمل معين هو نقصنا , فمثلا لوعجزنا عن زراعة ارض معينة فالسبب في ذلك اما لكون مساحة الارض اكبر من قدرتنا وطاقاتنا , او لعدم امتلاكنا الوسائل اللازمة لزراعتها , او لان الارض سبخة وليس بمقدورنا تحويلها الى ارض زراعية .

لذا فلو كانت قدرتنا على الزراعة مطلقة , وكانت الارض بالنسبة لناصالحة للزراعة مهما كانت مساحتها , وكنا في غنى عن الوسائل الزراعية لاستطعنا زراعة اي ارض وبدون استثنا.

لذا فاي مشكلة تحدث في طريقنا هي في الواقع تنبع من محدودية وجودنا.

اذن , كيف يمكن ان يعجز الوجود المطلق من كل ناحية عن شي معين سبحانه حاضر في كل مكان وبيده مقدرات جميع الامور, لذا فهو قادر على ازالة كافة الموانع , وهذا دليل قدرته على كل شي .

٤ ــ.

اللّه قادر مختار:. كما اشرنا سابقا من ان المقصود بالقدرة الالهية هي القدرة المقرونة مع الاختيار.

وقد استدل الفلاسفة وعلما الكلام على كون اللّه تعالى فاعلا مختارا بان الفاعل على : نوعين : اما (مخير) , واما (مسير) كتاثير الشمس في المنظومة الشمسية وموجوداتها.

فلو قلنا : ان خالق العالم فاعل مسير , لوجب التسليم باحد الامرين : امابان الوجود قديم , واما بان الذات الالهية حادثة , لان الفاعل المسير لاينفصل عن فعله ابدا.

اما كون هذا العالم ازلي فغير ممكن , لاننا عرفنا دلائل حدوث العالم في بحث وجود اللّه سبحانه .

والقول بحدوث الذات الالهية المقدسة يستلزم انكار وجوده تعالى , لانهالو كانت حادثة لاحتاجت الى علة , اذا فهو ليس بواجب الوجود والحالة هذه .

وبتعبير آخر لو كانت خالقية الباري كاشعة الشمس لاستلزم ان يكون هذاالكون قديما وازليا , لان ارسال الشمس لاشعتها لا ارادي وهو ملازم لوجودهادائما وابدا.

لذا نستنتج بان اللّه تعالى فاعل مختار , وان ذاته المقدسة ازلية وفعله حادث ,وكلما اراد شيئا يتحقق بدون فاصلة زمنية .

سؤال :.

من المعلوم ان كلمة الفاعل المختار تعني المريد , ونعلم ان الارادة كيفية نفسانية تعرض على صاحبها , وهذا المفهوم يتعارض مع حقيقة ذات الباري تعالى , لان ذاته لاتقع محلا للحوادث , فكيف نفسر ارادة اللّه تعالى ؟.

الجواب :.

بـــالـــرجوع الى ماذكرناه في بحث الارادة الالهية (في ذيل صفة علم اللّه تعالى) يتضح جواب هذا الـــســـؤال , وهو عدم امكانية تطبيق ومقايسة مفهوم الارادة الذي نجده في انفسنا مع مفهومها بالنسبة لـــلذات الالهية , كما هو الحال في صفة العلم , فالعلم الحصولي الموجود فينا والحادث بالنسبة لنا لا معنى له ابدا بخصوص الذات الالهية المقدسة .

والارادة الالهية الذاتية ــ كما شرحنا ذلك سابقاــ تتشعب من علمه سبحانه , وهي عبارة عن (علمه بالنظام التكويني الاحسن) الذي هو علة خلق الاشيا والاحداث الواقعة في الازمنة المختلفة .

اذا ارادته ازلية وآثارها تدريجية (تمعن بدقة).

ولـــزيـــادة الاطلاع حول هذا الموضوع , وحول التفاوت الموجود بين الارادة الالهية ((الذاتية)) و((الفعلية)) راجع بحث الارادة في نفس هذا الجز.

٥ ــ.

المخالفون لشمول القدرة الالهية :. فـــي نـــفـــس الوقت الذي اقر بعض الفلاسفة والمتكلمين بالقدرة الالهية بدون اي اشكال , نجدهم قد تـــرددوا فـــي مـــسالة عموميتها ــ بسبب اصطدامهم ببعض الاشكالات التي عجزوا عن حلهاــ , ومن جملتهم :.

١ ــ الـــمـــجـــوس : ومن المعلوم انهم قسموا جميع موجودات العالم الى مجموعتين : (الخير) و (الشر) , واعتقدوا بان لكل واحدة منها خالقا خاصا ,فخالق الخير لايمكن ان يخلق الشر , والعكس صحيح لذا فقد اعتقدوا بتعددالمبدي : اله الخير (يزدان) , واله الشر (اهريمن).

لـــكـــن خـــطـــاهـــم الـــفادح ينشا من تقسيم الموجودات منذ البداية الى مجموعتي الخير والشر , لان التحقيقات الدقيقة تشير الى عدم وجود (الشرالمطلق) في عالم الوجود , بل مانسميه نحن بالشر قد يكون ذا جنبة عدمية كالفقر والجهل , فالاول بمعنى عدم المال والثروة , والثاني بمعنى عدم العلم ,ونحن نعلم بان العدم ليس شيئا يحتاج الى خالق .

وامـــا مـــاكـــان ذا جـــنبة نسبية كلسعة الحشرات التي تعتبر شرا بالنسبة للشخص الملسوع فهي في الحقيقة وسيلة دفاعية بالنسبة للحشرات اللاسعة ,وتعتبر خيرا لانها وسيلة من اجل بقائها.

عـــلاوة عـــلى ان الكثير من الامور الوجودية نعتبرها شرا بسبب جهلنااسرارها , لذا وبعد حصول الـــتـــطـــور الـــعلمي واكتشاف اسرارها نقر بضرورتها ,كالعواصف الثلجية الباردة التي تقضي على الكثير من الافات النباتية وما شاكل ذلك , او الحر الشديد الذي يؤدي الى نمو انواع النباتات وتبخر كـــميات كبيرة من مياه البحار الذي يؤدي بالتالي الى هطول الامطار المفيدة لذا فعندما ننزع نظارات الـــشـــر عـــن انـــظارنا , وننظر الى الوجود بنظرة خير ينتفي موضوع هذه العقيدة الثنوية , وهناك توضيحات اوسع حول هذا الموضوع سنطرحها في بحث

العدل الالهي ان شا اللّه تعالى .

٢ ــ المفوضة : قالت هذه الجماعة بان اللّه سبحانه ليست له قدرة على اعمالنا , او بعبارة اخرى : ان افــعال الانسان خارجة عن دائرة قدرته تعالى , والالزم (الجبر) , لان افعال الانسان لو كانت في دائرة الــقدرة الالهية لحصل التضاد ,حيث يحتمل ان يريد اللّه تعالى فعلا معينا , ويريد عباده غير ذلك وخطا هذه الجماعة ينشا من اعتقادهم بان قدرة اللّه تعالى على افعالناتتعارض مع قدرتنا على اساس انهما في عرض واحد , غافلين عن ان هاتين القدرتين تقعان في طول واحد.

توضيح ذلك : ان اللّه تعالى قد خلق البشر ومنحهم الحرية والقدرة على التصميم , وقادر على سلبها مــنــهم متى شا , لذا فانه سبحانه هو الذي اراد ان يكونوا فاعلين مختارين , وعليه فان افعالهم غير خارجة عن دائرة قدرته , لان هذه الحرية من عطائه ومتطابقة مع ارادته ومشيئته سبحانه .

وسياتي توضيح اكثر حول هذا الموضوع في بحث الجبر والتفويض .

٣ ــ اعتقد بعض اهل السنة : (جماعة النظام) بان اللّه تعالى غير قادر على فعل القبيح , لان الافعال الــقبيحة اما ان تكون بسبب الجهل , واما بسبب الحاجات الكاذبة , وبما ان اللّه تعالى منزه عن الجهل والحاجة , لذا فهو غير قادرعلى فعل القبيح ابدا والــخــطــا الذي وقعت فيه هذه الجماعة ينشا من عدم تمييزهم بين (الامكان الذاتي) و (الامكان الوقوعي).

تــوضــيــح ذلــك : ان بــعض الامور مستحيلة ذاتا كاجتماع الضدين , اوالنقيضين , وهو الجمع بين الوجود والعدم في حالة واحدة , ويطلق على هذاالنوع بالمستحيل الذاتي .

امــا الامــور غير المستحيلة ذاتا لكنها لاتصدر من حكيم كالباري تعالى مثل الظلم والفساد والافعال القبيحة الاخرى , فيطلق عليها بالمستحيل الوقوعي .

ومن المسلم به هو ان اللّه تعالى قادر على الظلم لكن حكمته تمنعه من ذلك .

وقد يصدق هذا الكلام بخصوصنا احيانا , فنحن نستطيع ان نلقي بانفسنافي النار , او نضع جذوة من النار في افواهنا , او عيوننا , ولسنا بعاجزين على القيام بهذا الفعل , لكننا لانقوم به ابدا , لان عقولنا لاتسمح لنا بمثل ذلك , فهذامستحيل وقوعى لاذاتي .

٤ ــ اعــتــقــد بــعــض الفلاسفة : بان الذات الالهية المقدسة , ولكونها واحدة من كل ناحية ولا تقبل الــكــثرة والتعدد , فلا يصدر منها سوى مخلوق مجرد واحدرفيع جدا سموه ((العقل الاول)) , واستندوا في معتقدهم هذا على القاعدة المعروفة التي تقول ((الواحد لا يصدر منه الا الواحد)).

لــذا فهم يقولون : بان المخلوق الالهي الوحيد هو ذلك الموجود المجردالاول , لذا ومن حيث ان ((العقل الاول)) ذو جهات متعددة (له وجود من جهة ,وماهية من جهة اخرى , ذاتا ((ممكن الوجود)) من جهة , و ((واجب الوجود))بالعرض من جهة اخرى) , فبسبب جهات

الكثرة هذه , نشات منه معلولات مختلفة لذا فمنشا الكثرة في عالم الوجود هي الكثرة الموجودة في العقل الاول والمراتب البعدية حاصلة منه .

وقد اعتمدوا لاثبات القاعدة اعلاه على مسالة ((السنخية بين العلة والمعلول)) ,

وقالوا:لولا ضرورة السنخية بين العلة والمعلول , لامكن ان يكون كل موجود علة لاي معلول , لكن لزوم السنخية يحول دون هذا الامر , وعندما نقربوجوب السنخية بين العلة والمعلول , يجب علينا ان نقر بان العلة الواحدة من كل ناحية تستلزم ان لايكون لها اكثر من معلول واحد (تامل جيدا) ((٩٨)) .

ويمكن الرد على هؤلا بعدة طرق :.

ا ــ على فرض صحة هذا الاستدلال , فانه لايفهم منه محدودية القدرة الالهية , بل هو على كل شي قدير , لكن قدرته بالنسبة ((للعقل الاول)) بدون واسطة , وبالنسبة للموجودات الاخرى مع وجود واسطة , وكلاهما يعتبران في حدود المقدور , فما الفرق بين ان يباشر الانسان عملا معينا بيده , او بوسيلة واداة معينة من صنعه ؟ فالفعل فعله في كلتا الحالتين .

ب ــ ما قيل بخصوص قاعدة (الواحد لا يصدر منه الا الواحد) لايصح تطبيقه على الفاعل المختار بنظر بعض المحققين .

لذا فقد طرح المرحوم ((العلامة الحلي)) (ره) هذه المسالة في ((كشف المراد)) بشكل امر بديهي وقال : ((المؤثر ان كان مختارا جاز ان يتكثر اثره مع وحدته , وان كان موجبا فذهب الاكثر الى استحالة تكثر معلوله)) ((٩٩)) .

وعليه فقد جعل (الفاعل الموجب) مركز بحثه لا (الفاعل المختار) , ثم نقل استدلال القائلين بوحدة الاثر في الفاعل الموجب ورده ((١٠٠)) .

وبالحقيقة فانه لايوجد اي دليل على شمول القاعدة المذكورة للفاعل المختار , فهو مجرد ادعا محض .

جـ ــ بغض النظر عن جميع ذلك فان قانون ((السنخية بين العلة والمعلول))محل اشكال حتى في غير الفاعل المختار , لانه لو كان المراد من السنخية هوالسنخية والتشابه من جميع الجهات , فهو مستحيل التحقق بين ((واجب الوجود)) و ((ممكن الوجود)) , فالممكنات مهما تكن فهي متباينة مع واجب الوجود في جهات كثيرة , فلو اشترطنا السنخية التامة وفي جميع الجهات ,فكيف يمكن ان يخلق وجود غير مادي موجودات مادية ؟.

ولو كان المراد منها السنخية الاجمالية , فهي متحققة بين الخالق والموجودات المتكثرة والمتعددة , لانها جميعا تشترك في الوجود والكمال النوعي الذي يعد فطرة من بحر كمال اللّه اللامحدود.

د ــ علاوة على جميع ماذكرنايمكن القول : بان الكون نسخ واحد لا اكثرعلى الرغم من احتوائه ظاهرا على موجودات متعددة ومتكثرة وبتعبير آخر ,فان عالم التكوين كبحر عظيم

لامحدود تـــوجـــد على سطحه امواج , وهذه الامواج والتعرجات بمثابة تلك الموجودات المتعددة والمتكثرة والمقصودهنا عالم الوجود , لا الذات الالهية المقدسة , (دقق جيدا).
وبـــاخـــتـــصـــار فاننا لو دققنا النظر لعلمنا بان مجموع عالم الوجود موجودواحد متصل ومترابط , وعلى الرغم من كل تنوعاته وكثرة قوانينه المؤثرة فيه فهو واحد , وهذا الموجود الواحد يفيض من الوجود الالهي الواحد , وهذاالمخلوق الواحد له خالق واحد (دقق ثانية).
٥ ــ والـــبعض الاخر الذين شككوا في شمول القدرة الالهية قالوا:لو افترضناان اللّه تعالى على كل شي قدير , لواجهنا تعارضا في بعض الحالات لا نستطيع حله .
فـــمـــثـــلا تسائل البعض : هل يستطيع اللّه تعالى ان يخلق موجودا مثله الالهة ممكنا او يتسال : هل يقدر اللّه تعالى ان يدخل جميع هذا العالم الواسع ,وبجميع كراته وكواكبه في بيضة , من غير ان يصغر العالم او تكبر البيضة ؟ بعجزه ــ سبحانه ــ.
او : هـــل يـــســـتـــطـــيع اللّه تعالى ان يخلق موجودا لا يقدر على افنائه اقررتم بعجزه , والكثير من هذه الاسئلة .
ان مصدر اشتباه هؤلا هو عدم المامهم بالمسائل الفلسفية , وغفلتهم عن هذه الحقيقة الواضحة , وهو انه عندما يدور الحديث حول ((القدرة)) , فمعناه القدرة على الامور الممكنة , لان القدرة لا تشمل المستحيلات لانها لا شي .
تـــوضـــيـــح ذلك : ان معنى تساؤلنا عن اقتدار اللّه تعالى على شي معين احيانا , هو كون ذلك الشي من الـــمـــمـــكنات , وقصدنا اكساؤه حلة الوجود بالقدرة الالهية , اما لو كان ذلك الشي مستحيلا ذاتا فان تساؤلنا عن امكانية ايجاده غيرصحيح بتاتا , ولا معنى له ابدا وهذا مايسمى بالسؤال المتناقض .
كـــان يكون لدينا عشرون برتقالة ونريد توزيعها على اربعين شخصا ,بحيث يحصل كل واحد منهم على واحدة فـــالـــســـؤال المطروح اعلاه متناقض بحد ذاته وغير صحيح , لان قولناعشرون برتقالة يعني انها لـــيست اربعينا , وقولنا : ان اربعين شخصا يحصل كل واحد منهم على برتقالة , معناه وجود اربعين بـــرتـــقـــالـــة , مـــما يلزم تحقق العددين عشرين واربعين في نفس الكمية من البرتقال وفي آن واحد وبديهي انه لايوجد انسان عاقل يتفوه بمثل هذا الكلام .
وبـــعـــد الـــتـــحقيق في جميع الاسئلة التي ذكرناها اعلاه يتضح انها من هذاالقبيل , اي انها متناقضة وغير مقبولة , لذا ينتفي جوابها.
فمثلا عندما نقول : هل يستطيع اللّه تعالى ان يخلق الها آخر مثله ؟ معناه ان ذلك الاله غير مخلوق , فـــيصبح السؤال متناقضا , لانه سؤال عن خلق شي لايمكن ان يكون مخلوقا , وبمجرد ان يخلق اللّه سبحانه شيئا فهو مخلوق , ولايمكن ان يكون الها.
وهكذا عندما يقال : هل يستطيع اللّه تعالى ان يدخل الدنيا في مكان صغير من غير ان تصغر

الدنيا او يكبر ذلك المكان , فمعناه ان يكون العالم صغيرا وكبيرا جدا في آن واحد , وهذا شي متناقض .

واللطيف ان رجلا سال امير المؤمنين ((ع)) نفس هذا السؤال : ((هل يقدرربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان تصغر او تكبر البيضة)) ؟ فاجابه الامام ((ع)) : ((ان اللّه تبارك وتعالى لا ينسب الى العجز والذي سالتني لايكون)) ((١٠١)) .

وما نجده في الرواية المنقولة عن الامام علي بن موسى الرضا ((ع))عندمايجيب على هذا السؤال فيقول ((ع)): ((نعم وقد جعلها في عينك وهي اقل من البيضة)) ((١٠٢)) , فهو في الحقيقة جواب اقناعي , وذلك لان السائل لم يكن ذا قدرة على تحليل مثل هذه المسائل , وقد اجابه الامام ((ع)) بهذه الطريقة مراعاة لحاله من الفهم , والا فالجواب الاصلي على هذا السؤال هو نفس ماورد في كلام امير المؤمنين ((ع)) اعلاه .

٣ ــ.

ازلية وابدية اللّه تعالى .

تمهيد:.

يعتقد جميع من يؤمن بوجود اللّه تعالى بازليته وابديته سبحانه , وهاتان الصفتان عين بعضهما , لان الوجود الازلي لايمكن ان يكون ذا عمر وزمان محدود , والا لما كان ازليا , وعندما يكون الوجود غير محدد بزمان فذلك يعني ابديته ايضا (تامل جيدا).

وبتعبير آخر , ان جميع الادلة الموجودة على اثبات وجود اللّه تعالى تدل بصورة مباشرة او غير مباشرة على كونه سبحانه وتعالى واجب الوجود.

وبديهي ان واجب الوجود الذي وجوده عين ذاته لا بد وان يكون ازلياوابديا , فالممكنات هي الحادثة , اي انها لم تكن في زمان معين ثم وجدت وستفنى بعد مدة وتموت , وواجب الوجود منزه عن الحدوث كليا.

بعد هذا التمهيد نعود الى القرآن الكريم لنصغي الى الايات المباركة التالية ونصغي اليها باسماع قلوبنا:.

١ ــ (هو الا ول و الا خرو الظاهر و الباطن و هو بكل شي عليم) (الحديد/٣).

٢ ــ (كل من عليها فان ــ و يبقى وجه ربك ذوالجلا ل و الا كرام) (الرحمن / ٢٦و ٢٧).

٣ ــ (واللّه خير و ابقى) (طه / ٧٣).

٤ ــ (كل شي هالك الا وجهه) (القصص / ٨٨).

جمع الايات وتفسيرها :.

يــلاحــظ في بداية سورة الحديد ((آيات ستة)) تحتوي على الكثير من الصفات الالهية وبتعابير غــنــيــة وعميقة ، لذا فقد ورد في بعض الاحاديث الاسلامية المنقولة عن الامام علي بن الحسين ((ع)) ، انه سئل عن التوحيدفقال : ان اللّه عز وجل علم انه يكون في آخر الزمان اقوام متعمقون ، فــانــزل اللّه تــعــالــى : سورة ((قل هواللّه احد)) ، والايات من سورة الحديد الى قوله : ((وهو عليم بذات الصدور)) ((١٠٣)) .

والاية التي محل بحثنا هي احدى الايات الست المذكورة .

قال تعالى : (هو الا ول و الا خرو الظــاهر و البــاطن و هو بكل شي عليم).

اختلف المفسرون حول المقصود من (الاول) و (الاخر) ، ولكن تعابيرهم قريبة من بعضها:.

فقد قال البعض : هو الاول من غير ابتدا ، والاخر من غير انتها.

وقال البعض الاخر: هو الاول في التكوين ، والاخر في اعطا الرزق .

وقال جماعة : هو اول الاولين ، وآخر الاخرين .

وقال آخرون : هو الاول بازليته ، والاخر بابديته .

وقال البعض الاخر : هو الاول بالخير والاحسان ، والاخر بالعفووالمغفرة ((١٠٤)) .

ولــكــن عــلى اية حال فان مفهوم الاية واضح ، والمقصود من الاول هو كونه ازليا ، ومن الاخر هو كونه ابديا ، لذا فقد ورد في نهج البلاغة : ((لم يزل اولا قبل الاشيا بلا اولية ، وآخرا بعد الاشيا بلا نهاية)) ((١٠٥)) .

وكذلك ورد في خطبة الاشباح : ((الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شي قبله والاخر الذي ليس له بعد فيكون شي بعده)) ((١٠٦)) .

وفي حديث نبوي انه ((ص)) قال : ((اللهم انت الاول فليس قبلك شي ، وانت الاخر فليس بعدك شي)) ((١٠٧)) .

وقال بعض المفسرين : ان (الاول) و (الاخر) تشمل جميع الزمان ، و(الظاهر) و (الباطن) تشمل جميع حقيقة المكان ، لذا فالاية اعلاه كناية عن حضور اللّه تعالى الدائمي في كل مكان وزمان ((١٠٨)) .

وواضــح ان تعبير بــ الزمان وما شاكل في العبارات اعلاه هو لضيق البيان ،والا فاللّه سبحانه فوق الزمان والمكان .

وفي الاية الثانية نجد الحديث عن فنا سكان الارض ، لكنها بالحقيقة لاتنحصر بهم فقط ، يقول تبارك وتعالى : (كل من عليهــا فــان ــ و يبقى وجه ربك ذوالجلا ل و الا كرام).

صــحــيح ان التعبير بعبارة (من عليها) اشارة الى الموجودات العاقلة من الجن والانس ، لكنه وكما احــتــمل بعض المفسرين لا يستبعد ان يكون المقصودمنها جميع الكائنات الحية الارضية (من باب الــتــغــلــيــب) ، وعــلى اي حال فالهدف الاساس من الاية هو بيان فنا جميع الموجودات وبقا الذات الالهية المقدسة .

ولو ان (وجه) في اللغة يعني قرص الوجه ، لكنه في مثل هذه الحالات يعني الوجود والذات .
ولا يستبعد ان يكون التعبير بعبارة ((ذو الجلال والاكرام)) اشارة الى الصفات الالهية السلبية والثبوتية ، لان (ذو الجلال) تحكي عن الصفات السلبية ، بمعنى ان اللّه تعالى اجل واعلى من ان يوصف بها ، و (الاكرام) اشارة الى الصفات المظهرة لكمال الشي ، وهي الصفات الالهية الثبوتية ، كعلم اللّه وقدرته .
اجل ، ان الاله صاحب الجمال والجلال باق دائما ، ومن سواه فان .
والجدير بالذكر هو كون الاية اعلاه من ((سورة الرحمن)) التي يفيض محتواها بذكر النعم الالهية المختلفة ، فهل ان مسالة فنا وموت الكائنات الحية هي ايضا من زمرة النعم الالهية نعم ، هي نعمة ، لانها من جهة تخلع عن الانسان لباس الشرك وتدعوه الى التوحيد الخالص وتفهمه بان المستحق للعبادة والالوهية هو ذات ((ذو الجلال والاكرام)) الباقية فقط ، لا الموجودات الفانية الزائلة ومن جهة اخرى تحذرالانسان ليستفيد من ساعات عمره بافضل وجه واكمله .
ومن جهة ثالثة تسلي الانسان وتصبره امام مصائب ومشكلات الدهر التي لا يمكن ان تخلو الدنيا منها على اي حال ، من حيث كونها زائلة ايضا ومن جهة رابعة ان هذا الفنا مقدمة للبقا وطريق الخلاص من سجن هذه الدنيا والانتقال الى عالم الاخرة ونعيمها الذي لا يزول .
وردت الاية الثالثة فى ذيل قصة ايمان سحرة فرعون وتهديد فرعون لهم بالقتل ، وهي ذات مفهوم عميق واسع ، فقد نقلت كلام اولئك السحرة الذين آمنوا وقالوا لفرعون : (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر ،واللّه خير وابقى).
((البقا المطلق)) معناه الابدية ، وكما قلنا سابقا فان ((الابدية)) لا تنفصل عن الازلية ايضا.
ومن المسلم به ان ابدية ذاته المقدسة متلازمة مع ابدية لطفه وانعامه ،لذا فقد علم اولئك السحرة الذين آمنوا بوجوب ترجيح هذه النعمة الخالدة على النعم الفرعونية الحقيرة الزائلة .
بعد ان ابطلت الاية الرابعة والاخيرة من بحثنا كل الوان الشرك ، فندت ماسواه من المعبودات ، قالت : (كل شى هالك الا وجهه).
وهذه الجملة بالحقيقة هي بمنزلة دليل على الحكم السابق ، لان الموجودات الفانية الزائلة لا تليق بالالوهية والعبادة ، والوجود الوحيد الذي يليق بهذا المقام هو الباقي والقائم دائما فقط.
وقد قلنا : ان (الوجة) في اللغة يعني قرص الوجه ، لكنها تستعمل في بعض الاحيان ايضا بمعنى (الذات) ــ كما هو في بحثنا هذا ، وما فسره البعض بمعنى الدين او العمل الصالح وما شاكله لا دليل له ، الا ان يؤل بمعنى الذات الالهية المقدسة .
وعلى اي حال ، فان هذه الاية دليل واضح على ابدية الذات الالهية المقدسة ، ونعلم جميعا ان الابدية غير مفصولة عن الازلية .
والموجودات الاخرى من الاموال ، الثروات ، والمقامات والسموات والارض ، جميعها في

زمرة الـــمـــمـــكنات ولا تفنى وتهلك في النهاية فحسب ، بل هي فانية وهالكة حتى في حالها الحاضر ، لانها لاتـــمـــلك في ذاتها شيئا ، ولولاالذات الالهية المقدسة التي تفيض عليها بالوجود لحظة بعد اخرى ، لفنت وهلكت .

ويـــظـــهر ان (الفنا) هنا بمعنى موت الموجودات الحية ، او بمعنى تلاشي الموجودات الاخرى ، وعـــلـــيـــه فـــلا تضاد بينها وبين الايات التي تقول : بان تراب الانسان يبقى ليصير مصدرا لحياته في الاخرة ، او التي تقول : بان اجزا الارض والجبال تبقى بعد ان تتلاشى لينشا منها عالم جديد.

ويـــرد هـــنا السؤال التالي وهو : يستنتج من الايات القرآنية ان كلا من الجنة والنار موجودتان حاليا ومـــعـــدتـــان ، حـــيـــث قـــال تعالى بخصوص الجنة : (اعدت للمتقين) (آل عمران ــ ١٣٣) ، وقال بخصوص النار : (اعدت للكافرين) (آل عمران ــ ١٣١) ، افهل تفنيان في النهاية ايضا؟.

فـــي الـــجواب على هذا السؤال ، قيل : انه لاتنافي بين عمومية الاية اعلاه مع استثنا بعض الموارد الخاصة التي تحصل بارادة اللّه تعالى ايضا ((١٠٩)) .

عـــلاوة عـــلـــى ذلك وكما قلنا سابقا : ان الموجودات الامكانية هي فانية في حال وجودهاايضا ، لان بقائها قائم ببقا اللّه سبحانه (تامل جيدا).

يتضح من مجموع ماذكرناه ان القرآن الكريم وضح مسالة ازلية وابدية وجود اللّه تعالى بصورة تامة ، على الرغم من عدم استعماله كلمتي (الابد) و(الازل) ، لكنه استعمل تعابير من قبيل (الاول) و (الاخر) و (الباقي) و (عدم الفناوالهلاك) والتي تفصح عن مفهومي الازلية والابدية .

واللطيف ان البعض قالوا : بان كلمة (ازل) ماخوذة من جملة (لايزال) ،والتي هي بالاصل ماخوذة من مادة (زوال) ، اي التحول والتغير ، ولعل هذا هوالسر في عدم استعمالها في الايات القرآنية ، بل استعملت كلمة (اول) بدلاعنها ، والتي لها مفهوم اوضح وابقى .

و (الابـــد) فـــي اللغة ايضا بمعنى (الزمن الطويل) ولا تعطي مفهوم (الاخر) ، لذا فما ذكر في الـــقـــرآن الكريم بخصوص اللّه سبحانه (الاول والاخروالباقي وغير الفاني) ابلغ من كلمة الـــ (ازل) وكلمة الـــ (ابد) من كل ناحية ، ولوان هاتين الكلمتين قد وصلتا مرحلة الوضوح في عصرنا وزماننا الحاضر على اثركثرة استعمالها في هذين المفهومين .

التوضيحات :.

١ ــ.

ازلية وابدية اللّه تعالى في نظر الفلسفة :. وكـــمـــا اشرنا سابقا فلا احد من المؤمنين ينكر ازلية وجود اللّه عز وجل وابديته ، لانه لو لم يكن ازليا لاستلزم ان يكون حادثا ، وان كان حادثا لاحتاج الى علة اخرى ، لان المعلول من غير علة محال واذا آمنا بازليته سبحانه فانهامصحوبة

ايضا بابديته ، لان الوجود الازلي لامحدود حتما ، ووجود كهذاسيكون ابديا بالطبع مضافا الى ذلك فان نفس التفكر في حقيقة وجود اللّه تعالى يوصل الى هاتين الصفتين بسهولة ، لان دلائل اثبات وجود اللّه تفيد كونه (واجب الوجود) ، ونعلم ان واجب الوجود لايمكن ان يكون منفصلا عن الوجود ابدا ، او بعبارة اصح ، الوجود عين ذاته ، ولم يعط له من الخارج ليؤخذمنه في زمان ما ، ووجود كهذا كان منذ الازل وسيبقى الى الابد.

وقد تجمع هاتان الصفتان في صفة واحدة هي (السرمدية) ، لان الوجودالسرمدي هو الوجود الذي لا بداية له ولا نهاية كما قال بعض ارباب اللغة .

وما قاله بعض ذوي الافكار الضيقة من امكانية تصور ذات تكون وجوداواجب الوجود في زمان ، وغير واجب للوجود في زمان آخر ، انما هو كلام واه جدا ولا اساس له ، ويدل على عدم فهمهم معنى (واجب الوجود) بصورة صحيحة ، لانه وكما قلنا سابقا : فان واجب الوجود هو عين الوجود ، فكيف يمكن ان ينفصل الوجود وكذلك مانقل عن بعض الاشاعرة من اعتقادهم بان صفة البقا والابدية زائدة على الذات الالهية المقدسة ، انما يدل على عدم دقتهم في معنى ومفهوم واجب الوجود.

٢ ــ.

ازلية اللّه تعالى وابديته في الروايات الاسلامية :. هنالك خطب عديدة في نهج البلاغة اكدت على هذا المعنى ، وكمثال على ذلك :.

نقرا في الخطبة ١٦٣ : ((ليس لاوليه ابتدا ، ولا لازلية انقضا)).

وجا في الخطبة ١٨٥ : ((مستشهد الاشيا على ازليته)).

كما نقرا في نفس الخطبة : ((واحد لا بعدد ، ودائم لا بامد)).

وجا في اصول الكافي في فصل ((معاني اسما اللّه)) في تفسير ((هو الاول والاخر)) عن الامام الصادق (ع) انه قال : ((هو الاول قبل كل شي وهو الاخر على مالم يزل ولاتختلف عليه الصفات والاسما ، كما تختلف على غيره)) ((١١٠)) .

وجا في حديث آخر عن نفس الامام (ع) في تفسير وصف ((الاول)) :الاول لا عن اول قبله ، ولا عن بد سبقه ، والاخر لا عن نهاية ولم يزل ولايزول بلا بد ولا نهاية ((١١١)) .

٣ ــ.

الاجابة على سؤال :. يرد هذا السؤال عادة في مباحث معرفة اللّه تعالى ومن قبل الافرادالمبتدئين وهو : انتم تقولون : ان لكل شي خالقا ومبدعا ، اذا فمن خلق اللّه عزوجل ؟.

والعجيب هو ان بعض فلاسفة الغرب طرحوا هذه الاسئلة ايضا ، مما يدل على مقدار تصورهم السطحي في المباحث الفلسفية وتفكيرهم البدائي .

يقول الفيلسوف الانجليزي الشهير (برتراندراسل) في كتابه (لم لم اكن مسيحيا؟) : (كنت اعتقد باللّه في شبابي ، وكنت اعتقد ببرهان علة العلل كافضل دليل عليه ، وهو ان

كل مانراه في الوجود ذو علة معينة ، ولو تتبعناسلسلة العلل لانتهت بالعلة الاولى ، وهي مانسميه باللّه .

لـــكـــنـــنـــي تراجعت عن هذه العقيدة بالمرة فيما بعد ، لانني فكرت بانه لوكان لكل شي علة وخالق ، لوجب ان يكون للّه علة وخالق ايضا) ((١١٢)) .

لكننا لانعتقد بان احدا له ادنى اطلاع على المسائل الفلسفية الخاصة بمباحث معرفة اللّه تعالى ، وما ورا الطبيعة ، يحار في الاجابة على هذا السؤال والمسالة واضحة جدا ، فعندما نقول : ان لكل شي خـــالـــقـــا ومـــوجـــدا ،نـــقـــصـــد (كـــل شي حادث وممكن الوجود) ، لذا فهذه القاعدة الكلية صادقة فـــقـــطبخصوص الاشيا التي لم تكن من قبل وحدثت فيما بعد ، لا بخصوص واجب الوجود الذي كان موجودا منذ الازل وسيبقى الى الابد ، فوجود ازلي لا يحتاج الى خالق ، لكي نسال عن خالقه قائم بذاته ولم يكن معدوما من قبل ابدا ، لكي يحتاج الى علة وجودية .

وبتعبير آخر : ان وجوده من ذاته لا من خارج ذاته ، وهو لم يكن مخلوقا ،هذا من جهة ، ومن جهة اخـــرى كـــان مـــن الافضل لـــ (برتراندراسل) ومؤيديه ان يسالوا انفسهم هذا السؤال : لو كان للّه خـــالـــق فسيرد نفس هذا الاشكال مع الخالق المفترض ، وهو : من خلق ذلك الخالق هـــذه الـــمسالة وافترضنا ان لكل خالق خالقا لادى ذلك الى التسلسل ، وبطلانه من الواضحات ، ولو تـــوصلناالى وجود يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج الى موجد وخالق آخر (اي واجب الوجود) ، فذلك هو اللّه رب العالمين .

ويـــمـــكن توضيح هذه المسالة ببيان آخر وهو : اننا لو لم نكن من المؤمنين على سبيل الفرض وكنا نـــؤيـــد عقيدة الماديين ، لواجهنا نفس هذا السؤال ،فبتصديقنا قانون العلية في الطبيعة ، وان كل شي فـــي الـــعالم معلول لاخر ، سيردهذا السؤال الذي واجهه المؤمنون باللّه تعالى وهو : لو كانت جميع الاشيامعلولة للمادة فما هي العلة التي اوجدت المادة اذا؟.

وســـيـــضـــطرون ايضا للقول : بان المادة ازلية ، وكانت موجودة منذ الازل ،وستبقى الى الابد ، ولا تحتاج الى علة وجودية ، وبتعبير آخر هي (واجب الوجود).

وعلى هذا الاساس نلاحظ ان جميع فلاسفة العالم اعم الالهيين منهم والماديين يؤمنون بوجود ازلي واحد ، وجود لا يحتاج الى خالق وموجد ، بل كان موجودا منذ الازل .

والـــتفاوت الوحيد هو ان الماديين يعتقدون بان العلة الاولى فاقدة للعلم والمعرفة والعقل والشعور ، ويعتقدون بانها جسم ولها زمان ومكان لكن المؤمنين يعتقدون بان العلة الاولى ذات علم وارادة وهدف ، وهو اللّه تعالى وينزهونه عن الجسمية والزمان والمكان ، بل يعتقدون بانه فوق الزمان والمكان .

وجـــميع الادلة التي اوردناها سابقا في بحوث معرفه اللّه تعالى تؤيد هذه الحقيقة ، وهي ان المبدي الاول لهذا العالم ذو علم واطلاع غير محدود.

وعـلـيـه فـقد اخطا (راسل) في تصوره بانه يستطيع التهرب من مخالب هذاالسؤال بترك زمرة الـمـؤمـنـين والالتحاق بالماديين ، لان هذا السؤال ملازم له دائما ، حيث ان الماديين يعتقدون ايضا بقانون العلية ويقولون : بان لكل حادثة علة معينة .

اذا ، فـالطريق الوحيد في حل هذه المشكلة هو ادراك الفرق جيدا بين (الحادث) و (الازلي) ، وبـيـن (ممكن الوجود) و (واجب الوجود) ، لكي نعلم ان الذي يحتاج الى خالق هو الموجودات الحادثة والممكنة ، اي ان كل مخلوق يحتاج الى خالق ، ومماليس بمخلوق فلا يحتاج الى خالق .

٤ ــ.

اللّه الحي القيوم . تمهيد:.

وصفت الروايات الاسلامية والايات القرآنية الباري بصفتي (الحي) و(القيوم) كرارا ، فحياته خالدة وثابتة ، وهو قائم بذاته وكل شي قائم به .

ولـكـن مـن الـبديهي ان كلمة الحياة بالنسبة للباري ذات مفهوم يختلف عن المفهوم الذي يصدق علينا والـكـائنات الحية الاخرى ، لان حياتنا تعرف عن طريق آثار معينة من قبيل التنفس ، دقات القلب ، الاحـسـاس والحركة ، النموالتناسيل وما شاكل ذلك ، في حين انها جميعا لا معنى لها بالنسبة الى اللّه سبحانه وتعالى .

اذا ، علينا ان نبحث عن مفهوم الحياة بالنسبة الى اللّه عز وجل .

ومـن المسلم انها حياة اسمى وارفع من الحياة المادية ، وسنتطرق الى شرحها بعد تفسير الايات ان شا اللّه تعالى .

بـعـد هـذا الـتمهيد المختصر نتوجه الى القرآن الكريم ونصغي خاشعين الى الايات التالية باسماع قلوبنا:.

١ ــ (اللّه لا اله الا هو الحي القيوم) (البقرة ــ ٢٥٥).

٢ ــ (اللّه لا اله الا هو الحي القيوم) (آل عمران ــ ٢).

٣ ــ (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) (طه ــ ١١١).

٤ ــ (وتوكل على الحي الذي لا يموت) (الفرقان ــ ٥٨).

٥ ــ (هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين) (غافر ــ ٦٥).

شرح المفردات :.

((حي)) من مادة ((حياة)) ، وكما قال صاحب مقاييس اللغة : فان هذه المادة بالاصل ذات معنيين ، احدهما (الحياة) في مقابل الموت ، والاخر (الحيا)في مقابل الوقاحة وعدم الخجل .

ولـكـن بعض محققي اللغة ارجعوها الى اصل واحد ، فقالوا : ان الحياوالاستحيا ايضا نوع من طلب الحياة والسلامة في مقابل الوقاحة وعدم الخجل والذي يعتبر نوعا من فقدان الحياة والسلامة .

وعـــلى اي حال ، فكلمة (الحياة) ذات معنى واسع ، فقد تستعمل بخصوص الارض والنباتات مثل : (يحيي الارض بعد موتها) (الروم ــ ١٩).

وقد تستعمل بخصوص الحيوانات كقول ابراهيم ((ع)) : (رب ارني كيف تحيي الموتى) (البقرة ــ ٢٦٠).

او قد تستعمل للانسان ، مثل : (وهو الذي احياكم) (الحج ــ ٦٦).

او بخصوص مطلق الحياة والممات مثل : (يخرج الحي من الميت) (الروم ــ ١٩).

او بـــخـــصوص الحياة المعنوية مثل : (استجيبوا للّه وللرسول اذا دعاكم لمايحييكم) (الانفال ــ ٢٤).

واحيانا تستعمل بخصوص الحياة الاخروية مثل : (وان الدار الاخرة لهي الحيوان) (العنكبوت ــ ٦٤).

والاسمى من الجميع استعمالها بخصوص الباري جل وعلا ، كما هو في الايات السابقة ، وسنرى ان الحياة الحقيقية والازلية والابدية والقائمة والثابتة التي لا يشوبها اي لون من الوان الموت والهلاك هي حياة اللّه عز وجل فقط.

((قـــيـــوم)) صـــيغة مبالغة من مادة ((قيام)) ، والقيام يعني الوقوف ، اوالتصميم ، والمعنى الثاني يـــعود على المعنى الاول ، لان الانسان عندما يصمم على فعل معين ينهض للقيام به ، لذا فقد استعملت هذه الكلمة بمعنى التصميم .

واعـــتـــقـــد البعض ان كلمة (قيوم) تعطي معنى القائم ، والحافظ ، والمدير ،والمدبر ، لانه يؤمن للافراد او بقية الموجودات الاخرى مايقومهم .

وعـــنـــدما تستعمل هذه الكلمة بخصوص الباري تعالى فانها تعني من يقوم بامر المخلوقات وارزاقهم واعمارهم وحياتهم وموتهم ، ويدبر امورهم المختلفة ، ويؤمن احتياجاتهم .

وقـــد فـــسرها البعض بمعنى القائم بالذات ومقوم الموجودات الاخرى ،والذي لا يتفاوت مع المعنى السابق تفاوتا ملحوظا ((١١٣)) .

جمع الايات وتفسيرها :.

نحن نقوم بك لانك قائم بذات :. يلاحظ في الايتين الاولى والثانية انهما ــ وضمن اشارتهما الى وحدانية اللّه تعالى ــ تحدثنا عن حياة الباري وقيمومته ، قال تعالى : (اللّه لا اله الا هو الحي القيوم).

وكـــمـــا اشـــرنا سابقا فان حياة الباري تتفاوت كليا عن حياة الانسان والحيوان والنبات ، فحياته حياة حقيقية لانها عين ذاته ، لا عارضة ولا مؤقتة .

حـــياته بمعنى العلم والقدرة (نفس الصفتين اللتين شرحناهما في البحوث السابقة) ، لانهما العلامة الاصيلة للحياة .

فهو ليس قائم بذاته فحسب ، بل ان قيام الموجودات الاخرى ومربوبيتهاوتدبير جميع امورها بيده

سبحانه .

وخـــلاصة الكلام ، ان حياته ليس لها ادنى شبه بحياة سائر الموجودات الحية ، حياته (ذاتية) ، (ازلية) ، (ابدية) (ثابتة) و (خالية من كل الوان النقص والمحدودية) ، حياته تدل على احاطته العلمية بكل شي ، وقدرته على كل شي .

اما الاية الثالثة ، فبعد ان اشارت الى يوم القيامة قالت :(وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما).

((عنت)) من مادة (عنوة) وقد وردت بمعنى الخضوع والذلة ، لذلك يطلق على الاسير ((عاني)) ، لانه ذليل وخاضع بيد الاسر.

وقـــد نسب الخضوع والذل هنا للوجوه ، لان الوجه اشرف عضو في الانسان ، علاوة على ان ردود الفعل النفسية ومن جملتها الخضوع تظهر على وجه الانسان قبل كل شي .

والتاكيد على صفتي (الحي) و (القيوم) في مسائل عالم الاخرة يعد اشارة لطيفة الى هذه الحقيقة ، وهـــي ان حـــياة اللّه تعالى الخالدة وقيمومته الشاملة ستظهر وتتجلى في ذلك اليوم بصورة افضل ، وســـيـــتجلى ايضا ضعف الانسان وعجزه واحتياجه للذات الالهية المقدسة بصورة اوضح لان جميع الـــنـــاس قـــدبـــعثوا بعد موتهم وقد يظهر عليهم العجز والضعف والحاجة الى لطف اللّه تعالى في تلك المحكمة الالهية العظيمة .

وامـــا الايـــة الـــرابـــعة فقد وصفت الباري سبحانه وتعالى بالوجود الحي الذي لايموت ابدا ، وامرت الرسول بالتوكل عليه حيث قالت : (وتوكل على الحي الذي لايموت).

وبديهي ان الانسان المؤمن بامتلاكه لهذا الاساس المتين سوف لا يخشى من اي احد ، ولا يهاب ، او يستوحش من اي حادثة .

يـــتـــضح هنا ان هذه الاية مع انها تبين اصلا عقائديا ، فهي ذات مردودات اخلاقية وعملية في نفس الوقت ، وتقوي اسس التوكل في روح الانسان وقلبه .

وفـــي الايـــة الـــخـــامـــســـة والاخـــيرة نلاحظ انعكاس نفس هذا المعنى والمفهوم بمردودات عملية واخلاقية اخرى ، قال تعالى : (هو الحي لا اله الا هو) ، ولانه كذلك (فادعوه مخلصين له الدين).

يظهر من لحن الاية اعلاه ــ كما قال الفخر الرازي في تفسيره انها تفيدالحصر ((١١٤)) ، اي ان الحي حقيقة هو اللّه وحده ، وان كان للاخرين حياة فهي زائلة ومقرونة بالموت التدريجي ، ولذلك لـــيـــســـت لهم اللياقة للالوهية والمعبودية ،ومن هنا يتضح ضرورة الاخلاص له في الدين والعبادة ونفي كل انواع الشرك عنه .

يـــستفاد من مجموع الايات اعلاه ان وصف اللّه عز وجل بالحياة الباقية لايقصد منه الحياة المشوبة بالموت والهلاك والفنا او التغير ، بل هي الحياة الملازمة لقيامه بذاته وقيام الموجودات الاخرى به ، الـــحـــيـــاة الـــتـــي تـــشع على المخلوقات ، وتلهم التوكل والاخلاص ، و بالنتيجة

حياة تعطي درسا في التوحيد وتنفي كل الوان الشرك .
التوضيحات :.
١ ــ.
حقيقة الحياة :. ان تــقــســيم الموجودات الى قسمين ، موجودات حية وموجودات ميتة ،تقسيم يفهمه كل واحد من الــنــاس مــهــما كان مستواه من الفهم والشعور ، لانه يرى التفاوت الموجود بين الموجودات الحية والــمــيتة بعينه ، ومع ذلك فقد عجزاذكى العلما عن الاجابة على هذا السؤال : ماهي حقيقة الحياة ؟ فهم يقرون ان الحياة ظاهرة معقدة جدا وذات اسرار لم يتوصل العلم والعقل البشري الى اعماقها لحد الان لــذا يــعد خلق موجود حي (وحتى خلية واحدة بسيطة لها ابسط صورالحياة) عملا شاقا ومعقدا جدا بالنسبة للانسان ، وقد طالع العلما سنوات عديدة في هذا المجال ولا يزالون عاجزين عن القيام بذلك ، وعلى فرض انهم سيستطيعون يوما ما وبالاستعانة بوسائل وطرق طبيعية مختلفة خلق خلية حــيــة مــن مواد طبيعية ميتة فسيواجهون العجز ايضا في ادراك تنوع الحياة وكيفية ظهورالصور المختلفة لها.
ويــمكن القول باختصار : ان مظهر الحياة بصورها المختلفة ذو علم لامحدود وقدرة مطلقة ، ويعد ظهور انواع الكائنات الحية اوضح دليل على علم اللّه عز وجل وقدرته العظيمة .
وكما تقدم فان الحياة لها عدة اقسام ، ابتدا من حياة النبات وحتى حياة الانسان فصاعدا ، وهذه الحياة المتنوعة لها آثار مختلفة ايضا.
وعندما يصل العلما الى حياة الانسان يقولون : هي الحالة المقرونة بالعلم والشعور والقدرة والفعالية .
ومــن الواضح بان علمنا وقدرتنا لا تمثل حقيقة الحياة ، بل هي من مستلزماتها ، لذا قد يكون الانسان حيا من دون علم وقدرة .
ومــن الــمــســلم ان حياة الانسان والتي هي من عوارض الجسم ، لا يمكن تصورها بشان الباري جل وعلا.
والــتــصور المقبول عن حياة الباري تعالى هو العلم اللا محدود وقدرته على كل شي ، وبهما يمكن اثبات اعلى مفهوم للحياة له عز وجل .
٢ ــ.
دلائل حياته سبحانه :. ا ــ اعتبر عامة علما الاسلام صفة الحياة من الصفات الالهية المسلمة ،ووصفوه سبحانه بالحي القيوم وكــمــا عــرفنا آنفا فان الايات القرآنية اكدت هذاالمعنى والمفهوم كرارا بالرغم من ان للمفسرين تعابير مختلفة في تصوير حياة اللّه سبحانه وتعالى .
واكــثــرهــا وضــوحا ومقبولية هو ماذكرناه آنفا من كون حياة الباري تعني احاطته بكل شي علما ، واقــتــداره على فعل كل شي ، والا فالحس والحركة ودقات القلب والتنفس والتفكر وامثال ذلك لا مفهوم لها بالنسبة الى اللّه عزوجل .

ومن هنا يتضح الدليل على انه عز وجل حي وقيوم ، لانه عندما يكون علم الانسان المحدود وقدرته الحقيرة دليلا على حياة الانسان ، فكيف بمن يكون علمه غير محدود وقدرته مطلقة ؟ فلا بد وان تكون حياته اسمى واكمل من غيره ، بل الحياة عين ذاته .

ب ــ علاوة على هذا ، فهو سبحانه خالق الحياة ، فهل يمكن ان يكون واهب الشي فاقده واما قيمومية التى قالوا في تفسيرها : (هو القائم بذاته المقوم لغيره) ،فهي ايضا من صفاته الملازمة لوجوب وجوده وخالقيته وربوبيته سبحانه .

وقد عد البعض مسالة حفظ سائر الموجودات واعطائهم جميع حاجاتهم ضمن مفهوم ((القيوم)) ، ولكنها لا تزيد على ما قلناه بطبيعة الحال .

يقول المرحوم العلامة ((الطباطبائي)) في تفسير ((الميزان)) : اسم القيوم ام الاسما الاضافية الثابتة له تعالى جميعا (صفات الفعل) وهي الاسما التي تدل على معان خارجة عن الذات بوجه ، كالخالق والرازق والمبدا والمعيد والمحي والمميت والغفور والرحيم والودود وغيرها ((١١٥)) .

وعليه يعتبر ذكر (ياحي ياقيوم) من الاذكار الالهية الجامعة ، لان صفة (الحي) هي الاساس لجميع صفات الذات اي العلم والقدرة ، و (القيوم) تضم جميع صفات الفعل .

نختم هذا الكلام بحديث غني عن امير المؤمنين علي ((ع)) حيث قال :((لما كان يوم بدر جئت انظر مايصنع النبي فاذا هو ساجد يقول ياحي ياقيوم فترددت مرات وهو على حاله لايزيد على ذلك الى ان فتح اللّه له)) ((١١٦)) .

ومن هذا الحديث نفهم الاثار المفيدة والمباركة لهذا الذكر الشريف لذاقال امير المؤمنين ((ع)) في الخطبة (١٦٠) من نهج البلاغة : ((فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حي قيوم لا تاخذك سنة ولا نوم)).

صفات جلال اللّه (الصفات السلبية). تمهيد :.

يعبر عن الصفات السلبية بـ ((صفات الجلال)) عادة ، لان اللّه سبحانه (اجل) من ان يوصف بمثل هذه الصفات التي تعبر جميعها عن وجود النقائص والعيوب .

وهذه الصفات تقع في مقابل ((صفات الجمال)) التي تدعى بـ((الصفات الثبوتية)) وتحكي عن جمال ومحاسن الذات الالهية المقدسة .

وبعبارة اخرى يمكن القول : بان جميع الصفات السلبية مجموعة في هذه الجملة وهي (ان اللّه مقدس ومنزه عن كل الوان العيوب والنقائص وعوارض وصفات الممكنات).

وقد بحثت اقسام مهمة من هذه الصفات في علم الكلام بالاستلهام من الايات القرآنية ، منها :.

انه تعالى ليس ((مركبا)).

ليس له جسم .

لا يرى .

لا يسعه مكان او زمان .
منزه عن كل الوان الفقر والحاجة .
ذاته ليست محلا للحوادث والعوارض والتغير والتحول ابدا.
وصفاته عين ذاته لا زائدة عليها.
وعـــليه ينبغي من جهة طرح مسالة (صفات الجلال) بشكل كلي وشامل ،ومن جهة اخرى التحقيق في الصفات الحساسة بتفصيل اكثر.
بعد هذا التمهيد نتوجه الى القرآن الكريم ونصغي خاشعين الى الايات التالية :.
١ ــ (يسبح للّه ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيزالحكيم) (الجمعة / ١).
٢ ــ (هو اللّه لا اله الا هو الملك القدوس) (الحشر / ٢٣).
٣ ــ (سبحان اللّه عما يصفون) (المؤمنون / ٩١).
٤ ــ (سبحان ربك العزة عما يصفون) (الصافات / ١٨٠) ((١١٧)) .
شرح المفردات :.
((القدوس)) صيغة مبالغة من مادة ((قدس)) ، وهي في الاصل بمعنى النزاهة والطهارة ، وكما قـــال صـــاحب (مقاييس اللغة) : فان سبب اطلاق هذه الصفة على اللّه عز وجل هو قداسة ونزاهة ذاته عن الاضداد والاكفا والصاحبة والولد.
ويـــســـتـــنتج من كلام الراغب في (المفردات) ، وابن منظور في (لسان العرب) ، ان هذه الكلمة تـــستعمل عادة للتنزيه الالهي او لتطهير عباده وحتى صاحب مقاييس اللغة يقول : في الاغلب ان هذه الكلمة من المصطلحات الاسلامية الخاصة .
وســـميت ارض (القادسية) بهذا الاسم لان ابراهيم الخليل ((ع)) دعا اللّه عز وجل لتطهيرها وتقديسها.
ومـــن الـــجدير بالذكر ان الراغب يعتقد بان هذه الكلمة تستعمل فقطبخصوص التطهير المعنوي لا التطهير الظاهري وازالة الخبائث .
وتقديس العباد للّه تعالى بان ينزهوه من كل نقص وعيب .
وكـــمـــا يـــقـــول بعض ارباب اللغة : فان (التسبيح) ذو معنيين ، الاول : النفي ،وقد ورد في الايات الـــقرآنية بمعنى نفي كل الوان العيوب والنقائص عن اللّه تعالى ، والثاني : بمعنى السباحة والتحرك السريع في الما ، (من مادة سبح وسباحة).
ولـــكـــن يـــمـــكن ارجاع كلا هذين المعنيين الى اصل واحد وهو الحركة السريعة ، سوا في طريق العبادة والتعبد ، وتنزيه وتقديس اللّه تعالى عن كل عيب ونقص ، او في الحركة السريعة في الما ، او الهوا ، او على الارض لان الحركة تقرب الانسان من شي وتبعده عن شي آخر.
فـــفـــي الـــمـــوقـــع التي تعني فيه التنزيه عن العيب تاخذ جانب الابتعاد ، وفي الموقع التي تاتي بمعنى السباحة وشق الما والهوا تاخذ جانب التحرك ((١١٨)) .

جمع الايات وتفسيرها:.

الجميع يسبحون له :. الايـــة الاولـــى مـــن بـــحثنا واردة في تسبيح عامة موجودات العالم ، وهذاماكدته الكثير من الايات الـــقـــرآنية بتعابير مختلفة ، ويعتبر من البحوث القرآنية الطريفة جدا، قال تعالى : (يسبح للّه مافي السموات ومافي الارض الملك القدوس العزيز الحكيم).

فـــلـــســـان حـــال الكون واسراره المذهلة تحكي عن علم اللّه تعالى اللا محدودوقدرته اللا متناهية وكـــمـــالـــه المطلق ، والجميع يقدسون اللّه عز وجل وينزهونه وينفون عن ذاته المقدسة كل عيب ونقص ، لان كل من ينظر الى هذه الموجودات بدقة يقف على عظمة خالقها ومديرها ومدبرها.

ويعتقد جماعة من المحققين ايضا ان موجودات العالم المختلفة تسبح اللّه تعالى حقيقة ، وبلسان القول لا بلسان الحال فقط ، لان لكل نوع منها حصة من الادراك والشعور والكيفية الخاصة لتقديس الباري تعالى ، وما المانع في تحقق كلا الامرين (لسان الحال والقال) في بيان هذه الحقيقة ؟.

لذا فان كلمتي (يسبح) و (القدوس) في هذه الاية الشريفة تعدان كلاهمااشارة لطيفة الى جميع صفات اللّه تعالى السلبية ، وهي من الامور التي يشترك في ذكرها جميع موجودات عالم الوجود.

واستعمال صيغة الفعل المضارع المستمر في فعل (يسبح) يدل على استمرار وديمومية هذا الامر ، مـــنـــذ بد الخلق وسيبقى حتى النهاية ، ويجب ان يكون كذلك ، لان وجود الافعال يبين دائما صفات الفاعل (لا حظ بدقة).

والـــطريف ان هذه الاية هي الاية الاولى من سورة الجمعة ، وتعد مقدمة لبيان فريضة صلاة الجمعة الـــعبادية السياسية لانها تلفت اذهان الناس الى كون مسالة العبادة والتقديس للّه سبحانه برنامجا عاما ومـــستمرا من قبل جميع ذرات الوجود ، وتحثهم على الانضمام معهم في هذا الذكر ومواكبة امواج الـــوجـــود فـــي هـــذا الـــبـــرنامج المقدس ، والخضوع لساحة الباري الحاكم القدوس والقادرالحكيم ((١١٩)) .

وفي الاية الثانية تجلى هذا الكلام بلباس آخر ، فضمن تاكيدها على توحيد اللّه تعالى وبيانها لبعض صـــفـــاتـــه واسمائه الحسنى ، وصفته بصفة (القدوس) المبينة لجميع الصفات السلبية ، قال تعالى : (هو اللّه الذي لا اله الا هوالملك القدوس).

وكـــمـــا اشـــرنا في شرح مفردات الايات فان (القدوس) صيغة مبالغة للقداسة ، وتعني منتهى نزاهة الـــذات والـــصـــفات والافعال والاحكام الالهية من كل عيب ونقص ، وهي تعبير مختصر وغني جامع لجميع الصفات السلبية .

فـــهو ليس منزه عن وجود نقص في ذاته فحسب ، بل ان ايجاده وخلقه وتكوينه وتشريعه منزه عن اي عـــيـــب ونقص ايضا ، لانها جميعا تنبع من ذلك الكمال المطلق ، ومن فيوضاته

وافاضاته سبحانه ، وجميعها ذات صبغة الهية ،وجميعها كاملة .
امـــا الايـــة الـــثـــالـــثة ، فبعد ان نفت اي ولد وكف عن الذات الالهية المقدسة قالت :(سبحان اللّه عما يصفون).
وقد وردت هذه الجملة في آيات عديدة من القرآن الكريم ، وجات لتنفي اي شريك وكف او صاحبة وولـــد عـــن اللّه عز وجل كما كان يعتقد ذووالافكار الضيقة ، ولها معنى واسع يشمل كل وصف لا يـــلـــيـــق بـــذاتـــه وصـــفاته وافعاله واحكامه ، بل يشمل كل وصفنا له ايضا ، لاننا وجميع المخلوقات الاخرى وبسبب تلوثنا بالنقصان والمحدودية ، عاجزون عن فهم كنه صفاته ، لذا نعجزعن شرحها في الوقت الذي نعرف صفاته المقدسة بصورة اجمالية .
وعليه فهو منزه عن كل وصفنا له ومنزه عما يصف الواصفون (سبحان اللّه عما يصفون).
لـــذا نـــجد في بعض الروايات الواردة عن الامام الصادق ((ع)) وضمن بيانه المذهب الصحيح في التوحيد انه (ع) قال : ((تعالى اللّه عما يصفه الواصفون)) ((١٢٠)) .
ثـــم اكـــد ((ع)) فـــي ذيـــل نفس هذا الحديث على عدم التجاوز في وصف الباري عن الصفات التي وردت في القرآن الكريم .
وفـــي الايـــة الـــرابـــعـــة والاخيرة من بحثنا قال تعالى ــ وبكلام مطلق ومجرد عن اي قيد وشرط ــ :(سبحان ربك رب العزة عما يصفون).
وكـــمـــا قـــلـــنـــا : فان هذا التعبير يمكن ان يكون اشارة الى تنزيه اللّه عز وجل عما وصفه به ذوو الافكار الضيقة ، فاحيانا يتخذون من المسيح ولدا له ، واحياناالخرى يتخذون من الملائكة بناتا له واحـــيانا كانوا يعتقدون بوجود صلة قرابة بينه وبين الجن ، واحيانا كانوا يعرفون الاصنام كشركا واكفا له او شفعا عنده ،واحيانا كانوا يصفونه باوصاف الاجسام المادية .
وبعبارة اخرى ان هذه الاية الشريفة تنفي عنه جميع هذه الاوهام الخاطئة وتبطلها.
ويـــمكن ان يكون المقصود هو تنزيهه سبحانه عن كل وصف صادر من اي احد ، لان البشر لا يقدر على ادراك كنه صفاته ، كما انه عاجز عن ادراك كنه ذاته .
يتضح من مجموع هذه الايات ان الذات الالهية منزهة عن اي صفة تحمل اقل درجة من النقصان ، او ادنى عيب .
ومـــعـــرفـــتـــنـــا بالصفات الثبوتية الالهية انما هي بقدر طاقاتنا وقدرتنا لا بقدرمايليق بالذات الالهية المقدسة .
وهـــذا الـــتنزيه مضافا الى شموله لذات الباري وصفاته ، فانه يشمل احكامه وتشريعاته ايضا ، فكلها منزهة عن النقصان والعيب ، لانها نابعة من ذات هي عين الكمال والكمال المطلق .
التوضيحات :.
((التشبيه)) من اعظم الذنوب . ان تـــنـــزيـــه وتقديس الباري تعالى عن صفات المخلوقين المشوبة بالنقائص دائما ، هو ماكدنا عليه كـــرارا ، وهـــو ما حثت عليه الاحاديث الاسلامية

بصورة مستمرة ، لانه لايمكن التوصل الى حقيقة معرفة اللّه تعالى بدونه ، او بتعبير آخرسيكون التوحيد مقترنا مع الشرك .

ومن جهة اخرى فان فصل الصفات ((الثبوتية)) عن ((السلبية)) يحصل في افق اذهاننا فقط ، والا فـــالـــذات الالـــهـــية المقدسة حقيقة واحدة ، فقد ننظر اليها من زاوية الوجود فنرى كماله المطلق ، وعـــلمه المطلق ، وقدرته المطلقة سبحانه ،واحيانا من زاوية نزاهتها عن الحاجة والنقص ، فنراه منزها عن الجهل والعجز ،وكل الوان النقصان .

لذا فعدم معرفة الصفات السلبية يؤدي الى عدم معرفة الصفات الثبوتية ،ونقصان المعرفة في مرحلة يؤدي الى نقصانها في مرحلة اخرى .

وفي هذا المجال لابد لنا من التوجه الى بعض الاشارات الواردة في الاحاديث الاسلامية التالية :.

١ ــ قـــال امـــيـــر المؤمنين علي ((ع)) في بداية خطبة له : ((لا يشغله شان ولايغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان)) ((١٢١)) .

٢ ــ وقـــال ((ع)) فـــي خـــطبة اخرى ضمن اشارته الى عجز الانسان عن فهم المسائل المرتبطة بالحياة والموت : ((كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله)) ؟ ((١٢٢)) .

٣ ــ ورد في حديث ان رجلا من اصحاب الامام الصادق ((ع)) سال الامام ((ع)) : اخبرني اي الاعمال افضل ؟ فاجابه ((ع)) : ((توحيدك لربك)) فسال الرجل : ((فما اعظم الذنوب)) ؟ فقال ((ع)) : ((تشبيهك لخالقك)) ((١٢٣)) .

٤ ــ وورد فـــي حديث آخر عن الامام الصادق ((ع)) انه قال : ((ان اللّه تبارك وتعالى لا يوصف بـــزمـــان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال ، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا)) ((١٢٤)) .

٥ ــ ورد فـــي حديث آخر عن امير المؤمنين ((ع)) في تفسير صفة (الصمد) انه قال : ((تاويل الـــصمد لا اسم ولا جسم ولا مثل ولا شبه ولا صورة ولاتمثال ولا حد ولا حدود ولا موضع ولا مـــكـــان ولا كـــيـــف ولا ايـــن ولا هنا ولا ثمة ولا ملاولا خلا ، ولا قيام ولا قعود ، ولاسكون ولا حـــركـــة ، ولا ظلماني ولا نوراني ، ولا روحاني ولا نفساني ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع ولا على لون ، ولا على خطر قلب ، ولاعلى شم رائحة ، منفي هذه الاشيا)) ((١٢٥)) .

ولا يخفى ، ان المقصود من نفي الاسم عن اللّه سبحانه هو نفي اسما المخلوقات .

وبهذه المعرفة الاجمالية التي حصلنا عليها عن الصفات السلبية ننطلق الى معرفتها بالتفصيل .

١ و ٢ ــ.

نفي الرؤية والجسمية . تمهيد:.

مـــر عـــلـــينا قسم من الصفات السلبية في مباحث التوحيد ضمن بيان وحدانية الذات الالهية وبساطة وجوده تعالى ، ونفي الجزئية والتشبية عنه .

والاكـــثـــر اهمية في هذا البحث والذي صار معرضا للنقاش والبحث على مرتاريخ علم الكلام ، هو المسائل التي سنطرحها في هذا الفصل .

مـــنـــهـــا : ان اللّه عـــز وجـــل ليس له جسم ولا يمكن رؤيته ، ولا يسعه محل ومكان ، وهذه الصفات السلبية الثلاثة متلازمة ، اي لو كان مرئيا لاستلزم ان يكون له جسم ومكان ، وان لم يكن له مكان لم يكن جسما حتما ، ولم يكن مرئيا بطريق اولى .

وادراك هـــذاالـــمـــفـــهوم وهو ان اللّه تعالى لا يمكن ان يكون من سنخ الاجسام ــ بالالتفات الى دلائل معرفة اللّه تعالى ــ لا يعد مسالة معقدة ، ولكن ،وبسبب بحث ذوي الافكار الضيقة ، واولئك الذين لم تـــخـــرج عقولهم من اطارالحس فيبحثون غالبا عن اله جسماني ، كان لعقيدة جسمانية اللّه مؤيدون في الاقوام الماضية ، وحتى من قبل جماعة من المسلمين ((القشريين المتحجرين)).

لذا فقد اكد القرآن الكريم على مسالة نفي الجسمية والمكان والجهة عن اللّه سبحانه وتعالى .

بهذا التمهيد ننطلق الى القرآن الكريم لنصغي خاشعين الى الايات القرآنية التالية :.

١ ــ(لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) (الانعام ــ ١٠٣).

٢ ــ(ولما جا موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فـــان اســـتـــقـــر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين) (الاعراف / ١٤٣).

٣ ــ(يــسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتبا من السما فقد سالوا موسى اكبرمن ذلك فقالوا ارنا اللّه جــهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاتهم البينات فعفونا عن ذلك ض وآتينا موسى سلطانامبينا) (النسا / ١٥٣).

(وقــال الذين لايرجون لقانا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروافي انفسهم وعتوا عتوا كبيرا) (الفرقان / ٢١).

جمع الايات وتفسيرها :.

العين لا تطيق مشاهدة جماله :. قــالت الاية الاولى من البحث بصراحة : (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) ثم تضيف : (وهو اللطيف الخبير).

وعليه فان هذه الاية تنفي كل امكانية لرؤيته تعالى سوا في هذا العالم ام في العالم الاخر.

وبــديهي ان المقصود من معنى (لاتدركه الابصار) هو عدم قدرة البشر على رؤيته بواسطة العين ، وجلي ايضا ان كلمة (الابصار) وردت بصيغة الجمع هنامن اجل التعميم والشمول لتشمل اي عين مهما كانت قدرتها البصرية شديدة .

وبــالــرغــم من الصراحة التامة الموجودة في تعبير هذه الاية لادا المقصود ،نلاحظ ان ((الفخر الرازي)) ومؤيديه استدلوا بهذه الاية على امكانية رؤية اللّه ،وتشبثوا لاثبات هذا المدعى بتعابير واهية ومضحكة .

فقد قال ــ الفخر الرازي ــ في بعض كلامه في ذيل الاية اعلاه : (استدل اصحابنا بهذه الاية لاثبات امكانية رؤية اللّه يوم القيامة بطرق متعددة ١ ــ ان قــول الــقــرآن الــكريم (لاتدركه الابصار) يفيد المدح وثبت ان ذلك انمايفيد المدح لو كان صحيح الرؤية ، وهذا يدل على ان قوله تعالى :(ولاتدركه الابصار) يفيد كونه تعالى جائز الرؤية ، وتمام التحقيق فيه ان الشي اذا كان في نفسه بحيث يمتنع رؤيته ، فحينئذ لايلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم للشي .

وبــعــدماثبتت امكانية رؤية اللّه يجب التسليم بان هذه المسالة تحدث في يوم القيامة ســوى رايــيــن حول هذه المسالة : الاول : جواز الرؤية مع ان المؤمنين لايرونه ولا تجوز رؤيته مــطــلقا فاما القول بانه تعالى تجوز رؤيته مع انه لايراه احد من المؤمنين فهو قول لم يقل به احد من الامة فكان باطلا فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية تدل على انه تعالى جائز الرؤية في ذاته .

٢ ــ لايرى بالعين وانما يرى بحاسة سادسة يخلقها اللّه تعالى يوم القيامة .

٣ ــ قــولــه : (لاتــدركــه الابصار) يفيد انه لايراه جميع الابصار فهذا بعينه سلب العموم ولا يفيد عموم السلب ((١٢٦)) .

كان ذلك قسما من استدلالاته بصورة ملخصة ومضغوطة ، والحق انه يبعث على الاسف في ان يحوك مفسر مثله ويخلط المسائل مع بعضها بصورة محيرة ، على الرغم من قدرته الفكرية ، عندما يتورط في اسر التعصبات الطائفية ويستدل من دليل واضح على ضده ونــحن لا نرغب

ابدا في سرد مثل هذه التعابير بشان اي احد ، ولكن لوشاع هذا الاسلوب ، اي ان يتشبث الانسان لاثبات مطلب معين بامور تدل بالضبط على عكس ذلك المطلب ، ويستدل بكل شي لاثبات كل شي لتعرضت الحقائق للاندثار والضياع ، ولامكن ايجاد استدلال قرآني لاي مطلب ،ولذا كان لا بد لنا من التكلم بهذه الطريقة ، ولزيادة توضيح هذا البحث نتطرق الى تحليل تلك الاستدلالات الثلاثة المذكورة اعلاه .

اولا: اننا نمدح اللّه تعالى بصفات سلبية كثيرة وجميعها محال بشانه ،كقولنا بان اللّه لايفنى ولا يهلك ابدا (كل شي هالك الا وجهه) ، ومن المسلم به ان هلاك واجب الوجود محال ، فهل يمكن ان يستدل احد بها على امكانية هلاك وفنا اللّه تعالى ؟ بحجة انه لو كان محالا لما صح مدحه بعدم الهلاك كمايدعي : فهل يتفوه عاقل بمثل هذا وكذلك مدح القرآن للّه تعالى بتنزيهه عن الاب والصاحبة والولد والشريك (انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) (الانعام ــ ١٠١) ، (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) (التوحيد ــ ٣).

وبالاساس ان جميع الصفات السلبية امور محالة بشان اللّه تعالى ، لانهامن صفات الممكنات واللّه واجب الوجود.

ثانيا: لايوجد في الاية اعلاه اي اشارة الى الحاسة السادسة وما شاكلها ،ولا تدخل في اطار اي من المفاهيم المعروفة الموجودة في كتب الاصول ، اذن فليس اثبات الشي بمعنى نفي غيره ، ولا نفي الشي يثبت شيئا آخر ، وعليه فاذاقالت : الاية ((لا تدركه الابصار)) فليس مفهومها : امكانية رؤية اللّه بواسطة اخرى علاوة على ذلك فما هو المقصود من الحاسة السادسة ؟.

فان كان المقصود منها المشاهدة القلبية والرؤية بعين العقل فلا احدينكرها ، ولا علاقة لها بالرؤية البصرية ، وان كان المقصود شيئا آخر فينبغي توضيحه وتشخيصه ليمكن بحثه ، لان التكلم في موضوع مبهم وغير مفهوم يعتبر لغوا.

ثالثا: ان قول الاية : (لاتدركه الابصار) معناه عدم قدرة اي بصر على رؤيته ،وهو من قبيل (العموم الافرادي) ، ويمر علينا مثل هذا التعبير في كلامنا اليومي بكثرة ، كقولنا لا تطوله الايدي ، او : لا يعرف الناس قدره اي ، اي يد واي انسان .

كما ورد في بعض الادعية : ((كلت الالسن عن غاية صفته ، والعقول عن كنه معرفته)) ((١٢٧)) .

وكذلك نقرا في نهج البلاغة : ((واعجز الالسن عن تلخيص صفته)) ((١٢٨)) .

والحاصل ان دلالة الاية على عدم امكان الرؤية واضح جدا ولايمكن باي سفسطة اتخاذها دليلا على امكان الرؤية .

ياموسى ارنا اللّه جهرة . تحدثت الاية الثانية عن القصة المعروفة لبني اسرائيل الذين الحوا على (موسى) ((ع)) ليريهم اللّه تعالى ، فاخذهم موسى بامر من الباري عز وجل الى جبل (طور) ليحصلوا على جواب ماسالوا ، فحدثت هناك حادثة عجيبة انكشفت فيها جميع الحقائق

المرتبطة بهذا الموضوع .
قــال تعالى : (ولما جا موسى لميقاتا وكلمه ربه قال رب ارني انظراليك) فسمع (موسى) (ع) هذا الجواب الجلي الواضح من ربه : (قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) .
فنظر موسى وسبعون رجلا من بني اسرائيل ، الذين كانوا معه الى الجبل فتجلى اللّه للجبل : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا).
وكذلك الحال بالنسبة لمن معه من بني اسرائيل ، (فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين) .
ولتكملة تفسير هذه الاية ينبغي الاجابة هنا على عدة اسئلة :.
الاول : اذا كانت مشاهدة جمال اللّه محالة (كما يستنتج من عبارة (لن تراني) فلم سال موسى ربه الرؤية مع انه كان رسولا ؟.
يمكن الاجابة على هذا السؤال بسهولة وذلك بالاستعانة بيات قرآنية اخرى ، وهو : ان هذا السؤال صــدر مــن جــهــلا بــني اسرائيل الذين كانوا يشكلون الاغلبية ، كما نجد في الاية ١٥٥ من سورة الاعراف ان موسى قال بعد هذه الحادثة مخاطبا ربه : (اتهلكنا بما فعل السفها منا) ؟.
فيستنتج من هذا التعبير ان هذا السؤال لم يصدر من موسى ((ع)) ، بل قدتعرض لضغوط اجبرته على طرح سؤال اولئك الجهلا ليحصل لهم على جواب من ربه وكذلك لالقا الحجة عليهم .
ويــســتفاد بوضوح من الاية (١٥٣) من سورة النسا : (يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من الــسما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا اللّه جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) ، وكذلك من الايــة (٥٥) مــن ســورة الــبقرة : (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهرة فاخذتكم الــصــاعــقة وانتم تنظرون) ان تعنت سفها بني اسرائيل هو الذي دفعهم لتوجيه مثل هذا السؤال الى موسى (ع) وكان (ع) قام بنقل سؤالهم فقط ، ليسمعوا الجواب الالهي الرادع .
وان اصر امثال الفخر الرازي على كون هذا السؤال قد صدر من موسى ((ع)) لكن يستفاد امكانية رؤيــة اللّه تــعــالــى البصرية ، والا لما سال رسول عظيم كموسى ((ع)) مثل هذا السؤال ، فهو اصرار في غير محله ، وقد ابطلته الايات اعلاه بوضوح .
عجيب حقا ، فبالرغم من ان الاية الشريفة تصرح : (لن تراني) وكون (لن)اداة للنفي الابدي ، اي انك لن تراني ابدا ، وعدت الاية هذا السؤال من قبل بني اسرائيل تعديا ووقاحة ، واندرت بالصاعقة عــقابا عليه ، مع كل ذلك نجد ان جماعة من المتعصبين يصرون على عدم دلالة الاية باي شكل على نفي رؤية اللّه ، بل بالعكس ويجب الاعتراف ان آفة التعصب آفة عجيبة

تستطيع ان تحط حتى من مستوى عالم كبير اذا اصيب بها وتجعله في حالة الهذيان والكلام اللامنطقي .

والـــنقطة الاخرى : هو ان المقصود من التجلي الالهي في هذه الاية هي (الصاعقة) بذاتها ، والتي تعد مخلوقا من المخلوقات ، وشعاعا من الافعال الالهية ، وهي كناية عن انكم اذا لم تقدروا على رؤية الـــصـــاعـــقـــة الـــتـــي تعد شرارة صغيرة في هذا الوجود العظيم وما لها من تاثير عليكم ، حيث تكون مـــصـــحـــوبـــة بالهول والرعب ، فهي قادرة على ان تصرعكم جميعا ، وتدك الجبل ، وتزلزل الارض فكيف تريدون رؤية الذات الالهية المنقطعة النظير؟

وبالحقيقة فان التجلي الالهي كان اجابة وعقوبة لهم في نفس الوقت وآخر الكلام هو :لماذا طلب موسى ((ع)) التوبة من الباري بعد ان افاق ؟.

ان هذا الطلب يمكن ان يحمل على احتمالين :.

الاول : كـــمـــا ان طلب موسى ((ع)) الرؤية كان نيابة عن بني اسرائيل فان طلبه التوبة من الباري كان نيابة عن قومه ايضا.

الـــثـــاني : ان موسى ((ع)) كان يخشى من ان هذا المقدار من (النيابة عن بني اسرائيل) يمكن ان يثلم ساحة ايمانه المقدسة ، لذا تاب واعلن ايمانه لتسموقداسته قدر الامكان .

وكـــذلـــك نـــجد ان الفخر الرازي غرق في دوامة تعصبه ايضا ، ولم ينكر دلالة الاية على استحالة رؤيـــة اللّه تعالى فحسب ، بل اصر في قوله على ان جوانب عديدة من الاية تدل على امكانية الرؤية اخرى ؟ وقد لاحظتم نماذج منها في تفسير الاية الماضية .

ويـــتـــضـــح تفسير الاية الثالثة ضمن تفسير الاية الثانية ، ولزيادة التوضيح نضيف : ان اللّه سبحانه وتـــعالى عد طلب بني اسرائيل الذين قالوا لموسى (ارناللّه جهرة) ذنبا عظيما وظلما فاحشا؟ انه الـــذنب الذي اعقبه نزول العذاب الالهي ، لذا قال اللّه تعالى : (يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فقدسالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا اللّه جهرة فاخذتهم الصاعقة).

مـــاذا ارتـــكـــب الـــيهود من ظلم في هذا المجال ؟ لم يكن سوى انهم نزلوابربهم العظيم الى مستوى موجود جسماني مادي ، وطلبوا مشاهدته .

وبسبب اساتهم الادب مع الباري جل وعلا اخذتهم الصاعقة لتكون عقوبة وعبرة لهم في نفس الوقت ، ولـــيعلموا انهم عندما لا يقدرون على مشاهدة هذا المخلوق الالهي الصغير الذي لايساوي اكثر من شـــرارة فـــي عـــالـــم الـــوجـــود الـــعـــظـــيـــم ، فكيف يريدون مشاهدة خالق الشمس والقمر والنجوم وعالم الوجود ان هذه المسالة يستطيع كل واحد ان يتوصل اليها بدون ان يطالع ويحقق في قرائن الاية .

ومـــا ورد في بعض كلام (الاشاعرة) بان هذا التوبيخ والعقاب الذي نزل بهم كان بسبب طلبهم هذا الشي من اللّه تعالى في الدنيا ، مع كون الاخرة هي محل المشاهدة ((١٢٩)) يعد

كلاما ضعيفا جدا.

لان الـــتـــفاوت الموجود بين الدنيا والاخرة في مثل هذه الموارد مطلب لايستحق التوبيخ والعقاب ، ولـــحـــن الايـــة يدل على انهم قد ارتكبوا اساة فظيعة تجاه ساحة القدس الالهية ، وهي وصفهم الذات الالهية بصفة لاتليق به سبحانه ،بل هي خاصة بالممكنات ، وانهم سلكوا طريق الشرك .

واما ماهو مقصود اهل الكتاب بطلبهم انزال كتاب من السما عليهم ؟فهناك تفاسير متعددة :.

قيل :ان مقصودهم هو الاستهانة بالقرآن ، وسالوا الرسول ان ينزل عليهم الواحا كالالواح التي نزلت على موسى ((ع)).

وقيل : انهم كانوا يريدون كتابا خاصا بهم او برؤسائهم وكبرائهم وقيل ايضا : انهم كانوا يريدون كتابا خاصا من اللّه تعالى يدعوهم الى الايمان بالرسول ((ص)).

وايـــا كان من هذه المعاني فانه يدل على عنادهم ولجاجتهم وعدم تسليمهم للحق ، وبديهي ان مثل هذا الطلب يستحق التوبيخ والعقوبة .

يجب ان نرى اللّه . واما الاية الرابعة والاخيرة فقد وبخت وبشدة اولئك الذين سالوا الرؤية .

قال تعالى :(وقال الذين لايرجون لقائنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا) ان استكبارهم وعدم ايـــمـــانـــهم بالمعاد كان ورا طلبهم هذين الامرين ثم يضيف تعالى : (لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا).

فهم قد سالوا احد امرين : اما نزول الملائكة عليهم او رؤية اللّه عز وجل والمقصود من الملائكة هو ملك الوحي جبرائيل ، اي ان ينزل عليهم بصورة مباشرة بدلا من رسول الاسلام محمد ((ص)) ، او ان ينزل عليهم ليشهد على صدق الرسول ((ص)) وقـــد نزل الجواب القرآني على شطرين ايضا ، والذي يعتقد بان الاول يخص سؤال نزول الملائكة فيقول : (لقد استكبروا في انفسهم) بسؤالهم هذا.

والشطر الثاني يخص سؤال رؤية اللّه حيث قال : (وعتوا عتوا كبيرا).

واي عـــتـــو اكبر من مقارنة الذات الالهية الفريدة بالاجسام المادية والموجودات الامكانية ، وجعلها عرضة للزمان والمكان والعوارض الجسمانية ؟.

ويـــشـــير لحن الاية بوضوح الى عدم امكانية رؤية اللّه عز وجل ، لانه لو كان ممكنا لما كان هنالك خلل واشكال في سؤالهم ذاك .

النتيجة :.

يـــســـتـــفـــاد من مجموع الايات اعلاه عدم امكانية رؤية اللّه عز وجل باي شكل ، على خلاف عقيدة البعض الذين يقولون : (بان مراد هذه الايات هوالحياة الدنيا ولا يشمل الاخرة).

فـــالايات التي ذكرت ذات مفهوم واسع وعميق يشمل كلا الحياتين ،ولحنها يدل على استحالة تحقق هذا الامر ، والمحال محال في كليهما (تامل جيدا).

التوضيحات :.

١ ــ.

لماذا تستحيل رؤية اللّه تعالى ؟. ان الدلائل العقلية الواردة في الايات الانفة الذكر اثبتت بان المرئي اوالمشاهد لابد ان يحدد بمكان وزمان وجهة ، وهذه الامور غير ممكنة بشان الباري سبحانه لاننا نعلم بان لكل جسم اجزا ، علاوة على خضوع جميع الاجسام للتغير والتحول ، وكونها ذات عوارض كاللون والحجم والابعاد.

فــي حــين ان واجب الوجود ليس له جز ، وغير خاضع للتغير والتحول ؟ولا يقع محلا للحوادث ، ولا يعترضه شي ، فجميعها من صفات الممكنات .

قــال بــعــض مــؤيدي عقيدة امكانية الرؤية في مقابل هذا الاستدلال : (ليس لدينا اي دليل على كون الــرؤية البصرية مخصوصة بالاجسام ؟ فما المانع في ان ترى الامور غير المادية بالعين ؟ وخاصة اذا ماتغيرت القدرة البصرية وصارت بمستوى اقوى مما هي عليه الان ؟؟.

ان بطلان هذا الكلام بين ، لان الرؤية البصرية ذات حالة مادية ، وهذاالامر المادي يتعلق بالامور المادية حتما ، وليس من المعقول ان يرى الانسان ماورا المادة بالوسائل المادية .

((يــقــول العلامة الطباطبائي)) حول هذه المسالة في تفسير الميزان : الرؤية البصرية سوا كانت عــلــى هــذه الصفة التي هي عليها اليوم او تحولت الى اي صفة اخرى ، هى معها مادية طبيعية متعلقة بــقــدر وشــكــل ولــون وضؤ تعملها اداة مادية طبيعية فانها مستحيلة التعلق باللّه سبحانه في الدنيا والاخرة ((١٣٠)) .

عــلاوة عــلى هذا فالايات القرآنية قالت بصراحة : (ليس كمثله شي) (الشورى ــ الاية١١) ، لذا فــهو ليس له شبه بالاجسام المادية ؟ وليش شيئاماديا يمكن مشاهدته ، فهو لا يحده مكان ولا زمان ، ولا يمكن الاشارة اليه حسا.

٢ ــ.

منطق القائلين بامكانية الرؤية . انقسم المسلمون في مسالة رؤية اللّه الى ثلاث طوائف :.

الطائفة الاولى : التي انضم اليها الفلاسفة والمحققون العظام ، تعتقد بان رؤية اللّه امر محال مطلقا.

الطائفة الثانية : وهم المجسمون الذين يعتقدون بان للّه جسم ، وعليه يمكن رؤيته .

الطائفة الثالثة : وهم جماعة (ابو الحسن الاشعري) ((١٣١)) : احد متكلمي القرن الثالث ، ولهم كــلام عــجــيب حول هذه المسالة ، فهم يقولون : (بالرغم من ان اللّه عز وجل مجرد عن الجسمية والــمــادة ولــكــن يــمكن رؤيته ، وهذه الرؤية تتحقق في الاخرة فقط ، لا في الدنيا ، فهنالك يرى المؤمنون اللّه تعالى بالعين المجردة يــقول (فاضل القوشچي) في (شرح تجريد العقائدــ للشيخ الطوسي) :اعتقد الاشاعرة بامكانية رؤية اللّه ، فالمؤمنون يرونه في الجنة ؟ لكنها رؤية منزهة عن المقابلة وخالية من الجهة والمكان .

ثــم اضــاف : اتــفــق جــميع القائلين باستحالة الرؤية البصرية على ان الانكشاف العلمي التام ممكن (امــكــانــيــة رؤيته تعالى بعين العقل والقلب) ، هذامن جهة ، ومن جهة اخرى اتفق القائلون بامكانية الرؤية البصرية ايضا على استحالة تشكل صورة الباري تعالى في عين الانسان ، او رؤيته بواسطة الاشعة الخارجة من العين ((١٣٢)) .

ويجدر الانتباه الى وجود رايين بين الفلاسفة الماضين حول حقيقة الرؤية ، فجماعة كانوا يؤيدون خروج الشعاع ويقولون :الرؤية هي خروج شعاع من عين الانسان ووصوله الى الشي المرئي فيراه الانسان).

وجماعة آخرون اعتقدوا بان حقيقة الرؤية هي تشكل صورة المرئي في العين ، ونحن نعلم ان علما الــعــلوم الطبيعية اليوم يؤيدون النظرية الثانية ،واثبتوها بادلة حسية وقالوا: (ان تركيب العين من هــذه الــنــاحــية يشبه بالضبط آلة التصوير ، فلا بد ان ينعكس النور الخارجي عن الجسم المرئي ليدخل العين اوآلة التصوير فتطبع صورته على شبكية العين او فلم التصوير).

والــعــجــيــب ان الاشــاعــرة في مقابل هذا الكلام ــ وهو عدم امكانية اي واحدمن المعنيين للرؤية المذكورين اعلاه بالنسبة الى اللّه عز وجل المجرد عن المادة ــ يقولون : (لا تنحصر الرؤية بهذه الامور ، خصوصا عندما يدور الكلام حول رؤية الامور الغيبية او الغائبة فــيمكن ان يرى الاعمى الاشيا التي تبعد عنه بفاصلة مكانية كبيرة ،فمثلا يمكن ان يرى عمارات الاندلس من هذه النقطة من العالم تــدل هــذه الــتعابير بوضوح على المغالطة اللفظية التي يستعملها هؤلاالافراد ، واعتبارهم للرؤية مفهوما مغايرا لما هو موجود في العرف واللغة .

فــان كــان مقصودهم من الرؤية ، الرؤية بعين القلب (البصيرة) والادراك العقلي ، فهذا ماتفق عليه جميع العلما ولا حاجة للجدال والمناقشة فيه .

وان كــان مــقــصودهم هو الرؤية بالعين الظاهرية ، فهو لا يتحقق سوى بانعكاس نور الاجسام على شبكية العين .

وان كــان هناك نوع ثالث من الرؤية ، فهو ادعا مبهم ، وغير معقول ، وغيرقابل للتصور ، ونعلم ان التصديق بلا تصو ر امر محال .

ويــظــهــر ان الاشــاعــرة تــخــلــوا عن ادعائهم تدريجيا عندما عجزوا عن الاتيان بدليل واقعي ، واقتصروا على استعمال لفظ الرؤية فقط من دون ان يكون لهامفهوم غير المشاهدة بعين العقل ، لاننا عــنــدما نقول : ان رؤية اللّه مجردة عن المكان والجهة وانعكاس صورة المرئي في العين ، وان مثل هذه الرؤية قدتتحقق حتى عند الاعمى ايضا ، فانها لاتعني سوى الرؤية الباطنية والقلبية .

والاغــرب مــن ذلك هوان البعض منهم قد جعلوا المسالة اكثر غموضاقالوا : بان اللّه يهب

للمؤمنين حاسة سادسة يوم القيامة ليتمكنوا من رؤيته بها وبغض النظر عن كون التعبير بالحاسة السادسة تعبيرا مبهما وغامضا ، فانه لايحل مشكلة المشاهدة والرؤية ، ولا يصح استعمال لفظ الرؤية هنا سوى بالمعنى المجازي .

والسبب الذي ادى بالاشاعرة وامثالهم الى الاعتقاد بمسالة رؤية اللّه يوم القيامة هو التقيد ببعض الروايات التي يوهم ظاهرها بشي من هذا القبيل ،وسنبحثها في البحث الذي يلي هذا البحث ان شا اللّه .

٣ ــ.

الروايات الدالة على انتفا رؤية اللّه :. هنالك روايات وردت في نهج البلاغة ، وكذلك سائر مصادر علوم اهل البيت (ع) تصرح بانتفا رؤية اللّه تعالى بالعين الظاهرية ، وتتخذ من الرؤية بعين البصيرة بديلا لها ، نذكر قسما منها كنموذج :.

١ ــ نقرا في الرواية المعروفة الواردة في نهج البلاغة ؟:.

وقد ساله ذعلب اليماني فقال : هل رايت ربك ياامير المؤمنين ؟فقال (ع) : افاعبد مالا ارى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال ؟: لا تدركه (تراه) العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان ((١٣٣)) .

٢ ــ ورد في رواية : ان ابي هاشم الجعفري سئل الامام الباقر ، وكان من اصحابه (ع) عن تفسير قوله تعالى ((لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار)) ؟ فقال :يا ابا هاشم اوهام القلوب ادق من ابصار العيون ، انت قد تدرك بوهمك السندوالهند والبلدان التي لم تدخلها ، ولا تدركها ببصرك ، واوهام القلوب لاتدركه فكيف ابصار العيون ؟ ((١٣٤)) .

٣ ــ ونقرا في حديث آخر انه سئل الامام الباقر (ع) احد الخوارج : اي شي تعبد ؟ قال : اللّه تعالى ، قال : رايته ؟ قال : بل لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن راته القلوب بحقائق الايمان ، لايعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس ، موصوف بالايات ، معروف بالعلاقات ن لايجوز في حكمه ، ذلك اللّه ، لا اله الا هو، قال : فخرج الرجل وهو يقول : ((اللّه اعلم حيث يجعل رسالته)) ((١٣٥)) .

٤ ــ في حديث آخر نقل جواب الامام الحسن العسكري (ع) عن سؤال :كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه ؟ فوقع (ع) : يا ابا يوسف جل سيدي ومولاي والمنعم علي وعلى آبائي ان يرى قال (الراوي) : وسالته هل راى رسول (ص)ربه ؟ فوقع (ع) ان اللّه تبارك وتعالى ارى رسوله بقلبه من ونور عظمته ماحب ((١٣٦)) .

٥ ــ في حديث آخر عن عاصم بن حميد ، قال : ذاكرت ابا عبد اللّه (ع)فيما يروون من الرؤية (اهل السنة) ، فقال : الشمس جز من سبعين جزا من نورالكرسي ، والكرسي جز من سبعين جزا من نور العرش ، والعرش جز من سبعين جزا من نور الحجاب ، والحجاب جز من سبعين جزا من نور الستر ،فان كانوا صادقين فليملؤوا اعينهم من الشمس ليست دونها

سحاب ((١٣٧)) .

فالعرش ، والكرسي ، والحجاب ، والستر ، كناية عن العوالم الغيبية الالهية المختلفة ، اي ان الشمس بعظمتها هي احدى موجودات عالم الوجود ،والانسان الذي لايقدر ان يرى هذا الموجود الصغير بعينه كيف يقدر على مشاهدة ذات الباري المقدسة ؟ وهذا بالحقيقة شبيه ماورد في سورة الاعراف في قصة موسى ((ع)) ، وبني اسرائيل ، ودك الجبل بالصاعقة ، وعدم قدرة بني اسرائيل على مشاهدة هذه الشرارة الصغيرة من عالم الوجود.

٦ ــ في حديث آخر عن صفوان بن يحيى ، قال : سالني ابو قرة المحدث ان ادخله على ابي الحسن الرضا (ع) فاستاذنته في ذلك فاذن لي ، فدخل عليه فساله عن الحلال والحرام حتى بلغ سؤاله التوحيد ، فقال ابو مرة : انا روينا ان اللّه عز وجل قسم الرؤية والكلام بين اثنين ، فقسم لموسى (ع) الكلام ولمحمد(ص) الرؤية ، فقال ابو الحسن (ع) : فمن المبلغ عن اللّه عز وجل الى الثقلين الجن والانس ((لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار)) ((ولا يحيطون به علما)) ((وليس كمثله شي)) اليس محمد (ص) قال : بلى ؟ قال : فكيف يجئ رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جا من عند اللّه وانه يدعوهم الى اللّه بامر اللّه ويقول ((لاتدركه الابصار هو يدرك الابصار)) ((ولا يحيطون به علما)) ((وليس كمثله شي))ثم يقول : انا رايته بعيني ، واحطت به علما وهو على صورة البشر ، اماتستحيون ؟ ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون ياتي عن اللّه بشي ، ثم ياتي بخلافه من وجه آخر ((١٣٨)) .

ان الاحاديث الواردة حول هذا الموضوع كثيرة ، فقد ذكر المرحوم العلامة المجلسي في بحار الانوار حوالي ٣٤ حديثا ، والمرحوم الصدوق في كتاب التوحيد ٢٤ حديثا، والمرحوم الكليني في اصول الكافي ١٢ حديثا ،وكلهاتدل على خلوص وطهارة المذهب التوحيدي لاهل بيت الرسول ((ص)) ، الذي انتشر بين المسلمين ، وماذكرنا اعلاه يعد جانبا منه ،والذي يفند خرافة (رؤية اللّه) بالعين الظاهرية ((١٣٩)) .

خلاصة الكلام هو ان بطلان مسالة (رؤية اللّه) بالعين الظاهرية امربين وواضح من حيث الدليل العقلي ، وكذلك من خلال القرآن والروايات الاسلامية الصحيحة .

والان نتوجه الى شبهات القائلين بامكان الرؤية واجوبتها:.

٤ ــ.

ادلة القائلين بالرؤية الظاهرية :. وكما اشرنا فيما مضى ، فان هناك جماعة من علما اهل السنة الماضين وحتى المعاصرين المؤيدين لمسالة الرؤية ، يصرحون احيانا بامكانية رؤية اللّه بالعين الظاهرية هذه ، ولكن لا فى الدنيا ، بل في الاخرة السادسة التي يخلقهالعباده المؤمنين ، او بعين غير هذه العين والتي يتملكها حتى الاعمى .

ويــظهر ان الشي الاساس الذي قادهم الى التسليم بهذا المعتقد والاشتباه في تفسير الرؤية وتوجيه كــلامــهم بتوجيهات عجيبة ، هو الروايات الواردة فى كتبهم عن الرسول محمد (ص) ، بالدرجة الاولى ، وبالدرجة الثانية هو ظواهربعض الايات القرآنية التي لم تفسر بصورة صحيحة .

١ ــ ورد فــي الحديث عن رسول اللّه (ص) : ((انكم سترون ربكم كما ترون هذاالقمر لاتضامون في رؤيته)) ((١٤٠)) .

٢ ــ وفي حديث آخر عن ابي هريرة ان رسول اللّه (ص) سال اصحابه :((تضامون في رؤية القمر لــيــلة البدر ؟ فقالوا : كلا ((اي اننا نرى القمر بدون ان نزدحم في رؤيته)) ((١٤١)) فقال :((كذلك لا تضامون في رؤية ربكم يوم القيامة)).

٣ ــ وفــي روايــة اخــرى فــي نفس هذا الكتاب عن ((ابو رزين)) عن رسول اللّه (ص) انه قال : ضحك ربنا من قنوط عبادة وقرب غيره .

فقال الراوي : فسالته هل يضحك ربنا يارسول اللّه ؟.

فقال : نعم .

فقلت : لن نعدم من رب يضحك خيرا ((١٤٢)) .

٤ ــ وفــي حــديث آخر عن ((ابو عاصم العباداني)) عن جابر بن عبد اللّه ، عن رسول اللّه (ص) انه قال : ((بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب قد اشرف عليهم مــن فوقهم فقال : السلام عليكم ياأهل الجنة اليهم وينظرون اليه)) ((١٤٣)) .

بعد ان نقل ابن ماجه الحديث اعلاه نقل عن السيوطي في مصباح الزجاجة كلاما يدل على عدم الوثوق باحاديث ابي عاصم العباداني .

وقــد ورد الــحــديــث الاول ايضا في صحيح البخاري ، الذي يعد من اشهرمصادر الحديث لدى اهل السنة ، عن (جريربن عبداللّه) في كتاب (مواقيت الصلاة) في بابين مختلفين مع اختلاف بسيط ((١٤٤)) .

وقد نقل بصراحة في قسم تفسير الايات من المجلد السادس لصحيح البخاري ايضا مسالة رؤية اللّه يوم القيامة ((١٤٥)) .

٥ ــ يلاحظ في كتاب الصلاة من ((صحيح مسلم)) وجود عدة روايات منقولة عن ((ابي هريرة)) حــول نزول اللّه تبارك وتعالى كل ليلة الى السما الدنيا ، من جملتها عن الرسول ((ص)) انه قال : ((١٤٦)) .

مــع ان هــذه الــروايــة لاتتحدث عن مسالة الرؤية لكنها تشتمل على مسالة تجسيم اللّه عز وجل ، ونسب العوارض اليه ايضا ، كالمكان والحركة والنزول والصعود ان هــذه الــروايــات ــ ومــع الاسف ــ قد وردت مرارا في مصادرهم الشهيرة التى ذكرنا قسما منها اعــلاه ، وبما انها تخالف صراحة الايات القرآنية التي تقول (لاتدركه الابصار) و (فانك لن تراني)

ومـــخـــالفة لحكم العقل ايضا فيحب ان تهجر ،وان لم يعثر لها على تفسير وتوجيه واضح ، فيجب القول : بانها روايات مجهولة ونسبت الى رسول اللّه ((ص).

والعجيب ، ان اكثر هذه الروايات منقولة عن طريق ابي هريرة المشكوك في امره من عدة جوانب .

وكـــمـــا نقلنا في رواية الامام الرضا ((ع)) : كيف يمكن لاجير ان يبلغ عن اللّه عبارات صريحة تقول بعدم امكانية رؤية اللّه ابدا ، ثم يدعي بان المؤمنين يرون اللّه في القيامة ، او بان اللّه ينزل الى الـــسما الدنيا كل ليلة ؟ وهذا تضاد غيرممكن ، اضافة الى هذا ، فالروايات اعلاه كما تقول بامكانية رؤيـــة اللّه ، تـــصـــرح ايـــضـــا بـــجسمانية اللّه ، وتنسب اليه الصعود والنزول والضحك والقهقهة ، وهـــذاشي لا يتقبله حتى الاشاعرة الذين يعتقدون بالرؤية ، وذلك لانهم يقولون بصراحة : ان رؤية اللّه لاتعني تجسيمه ، وهذا شاهد آخر على كون هذه الروايات موضوعة .

وكـــذلك ماورد في (سنن ابن ماجة) عن عبد اللّه بن عمر انه سمع رسول اللّه ((ص)) قال : ((يدني المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه)) ((١٤٧)) .

فـــلـــو لـــم تـــحـــمل هذه التعابير على المعاني المجازية والكنائية ، فهي حتماتدل على مجهولية هذه الـــروايـــات الـــتـــي تجعل للّه ذراعا وصدرا وجناحا ،وبواسطتها تعرض الافكار المنحطة للقائلين بالجسمية ، فى قالب احاديث مجعولة .

والاعجب من ذلك وهو وجود جماعة لحد الان يؤيدون مسالة رؤية اللّه ،وذلك بسبب تقيدهم بمثل هذه الروايات المبتدعة .

في حين ان مذهب اهل البيت ((ع)) قد نفى هذه العقيدة مطلقا لانهامرفوضة من قبل العقل والايات القرآنية .

ومن بين الايات الشريفة التي يستند عليها القائلون بالرؤية هي (وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة) (سورة القيامة ، الايتان ٢٢ ، ٢٣).

فـــي حـــين ان كلمة (ناظرة) المشتقة من مادة (نظر) تاتي بمعنى المشاهدة ،وبمعنى الانتظار ، وعـــلـــى اي حـــال يـــجب ان توضع هذه الاية الى جنب الايات القرآنية الاخرى التي تقول (لاتدركه الابصار) وان تفسر هذه المتشابهة بتلك المحكمة .

وتـــستعمل هذه التعابير الكنائية بكثرة ، كقولنا: (فلان ينظر اليك فقط ، اوعينه عليك) اي يتوقع مـــنـــك الـــمـــحبة واللطف والرافة ، فاصحاب الجنة ايضاينظرون يوم القيامة الى ربهم ويرجون منه اللطف والرحمة .

والملفت ان تقدم الجار والمجرور في جملة (الى ربها ناظرة) يعطي معنى الحصر (اي انها ناظرة الـــى ربـــهـــا فـــقط) ، في حين انهم يشاهدون انواع نعم الجنة باعينهم ، كالاشجار والانهر والثمار وحـــور الـــعين وغير ذلك بنفس الوقت ، ممايدل بحد ذاته على ان هذه النظرة

اليه تعالى والمختصة بذاته المقدسة ، هي انتظار كرمه وعفوه .
والاحتمال الاخر الوارد في تفسير الاية ، هو ان المقصود من النظرة هي الشهود الباطني ، والرؤية الصريحة بعين القلب والبصيرة ، والخالية من كل الوان الشك والترديد.
والحديث النبوي المنقول عن انس بن مالك يعد خير دليل على هذاالادعا وهو : ((ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة)) ((١٤٨)) .
ومن المسلم انه لو كان المقصود من الرؤية هو الرؤية البصرية الظاهرية فهي مستحيلة بدون وجود كيفية وصفة معلومة .
يقول العلامة الكبير المرحوم (السيد شرف الدين) في كتاب (كلمة حول الرؤية) ــ بعد ان تطرق الى الاحاديث التي نقلها محدثو اهل السنة بخصوص رؤية اللّه يوم القيامة ــ: (انهم بحملهم هذه الروايات على الصحة اضطروا الى سلوك الطريق الذى سلكه القائلون بجسمانية اللّه ، الطريق المخالف للعقل والنقل ، في حين انه لا هذه الاحاديث صحيحة ، ولا ماورد فيها شي يقبله العقل والشرع ، ولكن كثرتها ادت بهم الى تعطيل حكم العقل ، وحتى الى تطبيق آيات من القرآن الكريم معها.
انه عمل غير متوقع ، انا للّه وانا اليه راجعون ثم تطرق الى آية (وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة) ، واضاف قائلا:التعبير بكلمة (نظر) خصوصا عندما تتعدى بـ (الى) لا يعني الرؤية والمشاهدة ابدا ، بل يعني صرف النظر الى شي حتى وان لم يكن مرئيا ، كما صرح بذلك ارباب اللغة ، وورد في القرآن الكريم : (وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون)الاعراف ــ ١٩٨ مضافا الى ذلك ، فما يتبادر الى الذهن من الاية اعلاه هو ذلك الانتظار للفضل الالهي يوم القيامة ، (وكما اشرنا سابقا) فان استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى والمفهوم يعد حقيقة لا مجازا ، وهي ملحوظة في الاشعاروالكلمات اليومية التي تمر علينا كقول الشاعر:.
وجوه ناظرات يوم بدر ـــــــــ الى الرحمن تنتظر الخلاصا.
ويقول الشاعر الاخر:.
اني اليك لما وعدت لناظر ـــــــــ نظر الفقير الى الغني الموسر.
ثم اضاف قائلا: اني اتعجب من هؤلا الاخوة كيف استدلوا بهذه الاية على امكانية رؤية اللّه وحصولها ، وغاب عنهم معناها الظاهري ؟ في حين انهم عندما يصلون الى الايات المشابهة لهذه الاية يؤولونها ، كالاية : (الرحمن على العرش استوى) (طه ــ ٥) ، و (يد اللّه فوق ايديهم) (الفتح ــ ١٠) وامثالها ، ولايحملونها على معنى جسمانية اللّه والمكان والحركة ، بل يعتبرون الاولى بمعنى سلطة اللّه الربوبية على العرش ، والثانية كناية عن قدرته الفائقة جل وعلا.
ولا يعلم سبب هجرهم للمعنى الجلي لجملة (الى ربها ناظرة) واندفاعهم نحو مسالة الرؤية .

مـــضافا الى ذلك فيمكن ان تكون هذه الاية كناية عن الرؤية بعين البصيرة ،كما ورد في كلام امير الـــمؤمنين علي ((ع)) عندما قال : ((لوكشف الغطا ماازددت يقينا)) او يقول في موضع آخر : (او اعبد ربا لم اره) ؟ ثم صرح قائلا: (لاتراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان).

او مـــاورد في كلام ولده الامام سيد الشهدا الحسين ((ع)) في دعا عرفة مخاطبا ربه : ((عميت عين لاتراك عليها رقيبا)) ((١٤٩)) .

والاية الاخرى التي استندوا عليها لاثبات مقصودهم هي (كلا انهم عن ربهم يومئد لمحجوبون) (المطففين / ١٥).

ويستفيدون منها كون المؤمنين غير محجوبين عن الرؤية ، ويرون ربهم حتما.

ولكن كما ان كلمة (حجاب) تستعمل للحجاب الظاهري ، فكذلك تستعمل للحجاب المعنوي ايضا ، والمقصود في هذه الاية هو المعنى الثاني لاالاول ، وذلك بقرينة الاية التي سبقتها حيث تقول : (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) لان المقصود هنا من الرين هو الرين المعنوي لا الظاهري .

والشاهد الاخر هو الاية الخامسة من سورة فصلت التي تخبر عن قول الكفار:(ومن بيننا وبينك حجاب) ومن المسلم ان الحجاب الذي كان بين الرسول ((ص)) والكفار لم يكن حجابا ظاهريا.

وفي الاية ٤٥ من سورة الاسرا:(جلعنا بينك وبين الذين لا يؤمنون حجابامستورا).

وعليه فان الكفار محرومون من اللقا المعنوي مع ذلك المحبوب ، وذلك لوجود الحجاب بينهم وبين اللّه تعالى والاية الثالثة التي استعانوا بها لاثبات مقصودهم هي (انهم ملاقوا ربهم) (البقرة٤٦) ، وقالوا : ان الملاقاة تعني المشاهدة .

في حين ان الايات القرآنية تدل بوضوح على ان اللقا يوم القيامة باي مفهوم كان لا يخص المؤمنين ، بل يتساوى فيه المؤمن والكافر ، بينما نجد انهم يعتقدون بان رؤية اللّه في القيامة خاصة بالمؤمنين فقط ، والدليل على عمومية اللقا ماورد في الاية السادسة من سورة الانشقاق (يايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه).

اذن فالمخاطب في هذه الاية جميع الناس والاية ٧٧ من سورة التوبة قالت :

(فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا اللّه ما وعدوا وبما كانوايكذبون).

فهذه الاية خاصة بالمنافقين ، وفي نفس الوقت فانها تثبت ان لهم لقااللّه وعلى هذا يتضح ان لقا اللّه ، باي مفهوم كان ، يشمل كلا من المؤمنين والكافرين ، في حين انهم يعتقدون باختصاص هذا الموضوع بالمؤمنين .

والجدير بالذكر ان كلمة (لقا) في الاصل اللغوي بمعنى حدوث تماس بين شيئين ، لا بمعنى الرؤية والمشاهدة ، ونحن نعلم باستحالة تحقق هذا الامربخصوص الباري تعالى ، والاشاعرة ايضا لا يقولون بذلك ، لذا يجب ان يحمل على المعنى الكنائي .

وما يستفاد من الايات القرآنية المختلفة هو ان (يوم لقا اللّه) ، كناية عن يوم القيامة الذي سيلقى الناس فيه الجزا والحساب والقصاص الالهي ، لذا فقدورد في آيات متعددة بدلا عن (لقااللّه) (لقا يومهم هذا) (الاعراف ــ٥١) او(لقا يومكم هذا) (السجدة ــ ١٤ والجاثية ٣٤) وورد التعبير عنه في آيات اخرى بملاقات يوم الحساب : ويؤل باللقا مثل (اني ظننت اني ملاق حسابيه) (الحاقة ــ ٢٠).

لهذا فقد حمل الكثير من ارباب اللغة آيات لقا اللّه على هذا المعنى .
يقول الراغب في المفردات : (ملاقاة اللّه عز وجل عبارة عن القيامة).
وكذلك يقول ابن الاثير في النهاية : (المراد بلقا اللّه المسير الى دار الاخرة).
وقد نقل ابن منظور في لسان العرب نفس هذا المعنى ايضا.
ويــلاحظ نفس هذا المعنى في الروايات ايضا ، كما ورد في الحديث النبوي انه ((ص)) قال : ((من حلف على يمين ليقتطع بها مال امر مسلم لقى اللّه وهوعليه غضبان)) ((١٥٠)) .
والــظاهر ان التعبير عن القيامة بـــ (يوم لقا اللّه) ينبع من هذا المعنى ، وهو :ان الانسان ــ في ذلك الــيــوم ــ يشعر بالامر الالهي في كل مكان ، في الحساب ، في عرصة المحشر ، في الجنة والنار ، ويتجلى وجود اللّه عز وجل للجميع ، بحيث يراه المؤمن والكافر بعين القلب والبصيرة بوضوح .
والعجب هو استدلال الاشاعرة بيات اخرى لا تدل على مقصودهم ادنى دلالة مما يؤيد انهم مصرون عــلــى تــحــميل الايات القرآنية آرائهم ،كالاية (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) (يونس ــ ٢٦) ، فقالوا : ان المقصود من (زيادة) رؤية اللّه في حين عدم وجود ادنى اشارة في هذه الاية الشريفة على هذا المفهوم ،بل ان الاية تشير الى نفس ذلــك الــشــي الــذي ورد فــي الاية ٦٠ من سورة الانعام حيث قال تعالى : (من جا بالحسنة فله عشر امثالها).
وكذلك استدلوا بالاية ٣٥ من سورة ق : (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد).
فــقــالوا : ان المقصود من (لدينا مزيد) هو رؤية الخالق المفهوم .
وخلاصة الكلام هو ان مسالة رؤية اللّه ، ــ علاوة على كونها مخالفة للدليل القطعي العقلي والنقلي ــ كــانت تستلزم جسمانية اللّه (الا ان يكون المقصود منهاالرؤية بعين القلب والباطن فلا احد يناقش في ذلك).
ولا يوجد دليل روائي او قرآني عليها ، والامر الوحيد هو استعانتهم بالمتشابهات لتصديق معتقدهم هذا ، في حين ان القرآن امرنا بمطابقة وتفسيرالمتشابهات بالمحكمات .
وان قــسما من الروايات المنقولة في كتب هؤلا القوم بخصوص هذاالموضوع ، هي روايات تتنافى مع حكم العقل والقرآن ، ونحن مامورون بتركهاوعدم الاهتمام بها.
وقــد انتقد المرحوم العلامة (السيد شرف الدين) بدوره اسناد هذه الاحاديث ايضا في كتابه القيم (كلمة حول الرؤية) واثبت بانها موضوعة (ولزيادة التوضيح راجع الكتاب المذكور) ((١٥١)) .
فما اقبح عصرنا الحاضر اذ يوجد به من لا يزالون يؤيدون خرافة (رؤية اللّه بالعين الظاهرية في القيامة) ، على الرغم من كون البحوث العقائدية فيه تدورحول محور الادلة العقلية ، وقد اتضحت المسالة بصورة كافية من خلال آيات القرآن .
٥ ــ.

اللّه عز وجل ليس جسما. هناك جماعة بين المسلمين وغير المسلمين تدعى بالمجسمة ، والتي تعتقد بجسمانية اللّه ، وتنسب الـيه جميع عوارض الاجسام ، وقد نقلت عنهم مطالب مضحكة ومخجلة في نفس الوقت ، الى درجة ان الـشـهـرسـتـانـي في كتاب (الملل والنحل) ينقل عنهم بانهم يقولون حتى بامكانية لمس اللّه ، ومصافحته ومعانقته ، من قبل المسلمين الخلص الـقائلين بهذا المذهب ، انه قال : ((اعفوني من الفرج واللحية واسالوني عما ورا ذلك)) فمعبودي جسم ودم ولحم ، وله جوارح واعضا ، من يد ورجل ، وراس ، ولسان ، وعينين ، واذنين ، ومع ذلك فهو جسم لا كالاجسام وليس كمثله شي ، ولحم لا كاللحوم وكـذلـك نقل عنه ايضا بانه كان يقول : (انه ((١٥٢)) اجوف من اعلاه الى صدره ،مصمت ماسوى ذلك ، وان له وفرة سودا ((١٥٣)) وله شعر قط ((١٥٤))).

ويـذكر (المحقق الدواني) عنهم عجائب اخرى فيقول : انهم طوائف مختلفة ، فبعضهم يقول : انه (عز وجل) مركب من لحم ودم ويقول البعض الاخر: انه نور متلالي كصحيفة بيضا طوله سبعة اشبار من اشباره هو ويقول البعض : انه شاب امرد ذو شعر مجعد والبعض يقولون : انه بشكل شيخ كبير لون شعر راسه ولحيته سودابيضا ((١٥٥)) .

ان هـذا الـكلام الدني يشير بوضوح الى مقدار تورط هذه الطائفة بالانحطاط الفكري ، فعبروا عن اللّه تعالى بتعابير لا تصدر حتى من الاطفال الصغار ، ولم يخجلوا من ذكر هذه الامور. طبعا لايمكن التصديق الان بوجود احد من المسلمين او غير المسلمين يحمل مثل هذه الاعتقادات .

وبـما ان كل افراط يتبعه تفريط ، فقد ظهر في مقابل هؤلا جماعة احترزواعن التشبيه الى درجة انـهـم كـانـوا يقولون : اذا حرك احد يديه اثنا قراة آية (خلقت بيدي) وجب قطع يده باصبعيه عند قراة هذه الرواية الواردة عن النبي ((ص)) انه قال : ((قلب المؤمن بين اصبعين من ((١٥٦)). وعـلـى ايـة حال يظهر ان هذه العقائد السخيفة المنحطة بخصوص جسمية اللّه تعالى تنبع من احد امرين :.

الاول : الانـس الـمـفرط بعالم المادة والمحسوسات ، الانس المصحوب بالسذاجة والجهل الذي لا يسمح للانسان تقبل شي غير المادة ، الانس الذي يؤدي الى مقايسة اللّه عز وجل بالانسان وصفاته .

الثاني : التعابير الكنائية والمجازية الملحوظة في القرآن الكريم والروايات الاسلامية ، حيث يمكن ان يتوهم السذج منها الجسمية .

ولكن بالالتفات الى نقطة واحدة يتضح بان قبول فكرة الجسمية بالنسبة للّه تعالى يساوي نفي الوهيته ، ونفي وجوب وجوده ، لان كل جسم يتشكل من اجزا ، ولا بد له من لزوم المكان والزمان ، وكونه مـعـرضـا للحوادث والتغيرات ويتجه دائما نحو الهلاك والفنا ، وتكفي كل واحدة من هذه الصفات لنفي الوهية اللّه ووجوب وجوده .

مــضافا الى ذلك انه لو كان جسما لكان له شبيه ومثيل ، ونحن نعلم ان آيات متعددة من القرآن الكريم نفت عن اللّه تعالى اى شبيه او مثيل .

ونختم هذا الكلام بحديث منقول عن الامام الكاظم ((ع)) : ((ذكر عنده قوم زعموا ان اللّه تبارك وتــعالى ينزل الى السما الدنيا ؟ فقال : ان اللّه لاينزل ولا يحتاج الى ان ينزل ، انما منظره في القرب والبعد سوا) ، ولم يحتج الى شي بل يحتاج اليه ، اماقول الواصفين : انه ينزل تبارك وتعالى عن ذلك فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص اوزيادة ، وكل متحرك محتاج الى من يحركه او يتحرك به فمن ظن باللّه الظنون فقد هلك واهلك ، فاحذروا في صفاته من ان تقفوا له على حد من نقص او زيادة ، او تحريك اوتحرك ، او زوال او استنزال ، او نهوض او قعود فان اللّه عز وجل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين)) ((١٥٧)) .

وهــنــاك روايــات كــثــيــرة فــي هــذا المجال ولكن وضوح الموضوع يغنينا عن التوغل في البحث ((١٥٨)) .

والــعــجــب من اصرار بعض ارباب الملل والنحل على نسب مسالة الاعتقادبجسمانية اللّه تعالى الى الشيعة اتباع مذهب اهل البيت ((ع)) ، لكن مطالعة كتب الشيعة تشير بوضوح الى انهم بلغوا القمة فــي تــنــزيــه اللّه تــعــالــى عن الجسمانية ، واي صفة من صفات الاجسام وعوارضها ، لذا فقد قال الامــام الــرضــا((ع)) : ((انــه لــيــس مــنــا مــن زعم ان اللّه عز وجل جسم ونحن منه برا في الدنياوالاخرة)) ((١٥٩)) .

.###

٣ ــ.

ليس له محل وهو موجود في كل مكان . تمهيد:.

ليس من اليسير ادراك وجود مجرد من المادة من قبل افراد يعيشون دائمافي اسر سجن عالم المادة وقد تطبعوا عليه ، ولم يفكروا باعلى منه .

ولــكــن وكما قلنا في بداية بحث الصفات الالهية ، فان اول خطوة في طريق معرفته هي تنزيهه عن صفات مخلوقاته ، خاصة عن صفات الموجودات المادية من قبيل الزمان ، المكان ، التغير ، والحركة .

ويتضح من هنا اننا لا نعرف اللّه حق معرفته حتى ننزهه عن المكان والمحل .

ومــن الــبديهي ان الاتصاف بالمحل ملازم للقول بالتجسيم ، وعرفنا في البحوث السابقة بان اللّه عز وجــل لــيــس بجسم ولا يتصف بصفات الاجسام ،لايحيطه مكان ولا يسعه زمان ، وفي نفس الوقت يحيط بجميع الامكنة والازمنة بهذا التمهيد نتوجه الى القرآن الكريم لنصغي الى الايات التالية باسماع قلوبنا:.

١ ــ (وللّه المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه اللّه ان اللّه واسع عليم).

(البقرة / ١١٥).

٢ ــ (وهو الذي في السما اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم).
(الزخرف / ٨٤).
٣ ــ (وهو معكم اينما كنتم واللّه بما تعملون بصير) (الحديد / ٤).
٤ ــ (مــا تــكــون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا وهو سادسهم ولاادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا) (المجادلة / ٧).
٥ ــ (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) (ق / ١٦).
٦ ــ (هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم) (الحديد/ ٣).
٧ ــ (وانــتــم حــيــنــئذ تــنــظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون)(الواقعة /٨٤ و ٨٥) ((١٦٠)) .
جمع الايات وتفسيرها :.
اينما نتوجه فثم وجه اللّه . حــاول الــيــهــود بــعــد مسالة تغير القبلة (من بيت المقدس نحو الكعبة) الى ايجاد شبهة في اذهان المسلمين من خلال هذه المسالة ، واعتبار تغيير القبلة دليلا على عدم ثبات الرسول محمد ((ص)) عــلــى رســالته ، فنزلت الاية الاولى من بحثنا وبينت : (وللّه المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه اللّه ان اللّه واسع عليم).
فــهو حاضر في كل مكان وبكل شي عليم ، لذا فاينما تولوا فثم وجهه ،واما الغرض من التوجه نحو الــقــبلة فهو لتمركز توجه المؤمنين الى ان اللّه عز وجل له محل خاص او جهة معينة وهي القبلة ، فوجوده واسع الى درجة كونه حاضراورقيبا في كل مكان ، وفي نفس الوقت ليس له محل او مكان خاص وطــبــعــا ليس المقصود من كلمتي المشرق والمغرب في الاية اعلاه الجهتين الجغرافيتين ، بل هو تــعــبــير كنائي عن جميع العالم ، كما اننا عندما نريدان نقول : بان اعدا علي ((ع)) حاولوا اخفا فــضــائــله ، وشــيعته اخفوها ايضاخوفا من اعدائه ، ومع ذلك فان فضائله ملات العالم ، نقول : (ان فضائله ملات الشرق والغرب) وعلى اي حال فان تعبير (فاينما تولوا فثم وجه اللّه) هو تعبير حي وواضح على عدم احاطة المكان باللّه تعالى .
لان الــتــواجد في كل مكان اما يعني امتلاك الموجود ابعادا واسعة واجزاكثيرة تملا المكان ، وكل جــز مــنــه مــوجــود في جهة معينة ، ونحن نعلم باستحالة هذا المعنى بالنسبة الى اللّه تعالى ، لانه ســبــحــانه ليس له اجزا ، وقول القرآن :(هو معكم) لايعني ان جزا من وجود اللّه تعالى هناك (فتامل جيدا).
او يــعــني عدم احاطة المكان به ، اي هو فوق الزمان المكان ، وطبعا مثل هذا الوجود تتساوى لديه جميع الامكنة والازمنة ولا معنى للبعد والقرب عنده .
والملاحظة المهمة هنا هي ان التعبير بعبارة (وجه اللّه) تعني في القرآن الذات الالهية

المقدسة .

ولــكون (الوجه) اشرف اعضا الانسان ويحتوي على اهم حواسه ، فان هذه الكلمة تستعمل كناية عن (الذات) ، ولكن بعض المفسرين فسروهابمعنى الرضا الالهي ، او الثواب الالهي ، او القبلة ، ولا نعتقد بصحة اي من هذه المعاني .

قــال تعالى في الاية الثانية ــ ضمن رده على المشركين والذين جعلوا له ولدا ، وتنزيه ذاته المقدسة عن هذه الصفات : ــ (وهو الذي في السما اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم).

ان الــوهــيــة اللّه تــعــالى لا تخص جهة معينة ، او مكانا خاصا ، ومساحة الوهيته وسعت كل مكان ، وبــسبب وجوده في كل مكان فهو بكل شي عليم وخبير ، وافعاله حكيمة ، بل ان هذا التعبير يشير الى ان (العليم) و (الحكيم)الوحيد في عالم الوجود هو اللّه سبحانه ، لان علم وحكمة من سواه قاصرة وناقصة ومشوبة بالجهل .

ولــكــن المشركين على مدى التاريخ قالوا : بان لكل واحدة من موجودات العالم الها وربا: اله السما ، الــه الارض ، الــه الــبــحــر ، اله البر ، اله الحرب واله الصلح ، وما شاكل ذلك ، والاية اعلاه تنفي جميع هذه المعتقدات الباطلة ،وتؤكد على ربوبية اللّه الواحد الاحد على جميع عالم الوجود.

قــال بعض المفسرين :ان هذه الاية خير دليل على هذا الموضوع ، وهوعدم تواجد اللّه في السما ، لانه يقول : (في السما اله وفي الارض اله) ويعني ان نسبة وجوده في السما وفي الارض متساوية ، وبما ان الارض لا تعتبر مكانا له ،فكذلك السما ايضا ((١٦١)) .

وقــال الــبــعض الاخر من المفسرين : بان مقصود هذه الاية هو انه معبود في السما وفي الارض ، فالملائكة تعبده في السما وفي الارض تسجد له موجوداتها.

وفــي حــديــث ظــريــف ورد : بــان احــد زنادقة عصر الامام الصادق ((ع)) وهو ((ابوشاكر الــديــصاني)) قال لهشام بن الحكم :ان في القرآن آية هي قولنا قلت :وماهي ؟ فقال : وهو الذي في الــســما اله وفي الارض اله فلم ادر بها اجيبه زنــديق خبيث اذا رجعت اليه فقل : ما اسمك بالكوفة فانه يقول : فلان ، فقل له : ما اسمك بالبصرة ؟ فــانه يقول : فلان فقل كذلك اللّه ربنا في السما اله ، وفي الارض اله ، وفي البحار اله ن وفي القفار اله ، وفي كل مكان اله ، قال : فقدمت فاتيت ابا شاكر فاخبرته فقال :هذه نقلت من الحجاز ((١٦٢)) .

ان هذا التعبير يعد اشارة الى ان اللّه تعالى لامكان له من جهة ، وحضوره في كل مكان من جهة اخرى ، كقولنا : (اثنان زائد اثنين يساوي اربعة) فان هذه المعادلة الرياضية كما انها في الارض ، كذلك فــانــهــا فــي السما وفي جميع المجرات ، وفي نفس الوقت ليس لهذه المعادلة الرياضية محل معين ، فيمكن ان نقول : بانها في كل مكان وليس لها مكان في آن واحد.

هو معكم اينما كنتم . تــقول الاية الثالثة بصراحة (وهو معكم اينما كنتم) ولانه كذلك فهو بماتعملون بصير: (واللّه بما تعملون بصير).

يشير هذا التعبير بوضوح الى انه جل وعلا لا مكان له ، او بتعبير آخر ، هوفوق الزمان والمكان ، ولهذا فهو حاضر في كل مكان وقد احاط بكل شي علما.

قــال بــعض المفسرين ــ كما يظهر من تفسير (روح المعاني) : يجب تاويل هذه الاية وحملها على المعنى المجازي والقول بان المقصود منها هو : (علمه معنا لا ذاته المقدسة). وهــؤلا غــافلون عن ان علم اللّه تعالى علم حضوري ، لا كعلمنا الذي يتم عن طريق تصوير الاشيا في الذهن ، والعلم الحضوري معناه حضور كل شي بين يديه ، وبحضور ذاته في كل مكان فهي تحيط بها جميعا ((١٦٣)) .

وقــال بــعــض الــمفسرين في تفسير هذه الاية :كل ممكن فوجوده من الواجب ، فاذن وصول الماهية الــمــمــكــنة الى وجودها بواسطة فيض الواجب الحق ذلك الوجود لتلك الماهية فالحق سبحانه هو المتوسط بين كل ماهيه وبين وجودها ، فهو الى كل ماهية اقرب من وجود تلك الماهيه ((١٦٤)) .

وقد ورد في تفسير الميزان بان هذه المعية نابعة من احاطته بكم ، فلاتغيبون عنه اينما كنتم ، وفي اي زمان عشتم ، وفي اي حال فرضتم ، فذكر عموم الامكنة (اينما كنتم) لان الاعرف في مفارقة شــي شيئا ، وغيبته عنه ان يتوسل الى ذلك بتغيير المكان ، والا فنسبته تعالى الى الامكنة والازمنة والاحوال سوا ((١٦٥)) .

ولــكــن مــن لم يستطيعوا فهم احاطة اللّه الوجودية بجميع الممكنات بصورة صحيحة ، حملوا هذه الايــة عــلى المعنى المجازي فقالوا: ان المراد من معية اللّه للموجودات ، هو شمول علمه وقدرته وحاكميته عليهم ((١٦٦)) .

امــا الاية الرابعة فقد اشارت الى مسالة النجوى فقالت : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا).

(النجوى) في الاصل بمعنى المكان المرتفع المنعزل عما حوله لارتفاعه ، ولكون اذا اراد شخص ان يسر شيئا لصاحبه ياخذه الى معزل عن الناس فان كلمة نجوى استعملت بمعنى الهمس في الاذن .

يعتقد البعض بوجوب وجود ثلاث اشخاص او اكثر لتحقق معنى النجوى ، وان كانا اثنين يطلق على هــذا الــعمل (سرار) ، لكن هذه المسالة لم تثبت ، خصوصا ان كلمة نجوى وردت في آيات سورة المجادلة للتعبير عن الذين كانوا يناجون الرسول (ص) بصورة انفرادية .

ولــلــمــفــســرين بيانات متعددة بسبب ذكر ثلاثة وخمسة اشخاص بالخصوص وعدم ذكر الاربعة اشــخــاص الــتي تقع بين الثلاثة والخمسة ، اقواهاهو انه لو ذكر الاربعة اشخاص لتكرر العدد (اربــعــة) في الجملة الاولى والثانية ،وهو ينافي البلاغة والفصاحة (سوى في

حالات خاصة) ، مضافا الى ذلك فان قوله تعالى في نهاية الاية : (ولا ادنى من ذلك ولا اكثر) سيشمل مالم يذكر بين هذين العددين ، وعليه يشمل ماقبل العدد ثلاثة (اي اثنين) وما بعده (اي اربعة) وكذلك الاكثر من الخمسة ، وهذه نقطة اخرى تدل على فصاحة هذه الاية ، وعلى ان تعبير (نجوى) يشمل الشخصين ايضا.

وقال البعض الاخر : بان الاية اعلاه تتحدث عن حادثتين من قبل المنافقين اشترك في الاولى ثلاث اشخاص ، وخمسة اشخاص في الثانية .

وعلى اي حال فان المراد من المعية (معية اللّه لعباده في نجواهم) هونفس الاحاطة الوجودية المشار اليها في الاية السابقة ، والعجب من بعض المفسرين الذين ايدوا هذا المفهوم في الاية السابقة ، لكنهم فسروا المعية هنابمعنى الاحاطة العلمية ، ولعل ذلك بسبب تحدث الاية في البداية عن سعة علم اللّه وشموله جميع مافي السموات والارض : (الم تر ان اللّه يعلم ما في السموات وما في الارض).

ولكن من البديهي ان احاطة اللّه الوجودية بكل شي هي عين احاطته العلمية ، لانه وكما اشرنا سابقا فان علم اللّه علم حضوري ، ولازمه حضوره عزوجل في كل مكان (فتامل جيدا).

نلاحظ نفس هذا المفهوم في الاية الخامسة وبتعبير جديد ، حيث قال تعالى :(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد).

تطلق كلمة (وريد) على اي نوع من انواع عروق البدن ، لكن الكثير من المفسرين فسروها بمعنى الوريدين الرئيسين الموجودين في جانبي الرقبة ،وفسرها جماعة بمعنى الوريد الرئيس المتصل بالقلب .

ولكن عندما نضيف كلمة (حبل) الى كلمة (وريد) فلا يراد منه الاوردة الصغيرة والعادية الموجودة في البدن ، بل يقصد به احد الاوردة الكبيرة والمعروفة في البدن ، وقد ورد كلا التفسيرين فى تفسير ذيل هذه الاية في كلام المفسرين وارباب اللغة ((١٦٧)) .

لكن المناسب لهذه الاية هنا ، هو الوريد الرئيس في القلب لانه ورد ايضافي الاية ٢٤ من سورة الانفال :(واعلموا ان اللّه يحول بين المر وقلبه) وكلا الايتين كناية عن منتهى قرب اللّه تعالى لجميع عباده ، لاننا لو اعتبرنا قلب الانسان مركزوجوده ، لما كان هنالك شي اقرب اليه من وريد القلب ، فالقرآن يريد ان يقول :(ونحن اقرب اليه حتى من هذا ايضا).

وعلاوة على هذا فان الاية قد تحدثت في البداية عن علم اللّه بماتوسوس به نفس الانسان ، مما يتناسب مع القلب لا الرقبة .

على اي حال ، ان هذه المسالة تصور عموم المكان للّه تعالى بافضل وجه ، لانها تقول : بانه تعالى اقرب الى كل انسان من وريد قلبه ، اذا فهو حاضرفي كل مكان ، حتى في ارواحنا وقلوبنا ، ومن الواضح ان وجودا كهذا هو فوق المكان ، لان الشي الواحد لا يمكن ان يكون بجميع وجوده في مكانات متعددة ، الا ان يكون ذا اعضا يشغل كل واحد منها

مكانا معينا.

وقــد ورد نفس هذا المفهوم في الاية السادسة والاخيرة من بحثنا والذي يخص المحتضرين الذين اشــرفــوا عــلــى نــهاية حياتهم ، قال تعالى : (وانتم حينئذتنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون).

فــيقول نحن نعلم جيدا بما يجري في باطن ذلك المحتضر ، واي غوغاقائمة في عمق وجوده هو سرور لتحرره من سجن البدن وانطلاقه الى رياض الجنة ، ام هموم لمشاهدته العقوبات الالهية بسبب اعماله المظلمة ؟ لكنكم لا ترون اي واحدة من هذه المسائل ولا تعرفونها.

وقــد حــمل بعض المفسرين ــ الذين لم يدركوا مفهوم القرب الالهي من الانسان بصورة صحيحة ، ــ هذه الاية على المعنى المجازي ، فقالوا : ان ملائكة الموت اقرب اليه منكم ولكنكم لاتبصرونهم .

ولــكــن بــالالــتــفــات الى كون هذا التعبير وامثاله ــ كما عرفنا ذلك في الايات السابقة ــ لاينحصر بالشخص المحتضر ، فقد عم جميع الناس بتعابير مختلفة ،فقد اتضح بطلان هذا التفسير.

وما تاكيد الاية على قرب اللّه تعالى من المحتضر فقط ، الا لكون الكلام يدور حول هذا الموضوع ، وبصورة عامة فان هذه الاية تعد دليلا واضحا آخرعلى انعدام المكان بالنسبة الى اللّه تعالى .

نتيجة البحث :.

يــتــضــح جليا من مجموع الايات اعلاه انها تتطرق الى حقيقة واحدة بتعابيرمتنوعة ، وهي ان اللّه مــوجــود في كل مكان ، ويشرف على الكون ، في الوقت الذي ليس له مكان معين يحده ، وان وجوده فوق الزمان والمكان ، ولكون جميع الموجودات تستمد وجودها من وجوده ، ولا تستغني عنه ابدا ، فــانــه تعالى يحيط بجميع موجودات العالم احاطة وجودية ، هي عين احاطته الربوبية والقيومية (فتامل جيدا).

التوضيحات :.

١ ــ.

اللّه عز وجل فوق المكان والزمان :. لــلــفــلاســفــة بحوث عديدة حول حقيقة (المكان) و (الزمان) ، وبالرغم من ان موضوع المكان والــزمــان مــن الامور التي تلازمنا دائما الا ان معرفة حقيقتهمالاتزال من المشكلات حتى بالنسبة للفلاسفة فــقــد اعتقد جماعة بان المكان ــ والذي يعطي معنى الفضا ، او هو بعدخاص تسبح فيه الاجسام ، ــ موجود مخلوق قبل الجسم ، وكل جسم بحاجة اليه .

وقال آخرون ان : الفضا الخالي من كل شي ليس الا وهم وخيال ،وبالاساس ، فان عدم وجود الجسم يــعــنــي عــدم وجود المكان ، وبتعبير آخر :المكان يوجد بعد الجسم لا قبله ، وينتزع

من مقايسة جسمين مع بعضهما ،وكيفية استقرارهما ، وليس من المناسب هنا انتقاد هاتين النظريتين الفلسفيتين وتحليلهما ، بل يجب القول : بان المكان باي واحد من هذين المفهومين ، محال بالنسبة الى اللّه عز وجل .

لانه لايمكن ان يكون هناك موجود قبل اللّه ، وفق التفسير الاول ، القائل :بان (المكان موجود يسبق وجود الجسم).

لاسيما اذا قررنا بان الاجسام تحتاج الى مكان ، فهل يمكن ان يحتاج واجب الوجود الغني عن الوجود الى شي آخر؟.

وعليه يتضح استحالة تحقق مفهوم المكان طبق التفسير الاول بخصوص الباري الغني عن كل شي والمنشا لجميع الوجودات ، واما وفق التفسير الثاني فهو يستلزم وجود النظير الكفؤ للّه تعالى ليقاس به ، وينتزع المكان من قياس هذين الاثنين مع بعضهما ، فى حين اننا عرفنا في مباحث التوحيد بانه تعالى ليس له كفؤ ابدا.

ومن جهة اخرى ، لا يمكن تصور المكان بدون محدودية ، لانه ينبغي تصور جسمين بصورة منفصلة عن بعضهما ليتضح مفهوم المكان من مقايستهمامع بعضهما ، لذا يقول هؤلا الفلاسفة : ان كل العالم ليس له مكان لانه لايوجدشي خارج عنه ليقاس به ، اما المكان فلاجزا العالم فقط.

ومن جهة ثالثة اذا كان للّه مكانا لاستلزم ان يكون له اعضا واجزا ، لان ذرات الجسم ــ بالقياس مع بعضها ــ تمتلك امكنة مختلفة ، كان تكون احداها في الاعلى والاخرى في الاسفل ، احداها في جهة اليمين والاخرى في جهة اليسار ، واذا اعتقدنا بتركيب اللّه تعالى فستبرز مسالة حاجته الى هذه الاجزاوالتي لاتتناسب مع وجوب وجوده .

ونفس هذا البحث يرد في مفهوم الزمان ، فالذين يعتقدون بان الزمان ظرف مخلوق قبل الاشيا ، والاشيا المادية تدخله بعد الخلق والتكون وتحتاج اليه ، وبتعبير آخر : الزمان حقيقة مستقلة سيالة مخلوقة قبل جميع الاشيا المادية ، ويمكن ان يكون موجودا حتى بعد فنائها ، في هذه الحالة يتضح عدم احاطة الزمان باللّه تعالى ، لانه يستلزم الحاجة الى شي وهو الغني عن كل شي .

وان اعتقدنا ، ــ طبقا لنظرية الفلاسفة المتاخرين ، ــ بانه وليد حركة اشياالعالم او الحركة الجوهرية للاشيا ، فانه محال بشان الباري ، لانه وجود كامل وغير محدود من كل ناحية ، ووجود كهذا لايمكن تصور الحركة بشانه (اي لامفهوم لها) ، اذا لايسعه الزمان .

الدفتر الرابع ــ بيام قرآن .

٢ ــ.

لا يحل اللّه في شي :. يعتقد جماعة من المسيحيين بان اللّه تعالى قد حل في المسيح (ع) ،واعتقد جماعة من المتصوفة بمثل ذلك اقطابهم ، اذ قالوا ان اللّه تعالى قد حل في وجودهم .

وكما قال العلا مة المرحوم الحلي (ره) في (كشف المراد) : ((١٦٨)) ((لا ريب في سخافة وزيف هذه العقيدة ، لان مايمكن تصوره من الحلول هو: ان يحل موجود قائم في موجود آخر ــ كقولنا : حل العطر في الورد ــ وهذا المعنى لا يمكن تصوره بخصوص اللّه ،لانه يستلزم اشغال حيز من المكان والحاجة اليه ، وهو امر محال بالنسبة لواجب الوجود ، والذين يعتقدون بحلول اللّه في شي سيتورطون بنوع من الشرك ، وهم خارجون عن سلك الموحدين)).

٣ ــ.

معنى حضور اللّه تعالى في كل مكان . يمكن ان يتصور البعض حضور اللّه سبحانه في كل مكان كوجود قوة الجاذبية او وجود الـ (اتر) (مادة مفترضة ليس لها وزن ولا لون تملا الوجودباكمله وموجودة حتى في الفراغ) ، في حين ان جميع هذه الامور هي من قبيل الوجود في مكان ، اي وجود قسم من امواج الجاذبية او ذرات الـ (اتر) في كل زواية زوايا العالم وهذا المطلب يستلزم : وجود الاجزا المركبة من ناحيه ،والحاجة الى المكان من ناحية اخرى .

في حين ان مفهوم وجود اللّه سبحانه في كل مكان هو انه تعالى فوق المكان ، لذا فلا معنى للبعد والقرب عنده ، واذا اردنا ان نتصور مثالا ــ مع انه لايعني بالغرض ــ حول هذا المفهوم ، يجب ان نشبه حضوره بحضور المعادلات العلمية ، والمسائل العقلية في كل مكان ، كقولنا : الكل اكبر من الجز ، واستحالة اجتماع النقضين ، و ٢ * ٢ ٤.

وتصدق مثل هذه الامور في الكرة الارضية ، وفي كوكب القمر ، وفي كوكب المريخ ، وفي ما ورا المجرات ، فالكل اكبر من الجز في جميع هذه الامكنة ، واجتماع النقيضين محال فيها ايضا ، في حين انه لا يوجد مكان ومحل معين لهما.

ومن الاهمية بمكان الالتفات الى هذه الصفة الالهية : وهي مثول العالم باكمله بين يدي اللّه سبحانه له تاثير تربوي عميق في نفس الانسان ، فكيف يمكن ان يكون لاحد ايمان بمثل هذا الامر ويرى حضور مولاه العظيم الحكيم وولي نعمته ، ويسلك طريق الخطايا ويلوث نفسه بالذنوب المشينة ويعصي اوامره واللطيف هو ان الايات التي ذكرناها اعلاه بخصوص حضور اللّه تعالى في كل مكان ، تؤكد غالبا على نفس هذا الاثر التربوي ، لذلك فقد ورد في بعضها(واللّه بما تعملون بصير) ، وفي البعض الاخر ((ونعلم ما توسوس به نفسه)).

فليس الحضور الالهي خارج وجودنا فقط ، فهو تعالى موجود في نفوسناوقلوبنا واعماق ارواحنا ايضا ، كما قال مولى المتقين علي (ع) ، في وصف اللّه عز وجل ((الباطن لكل خفية ، والحاضر لكل سريرة ، العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون)) ((١٦٩)) .

وقال (ع) في خطبة اخرى :((فاتقوا اللّه الذي انتم بعينه ، ونواصيكم بيدة ،وتقلبكم في

قبضته ، ان اسررتم علمه ، وان اعلنتم كتبه)) ((١٧٠)) .

###.

٤ ــ.

لماذا نرفع ايدينا الى السما اثنا الدعا؟. غالبا ما يطرح هذا السؤال من قبل عامة الناس وهو : اذا لم يكن للّه تعالى مكان معين فلماذا ننظر الى السما اثنا الدعا ؟ ونرفع ايدينا نحو السما ؟ فهل هو سبحانه موجود في السما ((والعياذ باللّه)) ؟.

وقد طرح هذا السؤال في زمان الائمة المعصومين (ع) ايضا ، فقد روى ((هشام بن الحكم)) ان زنديقا دخل على الامام الصادق (ع) وساله عن آية (الرحمن على العرش استوى).

فاجابه الامام (ع) موضحا : ((ونفينا ان يكون العرش او الكرسي حاويا له ، وان يكون عز وجل محتاجا الى شي مما خلق ، بل خلقه محتاجون اليه)).

فقال السائل : اذا ، لا فرق في ان ترفعوا ايديكم اثنا الدعا الى السما اوتنزلوها الى الارض فقال الامام (ع) ((ذلك في علمه واحاطته وقدرته سوا ، ولكنه عز وجل امراوليائه وعباده برفع ايديهم الى السما نحو العرش ، لانه جعله معدن الرزق ، فثبتنا ماثبته القرآن والاخبار عن الرسول (ص) حيث قال : ارفعوا ايديكم الى اللّه عز وجل ، وهذا يجمع عليه فرق الامة كلها)) ((١٧١)) .

ورد في الخصال عن الامام امير المؤمنين (ع) ، في حديث آخر انه قال :((اذا فرغ احدكم من الصلوة فليرفع يديه ال١ ى السما، ولينصب في الدعا فقال ابن سبا : ياامير المؤمنين اليس اللّه عز وجل في كل مكان ؟ قال : بلى ، قال : فلم يرفع يديه الى السما ؟ فقال : او ماتقرا : (وفي السما رزقكم وماتوعدون) فمن اين تطلب الرزق الامن موضع الرزق وماوعد اللّه عز وجل السما)) ((١٧٢)) .

وطبقا لما جا في هذه الروايات فان اغلب ارزاق الناس تنزل من السما ،(فالمطر الذي يحيي الارض الميتة ينزل من السما ، ونور الشمس الذي يعدمنبعا للحياة ، يشع من السما، والهوا الذي يعد العامل المهم الثالث للحياة ،موجود في السما ، فان السما عرفت كمعدن للبركات والارزاق الالهية ، وترفع الايدي نحوها عند الدعا طلبا ورجا من خالق ومالك كل تلك الارزاق في حل المعضلات .

ويستنتج من بعض الاخبار ايضا ان هذا المفهوم لاينحصر بالمسلمين فقط، بل كان موجودا في بقية الامم كذلك ، كما نقل المرحوم (الفيض الكاشاني) في كتاب المحجة البيضا عن (مالك بن دينار) انه قال : اصاب الناس من بني اسرائيل قحط ، فخرجوا مرارا فاوحى اللّه تعالى الى نبيهم ان اخبرهم انما تخرجون الي بابدان نجسه ، وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدما ، وملاتم بطونكم من الحرام الان قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا ((١٧٣)) .

ويــستنتج من بعض الروايات وجود فلسفة اخرى لهذا العمل وهو اظهارالخضوع والتذلل للباري ، لان الانسان يرفع يديه حينما يظهر خضوعه واستسلامه لشخص او شي معين .
وفــي حــديــث لــلامــام الباقر(ع) في تفسير آية (فما استكانوا لربهم ومايتضرعون) فقال (ع) : الاستكانة هو الخضوع ، والتضرع هو رفع اليدين والتضرع بهما ((١٧٤)) .
٥ ــ.
عدم احتياج اللّه للمكان في الروايات الاسلامية :. طــرحت هذه المسالة بشكل واسع في الروايات الاسلامية في : اصول الكافي ، بحار الانوار ، نهج البلاغة ، توحيد الصدوق ، وغيرها، وذكرها جميعا لايتناسب مع طريقة اختصار الكتاب ، لذا نقتع بنفحات منها :.
١ ــ عن ابي عبد اللّه الصادق (ع) انه قال : ((ان اللّه تبارك وتعالى لايوصف بزمان ، ولامكان ، ولا حــركة ، ولا انتقال ، ولا سكون ، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال ، تعالى اللّه عما يقول الظالمون علوا كبيرا)) ((١٧٥)) .
٢ ــ وجــا في حديث آخر ان امير المؤمنين (ع) سمع رجلا يقول :((والذي احتجب بسبع طباق ، فــعــلاه بالدره ، ثم قال له : ياويلك ان اللّه اجل من ان يحتجب عن شي ، اويحتجب عنه شي سبحان الذي لا يحويه مكان ، ولايخفى عليه شي في الارض ولا في السما، فقال الرجل : افاكفر عن يميني ياامير المؤمنين ؟ قال : لا لم تحلف باللّه فيلزمك الكفارة ، وانما حلفت بغيره)) ((١٧٦)) .
٣ ــ وورد في حديث آخر عن الامام الصادق (ع) : ((ان سليمان بن مهران ساله هل يجوز ان نقول : ان اللّه عز وجل في مكان ؟ فقال : سبحان اللّه وتعالى عن ذلك انه لو كان في مكان لكان محدثا ، لان الكائن في مكان محتاج الى المكان والاحتياج من صفات المحدث لا من صفات القديم)) ((١٧٧)) .
٤ ــ ســئل امير المؤمنين (ع) : ((اين كان ربنا قبل ان يخلق سما وارضا ؟ فقال (ع) : (اين)سؤال عن مكان ، وكان اللّه ولا مكان)) ((١٧٨)) .
٥ ــ وجا في حديث عن الامام موسى بن جعفر(ع) انه قال : ((ان اللّه تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمــان ولا مكان وهو الان كما كان ، لايخلو منه مكان ولايشغل به مكان ،ولا يحل في مكان ، مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا وهو سادسهم ولا ادنى من ذلك و لا اكثر الا هو معهم ايــنــما كانوا ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه ،احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور لا اله الا هو الكبير المتعال)) ((١٧٩)) .
تــدل هذه الاحاديث بمنتهى الوضوح على ان كل من سال الائمة المعصومين (ع) عن مكان اللّه ، سمع ردا مــنــفــيــا وتعابير متناغمة ، غنية صريحة ،وواضحة تجلي كل ابهام في هذا المجال عن قلوب المشتاقين .

٦ ــ ورد فــي (الارشــاد) و (الاحــتجاج) : ((ان اثنين من احبار اليهود دخلا المدينة وسالاعن الــخــلــيفة ، فارشدا الى ابي بكر ، فلما نظرا اليه قالا : ليس هذا صاحبنا ، ثم قالا له :ماقرابتك من رسول اللّه (ص) قال : اني رجل من عشيرته ، وهو زوج ابنتي عائشة ، قالا :هل غير هذا ؟ قال : لا ، قــالا : ليست هذه بقرابة ، قالا : فاخبرنا اين ربك ؟ قال فوق سبع سموات ، قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا ، قالا : دلنا على من هو اعلم منك ؟ فانك انت لست بالرجل الدي نجد صفته في التوراة انه وصي هذا النبي وخليفته مــن عــمــر انهما ان استقبلاه بشي بطش بهما ، فلما اتياه قالا : ماقرابتك من هذا النبي ؟ قال : انا من عــشــيــرتــه ، وهــو زوج ابنتي حفصة ، قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا ، قالا : ليست هذه بقرابة ، وليست هذه الصفة التي نجدها في التوراة غير هذا ؟ قال :لا ، قالا : دلنا على من هو اعلم منك ؟ فارشدهما الى علي (ع) ، فلما جاه فنظرا الــيــه قــال احــدهــمــا لــصــاحــبــه : انــه الرجل الذي نجد صفته في التوراة : انه وصي هذا النبي وخــلــيــفــتــه وزوج ابــنــتــه وابو السبطين والقائم بالحق من بعده ، ثم قالا لعلي (ع) : ايها الرجل مــاقــرابــتــك مــن رســول اللّه ؟ قــال : هو اخي ، وانا وارثه ووصيه واول من آمن ، به وانا زوج ابنته فاطمة ، قالا له : هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة ، وهذه الصفة التي نجدها في التوارة ثم قــالا لــه : فــايــن ربك عز وجل ؟ قال لهما علي (ع) : ان شئتما انباتكما بالذي كان على عهد نبيكما مــوســى (ع) وان شئتما انبئتكما بالذي كان على عهد نبينا محمد(ص) ،قالا : انبئنا بالذي كان على عــهــد نــبينا موسى (ع) ؟ قال علي (ع) : اقبل اربعة املاك : ملك من المشرق ، وملك من المغرب ، ومــلــك مــن السما ، وملك من الارض ، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب : من اين اقبلت ؟ قال : اقبلت من عند ربي ، وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق : من اين اقبلت ؟ قال : اقبلت من عند ربي ، وقــال النازل من السما للخارج من الارض : من اين اقبلت ؟ قال : اقبلت من عند ربي ، وقال الخارج مــن الارض لــلنازل من السما : من اين اقبلت ؟ قال : اقبلت من عند ربي ، فهذا ماكان على عهد نبيكما موسى (ع)قال اليهوديان : مامنع صاحبيك ان يكونا جعلاك في موضعك الذي انت اهله ؟ التوراة على موسى انك لانت الخليفة حقا نجد صفتك في كتبنا ونقرؤه في كنائسنا ، وانك لاحق لهذا الامــر واولــى بــه ممن قد غلبك عليه ، فقال علي (ع) : قدما واخرا وحسابهما على اللّه عز وجل يوقفان ويسالان)) ((١٨٠)) .

٧ ــ نختتم هذا البحث بجمل واضحة من نهج البلاغة عن امير المؤمنين الامام علي (ع) :.

قال (ع) في الخطبة ١٧٨ من نهج البلاغة : ((لايغيره زمان ، ولا يحويه مكان ،ولا يصفه لسان)).

وقال (ع) في الخطبة ١٨٦ من نهج البلاغه : ((وان اللّه سبحانه يعود بعد فناالدنيا وحده ، لا شي معه ، كما كان قبل ابتداها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان)).

وفـــي الـــخطبة ٤٩ من نهج البلاغة قال (ع) : ((سبق في العلو فلا شي اعلى منه ،وقرب في الدنو فلا شي اقرب منه ، فلا استعلاؤه باعده عن شي من خلقه ، ولا قربه ساواهم في المكان به)).

هذا هو ما وصلنا من المنطق الصحيح والمعارف الحقة لاهل البيت (ع)حول اللّه سبحانه وتعالى .

٦ ــ.

تبريرات المخالفين :. اثـــبـــت تـــاريـــخ العقائد الاسلامية بان المنحرفين عن اصول الدين المعروفة كانوا يستعينون بالايات الـــمـــتـــشابهة لاثبات مقاصدهم دون ان يلتفتوا الى القانون الذي طرحه القرآن في هذا المجال ، وهو تفسير المتشابهات في ظل المحكمات .

وقد لجا القائلون بوجود مكان للّه تعالى ، والقائلون بوجود جسم له ايضاالى بعض الايات المتشابهات واعتبروها كافية لاثبات ادعائهم بصورة منفصلة عن بقية الايات القرآنية ، اليكم اهمها :.

١ ــ (الرحمن على العرش استوى) (طه / ٥).

تـــصـــور هـــؤلا بـــان (الـــعـــرش) سرير في اعلى السموات ، يجلس اللّه عليه ،ويصدر اوامره الى الملائكة فـــهـــم يـــتـــغافلون عن ان هذا تعبير كنائي يستعمل في الكثير من العبارات المتداولة ،وهو كناية عن السلطة والقدرة .

ويجدر التوضيح بان الملوك القدما كانوا يمتلكون نوعين من العرش :الاول مرتفع يطلق عليه العرب اسم (العرش) ، يجلس عليه الملك في الايام الخاصة ذات الطابع الرسمي .

والـــثاني منخفض ،ياتي اليه الملك كل يوم ويجلس عليه في الحالات الطبيعية ليمارس عمله ويصدر احكامه واوامره ويدبر امور البلاد ويطلق عليه العرب (الكرسي).

واستعملت كلمتا (العرش) و(الكرسي) رويدا رويدا كرمزين وكنايتين عن السلطة ، وهذا المفهوم واضح في التعابير التالية :.

يـــقال : نحوا الشخص الفلاني عن عرشه اي سلبت سلطته او فلان فل عرشه ، اي انتهت حكومته ، او ان الحادثة الفلانية هزت اركان عرش فلان اي زلزلت سلطته ، ومن قبيل هذه التعابير.

وعليه فعرش اللّه معناه العالم العلوي ، وكرسيه معناه العالم السفلي ، او ان العرش اشارة الى عالم ما ورا الـــطبيعة والمجردات ، والكرسي اشارة الى عالم المادة ، والشاهد على هذا الكلام آية :(وسع كرسيه السموات والارض) ((١٨١)) .

فـــعـــنـــدما يكون كرسي اللّه قد وسع جميع السموات والارض فانه يعني ان عرشه ماورا السموات والارض ، اي ماورا عالم الطبيعة ((١٨٢)) .

بـــنـــا عـــلى ذلك فحينما يقال : الرحمن على العرش استوى ، فالمقصودمنه ان حاكميته ،

ومالكيته ، وسلطته شملت العالم العلوي بوسعه ، والعالم السفلي بتمامه .
وهــذا الامــر واضح جدا ، ويمكن للايات القرآنية التي تنفي وجود مكان للّه (واوردناها في بداية الكلام)، ان تكون خير دليل على تفسير هذا الامر.
ورد فــي تــفــسير الميزان ان الاية التي تلت هذه الاية (طه ــ ٦) تقول : (له مافي السموات ومافي الارض ومابينهما وماتحت الثرى) وهي قرينة واضحة لتفسيرها ((١٨٣)) .
ورد الــفــخر الرازي في تفسيره على استدلال المشبهة ، بهذه الاية على جلوس اللّه على عرشه ، بعشر ادلة عقلية ونقلية ، من جملتها: ان اللّه كان موجودا قبل خلق العرش او اي مكان آخر ، فهو لم يكن محتاجا الى المكان منذالازل ، فكيف يمكن ان يحتاج الى مكان بعد خلق العرش ؟ والاخر هو : لو ان اللّه تعالى جالس على عرشه وفقا لتصور هذه الجماعة لاستلزم ان يكون جز من وجــوده الــكائن على يمين العرش غير الجز الموجودعلى يساره يحتاج الى الاجزا بدوره (وهذامحال).
والاخر هو قول القرآن عن ابراهيم (ع) : (لا احب الافلين)(الانعام / ٧٦).
يشير الى حضوره تعالى في كل مكان ، فلو كان جالسا على عرشه للزم ان يكون غائبا ومختفيا دائما ، وهذا عين الافول ومن جهة اخرى يشير القرآن الكريم في الاية ١٧ من سورة الحاقة الى حملة العرش من الملائكة ، وبــنــا عــلــى مــعتقد جماعة (المشبهة) يستلزم ان يكون اللّه بحاجة الى ملائكة العرش ليحفظوه في حين ان اللّه على كل شي حفيظ.
عــلاوة على كون جميع آيات التوحيد ونفي التشبيه من المحكمات ،ونحن نعلم بان مايلزم التوحيد ونــفي الكفؤ عنه تعالى هو نفي الجزئية عنه بكل الوانها، وهذا لايتناسب مع استقراره في مكان معين (ودلائل اخرى) ((١٨٤)) .
ومــن جملة الايات التي استعان بها هؤلا الجماعة ، هي الاية (٢٢) من سورة الفجر ، فبعد ان شرح سبحانه حوادث نهاية الدنيا وقيام القيامة قال :(وجا ربك والملك صفا صفا).
طــبــعا ، كما قال اكثر المفسرين : ان المقصود من الاية هو مجي الامر الالهي لمحاسبة الناس ، او حــلــول آيــات عظمته ، لان هذه الايات والدلائل عظيمة لدرجة بحيث وكان مجيئها يعبر عن مجي الذات الالهية المقدسة وتجلو كل انواع الريب والشك من القلوب ((١٨٥)) .
من هنا فقد ورد بصريح العبارة في الايات التي قراناها سابقا بان اللّه موجود في كل مكان ، ولا يخلو مكان من ذاته المقدسة ، ولا يسعه مكان في نفس الوقت ، (وهو معكم اينما كنتم).
مع هذا فكيف يمكن ان ينتقل من محل لاخر ، كما استنتج (جماعة المشبهة) من ظاهر كلمة (جا) ، (فالذي معكم اينما كنتم) ((١٨٦)) و (اقرب اليكم من حبل الوريد) ((١٨٧)) و (اينما تولوا فثم وجــه اللّه) ((١٨٨)) و (هو الذي في السما اله وفي الارض اله) ((١٨٩)) ، كيف يتصور انتقاله من مكان لاخر ؟.

عــلاوة عــلــى ان التغيير ، والزوال ، والغروب ، والافول ، والحاجة الى المكان ، تعتبر من لوازم الانتقال .

والــشــاهــد على هذا التفسير، هو الاية ٣٣ من سورة النحل حيث تقول :(هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك) (اي الموت او العذاب الالهي).

ولــكــن تــلاحظ تعابير من هذا القبيل في بعض الايات القرآنية ايضا مثل :(اليه يصعد الكلم الطيب) (فاطر/ ١٠) و :(تعرج الملائكة والروح اليه) (المعارج / ٤)و : (لن ينال اللّه لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) (الحج / ٣٧).

ومــن الــمــسلم به ان جميع هذه التعابير تشير الى الصعود المعنوي ،والعروج الروحي ، والقرب الــبــاطني ، بقرائن نفس الايات ، لان العمل ليس بالشي الذي يصعد الى السموات الظاهرية ، وكذلك التقوى ليس لها عروج جسماني (تامل جيدا).

لــكــن الــذين لاينتبهون الى هذه الحقائق ويتقيدون بالالفاظ فقط يسلكون طريق الخرافات ظنا بانهم يرون الحقيقة .

وقــد وردت تــعــابــير في بعض الايات ايضا تبين في الواقع عقيدة الكافرين ،لكن الجهلا اتخذوها مــبررا للقول بوجود جسم ومكان للّه تعالى من دون الانتباه الى ذلك ، فمثلا نقرا في الاية ٢١٠ من ســورة الــبــقــرة : (هل ينظرون الا ياتيهم اللّه في ظلل من الغمام والملائكة) (ماسخفه من معتقد وتصور ساذج).

وعــليه فان الاستفهام الموجود في الاية هو بالحقيقة استفهام استنكاري ،اي عدم امكانية تحقق مثل هذا الشي ((١٩٠)) .

وخــلاصــة الكلام هو ان وضوح تفسير مثل هذه الايات موقوف على قليل من الدقة ، والرجوع الى الايــات الــمحكمات بالنسبة الى نفي الجسم ، والمكان ،والزمان للّه سبحانه وتعالى ، فلا يبقى محل للاشتباه والشك والريب .

###.

٧ ــ.

المتصوفة ومسالة الحلول :. قــال الــعــلامــة الحلي في كتاب (نهج الحق) : ((ان اتحاد اللّه مع غيره بحيث يصيران شيئا واحدا باطل ، بل وبطلانه يعد من البديهيات)) ، ثم اضاف قائلا :رفض جماعة من متصوفة اهل السنة هذه الــحقيقة وقالوا: (ان اللّه يتحد مع بدن العرفا ويصيرا شيئا واحدا الــمــوجــودات وكــل مــوجــود هــو اللّه (اشارة الى مسالة وحدة الوجود المصداقية) ثم قال : هذا عين الكفر والالحاد ، والحمد للّه الذي ابعدنا عن اصحاب هذه العقائد الباطلة ببركة الالتزام بمذهب ائمة اهل البيت (ع).

وقال في بحث الحلول : من المسائل المسلم بها ان اي موجود يريد ان يحل في آخر يحتاج الى مكان ، ولان اللّه واجب الوجود ولا يحتاج الى شي ،اذا فحلوله في الاشيا محال .

ثــم اضــاف قــائلا : ((رفض متصوفة اهل السنة هذه المسالة واعتقدوابامكانية حلول اللّه في بدن الــعــرفــا)) ، ثــم ذم هــذه الجماعة بشدة وقال : ولقدشاهدت جماعة من الصوفية في حضرة الامام الــحسين (ع) وقد صلوا صلاة المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالسا لم يصل ، ثم صلوا بعد ساعة صلاة العشا سوى ذلك الشخص الذي ظل جالسا فــسالت بعضهم عن ترك صلاة ذلك الشخص فقال : ماحاجة هذا الى الصلاة وقد وصل ان يجعل بينه وبين اللّه تعالى حاجبا ؟ فقلت : لافقال الصلاة حاجب بين العبد وربه ((١٩١)) .

وقــد ورد نفس هذا المفهوم في مقدمة الدفتر الخامس لكتاب المثنوي بنحو آخر، يقول : (يصح ذلك اذا بــلــغــت الــمقصود ، لذا فقد قالوا: ((لوظهرت الحقائق بطلت الشرائع)) الــكــيميا (العلم الذي يمكن بواسطته استخلاص الذهب من النحاس) فقال : ماحاجة الذهب الاصيل ، اوالــذهــب الــمستخلص الى علم الكيميا ((١٩٢)) .

وقــد نــقــل عــن (صــاحــب الــمــواقف) في كتاب (دلائل الصدق) في شرح (نهج الحق) قوله بان نــفــي (الــحــلول) و(الاتحاد) ثلاث طوائف ، واعتبر بعض المتصوفة من الجماعة الثانية وقال : ان كــلامــهم متذبذب بين الحلول والاتحاد(يقصد بالحلول نفوذ اللّه في الاشيا ويقصد بالاتحاد الوحدة بينه وبين الاشيا).

ثــم اضاف قائلا : رايت بعض (المتصوفة الوجوديين) ينكرون الحلول والاتحاد ، ويقولون : توحي هــاتــان الكلمتان بمغايرة اللّه للمخلوقين ، ونحن لانؤمن بذلك غيره ديار) وهنا يقول صاحب المواقف : ان هذا العذر اقبح من الذنب ((١٩٣)) .

وبــالطبع فان للمتصوفة الكثير من قبيل هذا الكلام الذي لا يتناسب مع الموازين ومنطق العقل ، ولا مع منطق الشرع .

وعلى اي حال فان الاتحاد الحقيقي بين شيئين محال ، كما ورد في كلام المرحوم العلامة ، لان هذا الكلام عين التضاد، فكيف يمكن لشيئين ان يصيراشيئا واحدا ، اضافة الى ذلك فلو اعتقد احد باتحاد اللّه مع جميع المخلوقات اوخواص العرفا والواصلين ، لاستلزم ان يتصف بصفات الممكنات كالزمان ،والمكان ، والتغير ، وما شاكل ذلك .

واما بخصوص (الحلول) ، اي نفوذ اللّه في الاشيا ، فيستلزم خضوعه للمكان ، وهذا شي لا يتناسب ابدا مع وجوب وجود اللّه سبحانه وتعالى ((١٩٤)) .

والــخــلاصــة ان الــصــوفيين يعتقدون بعدم امكانية اثبات مثل هذه الادعاات بالادلة العقلية ، وغالبا مــايــفــصــلــون طــريــقهم عن طريق العقل ،ويستعينون بسلسلة من المسائل الذوقية الخيالية التي يــســمــونــهــا(طــريــق القلب) ،ومن المسلم به لايمكن التوقع ممن يرفض منطق العقل سوى هذا الكلام المتناقض .

ولذلك فقد ابتعد عنهم كبار العلما وطردوهم دائما وفي جميع العصور.

فالقرآن الكريم يستند في الكثير من آياته على العقل والبرهان ويعدهماطريقا لمعرفة اللّه .

وبـــهذا الكلام ، وبالبحوث التي اوردناها بصدد (نفي الشريك والشبه) ،و(نفي الصفات الزائدة عن الـــذات الالـــهـــية المقدسة) ، نصل الى نهاية بحث (صفات جلال اللّه) بصورة كلية واساسية ، وقد اتضحت لنا جزئياته في ظل الاصول التي ذكرت ، بصورة جيدة .

ولنبحث الان صفات الفعل الالهي بعونه تعالى .

صفات الفعل . تمهيد:.

يـــعـــد تقسيم صفات اللّه الى صفات الذات وصفات الفعل من اشهرتقسيمات بحث الصفات ، وقد ذكرنا ذلك سابقا.

فـــ (صفات الذات) وهي الصفات التي هي نفس الذات الالهية المقدسة كانت ثابتة للّه حتى قبل صدور الافعال منه تعالى ، كازليته وابديته وعلمه وسلطانه .

اما (صفات الفعل) فهي الصفات التي تطلق عليه بملاحظة صدور فعل معين من ذاته المقدسة كالخالق والرازق ، فمن المسلم ان هذه الصفة لم تكن لتطلق عليه قبل ان يخلق مخلوقا ويرزقه ، وبالطبع فقد كانت له القدرة على الخلق والرزق ، الا ان صفة الخالق والرازق لم تكن تصدق عليه .

وعـــلـــيـــه فـــصفات الفعل حادثة ، وهي ليست نفس ذات اللّه طبعا، وبالحقيقة هي مفاهيم موجودة في اذهاننا.

فما هو موجود في الخارج هو الذات الالهية المقدسة والافعال الالهية ،وعندما نلاحظ صدور هذه الافعال من الذات المقدسة ننتزع هذه الصفات في اذهاننا ــ بتعبير علمائنا الكبار ــ ونقول هو الخالق والرازق والمحيي والمميت (وسنوضح ذلك فيما بعد).

ولان افـــعـــال اللّه غـــير محدودة ، فان صفاته الفعلية غير محدودة كذلك امااهم الصفات الفعلية التي وصـــف القرآن الكريم الذات الالهية المقدسة بها والتي لها آثار تربوية عميقة جدا على حياة البشر علاوة على اكمال معرفتهم باللّه ، وكل منها تهدي الانسان وتعينه على سلوك مراحل تكامل الصفات الانسانية ، هي مايلي : ١ ــ الخالق ، ٢ ــ الخلاق ، ٣ ــ احسن الخالقين ، ٤ ــ الفاطر ، ٥ ــ الباري ،٦ ــ الفالق ، ٧ ــ البديع ، ٨ ــ المصور ، ٩ ــ المالك ، ١٠ ــ الملك ، ١١ ــ الحاكم ،١٢ ــ الحكيم ، ١٣ ــ الـــرب ، ١٤ ــ الـــولي ، ١٥ ــ الوالي ، ١٦ ــ المولى ، ١٧ ــ الحافظ ،١٨ ــ الحفيظ ، ١٩ ــ الرقيب ، ٢٠ ــ المهيمن ، ٢١ ــ الرازق ، ٢٢ ــ الرزاق ، ٢٣ ــ الكريم ،٢٤ ــ الحميد ، ٢٥ ــ الفتاح ، ٢٦ ــ الرحمن ، ٢٧ ــ الرحيم ، ٢٨ ــ ارحم الراحمين ،٢٩ ــ الودود ، ٣٠ ــ الرؤوف ، ٣١ ــ اللطيف ، ٣٢ ــ الـــحـــفـــي ، ٣٣ ــ الغافر ، ٣٤ ــ الغفور ،٣٥ ــ الغفار ، ٣٦ ــ العفو ، ٣٧ ــ التواب ، ٣٨ ــ الـــجـــبـــار ، ٣٩ ــ الـــشـــكور ، ٤٠ ــ الشاكر ،٤١ ــ الشفيع ، ٤٢ ــ الوكيل ، ٤٣ ــ الكافي ، ٤٤ ــ الحسيب ، ٤٥ ــ سريع الحساب ،٤٦ ــ اسرع الحاسبين ، ٤٧ ــ سريع العقاب ، ٤٨ ــ شديد العقاب ، ٤٩ ــ الـــنـــصير ، ٥٠ ــ نعم

النصير ، ٥١ ــ خير الناصرين ، ٥٢ ــ القاهر ، ٥٣ ــ القهار ، ٥٤ ــ الغالب ، ٥٥ ــ السلام ،٥٦ ــ المؤمن ، ٥٧ ــ المحي ، ٥٨ ــ الشهيد ، ٥٩ ــ الهادي ، ٦٠ ــ الخير.

ويــجــدر الانتباه ايضا الى هذه المسالة وهي : ان الصفات الستين المذكورة اعلاه والتي وردت في الايــات الــقرآنية المختلفة ذات مفاهيم قريبة من بعضها،لذا سنبحث كل مجموعة متقاربة في فصل خاص .

وهــنــالــك بعض الصفات ايضا ذات مفهومين متفاوتين ، تبعا لارجاعها الى (صفات الذات) و (صفات الفعل) كما سنتطرق الى ذلك في قسم التوضيحات ان شا اللّه (تامل جيدا).

١ ــ الخالق ٢ ــ الخلاق ٣ ــ احسن الخالقين . وردت هذه الصفات في آيات قرآنية عديدة وفي حالات مختلفة :.

١ ــ (قل اللّه خالق كل شي) (الرعد / ١٦).

ان الاية اعلاه تشير الى خلق جميع موجودات عالم الوجود.

٢ ــ (اني خالق بشرا من طين) (ص / ٧١).

تشير هذه الاية الى خلق الانسان ــ الذي يعتبر افضل مافي عالم الوجود ــمن موجود حقير كالطين .

٣ ــ (هو اللّه الخالق الباري) (الحشر / ٢٤).

استعملت صفة الخالقية هنا بصورتها المطلقة ، ولم يذكر اي اسم من المخلوقات .

٤ ــ (ان ربك هو الخلا ق العليم) (الحجر / ٨٦).

اشارت الاية الى الخلق الالهي الواسع والمتنوع .

٥ ــ (ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك اللّه احسن الخالقين) (المؤمنون / ١٤).

وهنا اشارة الى اهم وارفع مخلوقات اللّه ، اي الانسان ، وذلك في مرحلة نفخ الروح ، لذا فقد وصف الباري هنا بصفة احسن الخالقين .

توضيح وبلاغ :.

ان كــلــمــة (الــخــالق) مشتقة من مادة (خلق) وهي في الاصل بمعنى (القياس المباشر) و(الايجاد والابداع لاول مرة) ((١٩٥)) .

وارجــعــهــا بــعض ارباب اللغة الى اصلين : الاول هو المعنى الذي ذكرناه اعلاه ، والثاني هو بمعنى الاستوا والتسطح ((١٩٦)) .

قال في مقاييس اللغة : واما الاصل الثاني فصخره خلقا اي ملسا ويقال :اخلولق السحاب اي استوى .

ولكن لا يستبعد صدور المعنيين من اصل واحد ، وهو القياس والتنظيم والابداع .

وعــلــى اي حال فالفرق شاسع مابين تعبير الخالقية الذي قد يستعمل احيانا بالنسبة الى العباد ، وبين تــعــبــير الخالقية الذي يستعمل بالنسبة الى اللّه تعالى ، والمشمول ايضا بتعبير

احسن الخالقين ، بل يــصــدق تــعــبــيــر (الــخلق)بمعناه الحقيقي بالنسبة الى اللّه فقط الذي يوجد الموجودات من العدم دون وجــود اي اثر مسبق ، في حين لو ابتدع الانسان اثرا صناعيا او فنيا او معماريافانما هو نتيجة تــركيب ومزج مواد مختلفة ماخوذة من عالم الطبيعة ، فيصنعهاباشكال كان قد رآها من قبل في عالم الوجود (او يركب اشكالا مختلفة سوية) وعليه ، فلا المادة من ابداعه ولا شكلها.

ويــجــب الالــتفات الى كون صفة (الخالق) او(الخلاق) من اوسع صفات الفعل الالهي ، والتي تشمل جميع عالم الوجود باكمله ، ومظهره السماوالارض وعالم المادة وماورا المادة . وخــلــق اللّه يعد من اعظم الايات الدالة على وجوده ، لاننا اينما نحطرحالنا نشاهد نماذج من خلقه ومخلوقاته التي تدل على وجوده .

ولــذلك فكل واحدة من الصفات الالهية تحمل في معناها بلاغا للناس ،وهذا احد الاهداف المهمة من طرحها في القرآن الكريم الذي هو كتاب معرفة وتربية ، اذ تقول هذه الصفة ايضا للانسان : ان آثار وجــودك دليل على وجودك ،كان تخترع او تصنع شيئا من الاثار العلمية والاجتماعية وما شاكلها فان لم تترك اثرا من عندك فانك لا تمتلك اي شبه مع تلك الذات الالهية الفريدة ، ولم تتخلق باخلاقه ، ولم تتوفق لسلوك طريق القرب منه تعالى .

حاول انت ايضا ان تصنع آثارا وتستنير بهذه الصفة الالهية البارزة .

٤ ــ الفاطر ٥ ــ الباري ٦ ــ الخالق ٧ ــ البديع ٨ ــ المصور. ان الــصفات الخمس المذكورة اعلاه هي بالحقيقة مشابهة لصفة (الخالق) ،لكنها ممزوجة مع مفاهيم ومعاني ومسائل جديدة لنصغي خاشعين الى الايات التالية :.

١ ــ (فاطر السموات والارض) (يوسف / ١٠١) ((١٩٧)) .

٢ ــ (هو اللّه الخالق الباري المصور) (الحشر / ٢٤) ((١٩٨)) .

٣ ــ (ان اللّه فالق الحب والنوى) (الانعام / ٩٥).

٤ ــ (فالق الاصباح) (الانعام / ٩٦).

٥ ــ (بديع السموات والارض) (الانعام / ١٠١) ((١٩٩)) .

توضيح وبلاغ :.

ان كلمة (فاطر) مشتقة من مادة (فطر) (على وزن ستر) ، تعني الانفطار او(الانفطار الطولي) ، كما ورد في الاية الاولى من سورة الانفطار ايضا (اذا السمانفطرت).

وقد وردت هذه الكلمة ايضا بمعنى حلب الشاة ، وافطار الصوم ، وابتداع وايجاد شي لاول مرة وقد يراد بها انفطار حجاب ظلمات العدم ودخول الموجود الى عالم الوجود.

وجــات كــلمة (الباري) من مادة (بر) ــ على وزن قفل ــ وهي في الاصل بمعنى الشفا من مرض او التخلص من الامور غير المرضية ، واطلقت فيما بعدعلى الخالق الذي يوجد الاشيا دون نقيصة او خــلــل وبــصــورة مــوزونــة تماما ويعتبرها البعض بانها مشتقة من مادة

(بري) اي بري الخشب ، ومـــن الواضح ان المقصود من بري الخشب هو صقله وتعديله وموازنة اضلاعه ، وهذامايصدق تماما بالنسبة الى الخالق الحكيم لانه يخلق كل شي بصورة موزونة .

وصرح البعض الاخر ايضا بان (الباري) معناها من يوجد الاشيا دون ان يكون لها نمودج سابق .

و (الـــفـــالق) من مادة (فلق) ــ على وزن خلق ــ ومعناه : فلق الشي وفصل جزعن آخر ، ويستعمل هذا التعبير في فلق النباتات (انباتها) اذ ينفلق قشر بذورهاونواها بامر الباري تعالى على الرغم من استحكامها وسمكها ، وتخرج براعم لطيفة وظريفة جدا من ذلك الخفا وبـــالـــحـــقـــيـــقة ان انفلاق بذور النباتات اثنا تفتحها يعد من ادق واجمل لحظات وجود النبات وتشبه بالضبط لحظة خروج الانسان من بطن امه ، وهذه اللحظة الحساسة تعد من عجائب قدرة اللّه ، انها لـــحـــظة التحول والتغير الشكلي والانتقال من عالم الى عالم آخر ماهذه القوة التي تمنح هذا البرعم الظريف جدا القوة على اختراق جدار النواة المحكم ليستيقظ مرفوع الراس من ذلك المهد ، ويخرج من ظلمات رحم امه الى عالم الظهور ؟ وكـــلمة (بديع) من مادة (بدع) ــ على وزن منع ــ وكما اشرنا سابقا فهي بالاصل بمعنى ايجاد الشي دون وجود نموذج سابق ، لذا يطلق على البئرالمحفور حديثا (بديع) ، وعلى الاعمال والسنن التي لا سابقة لها (بدعة).

وعـــنـــدمـــا تـــســـتعمل هذه الكلمة بالنسبة الى الباري فانها تعني ايجاد الشي دون الحاجة الى الالات والمكان والزمان ، وهي تصدق فقط بحقه سبحانه .

وكلمة (بديع) صفة مشبهة تدل على ثبوت واستمرار هذه الصفة لتلك الذات المقدسة ((٢٠٠)) .

وجـــات كـــلمة (مصور) من مادة (صورة) ، بمعنى رسم وشكل الشي ،وجمعها (صور) وهي على نـــوعـــيـــن : (الـــصـــورة المحسوسة) كصورة الانسان والحيوانات والموجودات المادية الاخرى ، و(الصورة المعقولة) وهي التصورات العقلية والفكرية والمفاهيم الخاصة بكل شي .

وتـــســـتعمل كلمة (المصور) بخصوص الباري سبحانه وتعالى عندما يرادالاشارة الى الصور التي وهبها للموجودات المختلفة .

الا ان بـــعـــض اربـــاب الـــلـــغـــة يـــعـــتـــقـــد بـــان هـــذه الـــكلمة تعني في لغة العرب التغييروالتحوير ،(والصورة)بمعنى (الشكل والهيئة) ، ماخوذة من الاصل العبري (صوراه).

توضيح وبلاغ :.

يـــســـتنتج جيدا من مجموع ماذكر اعلاه ان صفات (الفاطر)، (الباري) ،(البديع) تشير جميعا الى خـــلـــق الـــشي بلا اي سابقة الا ان هذا المعنى اكثروضوحا وبيانا في بعض الكلمات ،

واقل بيانا في بـــعـــضها الاخر ، وعلى اي حال فهو يدل على اهمية هذه النقطة وهي خلق اللّه بالقياس مع مايقوم به بعض بني البشر، والتي قد يطلق عليها مصطلح (الخلق) مجازا ، علاوة على سعتها الخارقة ،وعدم محدوديتها من حيث كون المادة والشكل في جميع مخلوقات اللّه غيرمسبوقة بحدث مسبق .

لذلك لا يمكن قياسها اطلاقا مع تغيير الاشكال التي يمارسها الانسان في مواد هذا العالم والمسبوقة بعمل مسبق .

بل ان كلمة (الخلق) بمفهومها الحقيقي لاتصدق ابدا بالنسبة لاعمال البشر.

نـــقل المرحوم الكفعمي في المصباح عن الغزالي حول تفسير الاسماالحسنى ، بان البعض اعتقد بان الـــفاظ (الخالق) و(الباري) و(المصور) الفاظمترادفة ، وتعني جميعها (الخلق) و (الابداع) في حـــيـــن انـــهـــا ليست كذلك ، بل الاشيا المخلوقة من العدم ذات ثلاث مراحل : (التقدير) و(الايجاد) و(التصوير) ،ثم ضرب مثلا حول هذا المفهوم فقال :.

يلزم ، لاحداث عمارة مرموقة ، ان يرسم خارطتها مهندس قدير، ثم يشيدها البنا ، وبعد ذلك يزينها الصباغ وارباب النقوش الماهرون .

وعـــلـــى هذا فكلمة (الخالق) تشير الى المعنى الاول ، في حين ان (الباري)تشير الى المعنى الثاني و(المصور) الى المعنى الثالث ((٢٠١)) .

وعـــلى اي حال فالبلاغ الذي تحمله هذه الصفات الالهية في طياتها يشبه مابيناه في الصفات السابقة ، اضافة الى الخصوصيات الموجودة فى صفات بحثنا هذه .

٩ ــ المالك ١٠ ــ الملك ١١ ــ الحاكم ١٢ ــ الحكيم ١٣ ــ الرب . ان لـــهذه الصفات الالهية الفعلية الاربعة مفهوما واسعا جدا يشمل جميع الموجودات في العالم ، وتاتي بـــعـــد الخلق والايجاد من حيث التسلسل المنطقي ، لذا فقد صممنا ان نبحثها بعد ان بحثنا خلق اللّه ، بعد ان نصغي خاشعين الى الايات التالية .

١ ــ (قل اللهم مالك الملك) (آل عمران / ٢٦) (مالك يوم الدين) (الحمد / ٤) ((٢٠٢)) .

٢ ــ (فتعالى اللّه الملك الحق) (طه / ١١٤) ((٢٠٣)) .

٣ ــ (وهو خير الحاكمين) (الاعراف / ٨٧) ((٢٠٤)) .

٤ ــ (قل اغير اللّه ابغي ربا وهو رب كل شي) (الانعام / ١٦٤) ((٢٠٥)) .

٥ ــ (فاعلموا ان اللّه عزيز حكيم) (البقرة ــ ٢٠٩) ((٢٠٦)) .

توضيح وبلاغ :.

ان كـــلـــمة (ملك) و(مالك) و(مليك) جميعها مشتقة من مادة (ملك) ، وكما قال صاحب مقاييس اللغة : فهي تدل بالاصل على القوة والسلطة ، اطلقت هذه الصفات على الاثريا والحكام والسلاطين لتمتعهم بالقوة والسلطة .

يـــقـــول الراغب في مفرداته : تطلق كلمة (ملك) على الذي يتصرف في عامة الناس عن

طريق الامر والنهي .
وتطلق كلمة (ملك) عادة في الملكية السياسية ، و(مالك) في المسائل المالية ، وقال البعض : بان (الملك) اشمل من (المالك) لان مالك الشي حاكم وملك عليه ، ولكن ليس كل مالك يكون ملكا ((٢٠٧)) .
وقال البعض ايضا : ان (المالك) مخير ليعمل مايشا في ملكه : في حين ان (الملك) لا يمتلك مطلق الخيار في تصرفاته .
علاوة على عدم استطاعة المملوك التمرد على مالكية مالكه ، في حين ان الرعية يستطيعون الخروج على حكومة حاكمهم (ملكهم) ((٢٠٨)) .
بالطبع فعندما تستعمل هاتان الكلمتان كصفتين للّه فانما يراد منهماالاشارة الى المصداق الاتم والاكمل ، وبكلمة واحدة الاشارة الى مصداقهماالوحيد وهو اللّه تعالى لذلك فحينما يصل المرحوم (الكفعمي) ــ في كتاب (المصباح) ــ الى كلمة (ملك) يقول : هو التام الملك ، الجامع لاصناف المملوكات ، وله مطلق التصرف والامر والنهي فيما يريد من ماموريه ، هو الغني عن جميع الموجودات في ذاته وصفاته ، وتحتاج اليه جميع الموجودات في ذاتها وصفاتها ((٢٠٩)) .
وتجدر الاشارة الى هذه النقطة ايضا ، وهي : ان المالكية والحاكمية وليدة الخلق ، ولان (الخالق) بمعناه الحقيقي في عالم الوجود هو اللّه وحده (فالمالك الاصلي) هو ايضا ، واطلاق كلمة (مالك) و (ملك) على غيره له صبغة كنائية من هذه الناحية .
و (الحاكم) من مادة (حكم) طبقا لما قاله صاحب مقاييس اللغة : وهي في الاصل بمعنى (المنع) ، وقبل كل شي (المنع من الظلم) ، وانما يسمى (الحكيم)بهذا الاسم لامتلاكه قوة رادعة تحجبه عن الخطايا والمعاصي .
والسر في وصف اللّه بهذه الصفة هو منعه ونهيه جميع الموجودات عن الاعمال السيئة سوا في عالم التكوين ام في عالم التشريع .
وتعتبر كلمة (حكيم) من صفات الذات من حيث حكايتها عن علم اللّه ،ومن صفات الفعل من حيث اشارتها الى خلق موجودات الوجود على اساس تنظيم وترتيب خاص ، وتشريع القوانين وفق مصالح كاملة ومتقنة (تامل جيدا).
وقد ورد في كتاب التحقيق : ان الفرق بين (الحاكم) و(الحكيم) و(الحكم)ينشا من الاختلافات الموجودة بين مشتقات هذه الكلمات ، فالحكيم تعني من هو ثابت الحكم والحاكم هو من يصدر منه الحكم ، والحكم ذو معنى مشابه مع ثبات اكثر.
يقول ابن الاثير في النهاية : (الحكم) و (الحكيم) في اسما اللّه تعني (الحاكم) ، ثم ذكر لها عدة معان : منها الذي يوجد الاشيا باحسن وجه ، والذي يعلم بافضل الاشيا على افضل وجه ، والذي يمنع عن الاعمال السيئة ــ وخاصة الظلم ــ.

وكـــمـــا اشـــرنـــا ســـابـــقـــا فان كلمة (رب) ذات مفهوم اصلي واحد ، وسلسلة من اللوازم والاغصان والاوراق (الفروع) ، لهذا فهي لها حالات استعمال كثيرة .

فـــكـــما ورد في المفردات فان مفهومها الاصلي هو (التربية) والسوق نحوالكمال ، ولان هذا العمل رافـــقـــتـــه مـــفـــاهـــيم اخرى ، كالاصلاح ، والتدبير ،والمالكية ، والحكومة ، والسيادة ، والتعليم ، والتغذية ، فانها تطلق ايضا على اي واحد من هذه المفاهيم .

وقـــد ورد فـــي (لسان العرب) ان كلمة (الرب) علاوة على اطلاقها على الذات الالهية المقدسة ، فانها تاتي ايضا بمعنى :المالك ، السيد، المدبر، المربي ،القيم ، والمنعم .

وقـــد ورد في مصباح الكفعمي ايضا ان كلمة (رب) تعني في الاصل التربية والسوق التدريجي نحو الـــكمال ، ثم استعمل هذا المعنى المصدري للمبالغة في المعنى الوصفي وبعد ذلك ذكر لها اربعة آرا حـــول مفهومها الاصلي هي :المالك ، السيد، المدبر ، والمربي ، واستعان بامثلة منها: رب الدار ، (اما احدكمافيسقي ربه خمرا)، و (ربانيون) و(ربائب) ــ اي ابن الزوجة من رجل آخر ــ.

اتـــضـــح مـــن مـــجـــمـــوع مـــاورد اعـــلاه ان هذه الصفات الخمس (الملك)و(المالك)، و(الحاكم) ، و(الـــحكيم) و(الرب) ، التي هي باجمعها صفات فعلية (ماعدا ((الحكيم)) التي يمكن اعتبارها من صـــفـــات الـــفـــعل وصفات الذات ايضاكالعالم) وهي ذات مفاهيم قريبة من بعضها ومتلازمة مع بعضها تقريبا ولاتنفصل (ربوبية اللّه) عن (ملكه) و(حكمه) وقد امتزجت مالكيته وحاكميته مع ربوبيته .

ان للايمان والتفكر بهذه الصفات بلاغات وآثارا تربوية وفيرة للانسان ،لاسيما بعد الانتباه الى ان هـــذه الـــصفات بالمعنى الحقيقي للكلمة تخص الذات الالهية المقدسة ، فايماني بمالكية اللّه يبعث على الشعور باني امين على اموالي وينبغي علي التصرف فيها وفق اوامر مالكها الاصلي .

والايمان بحاكمية اللّه يمنعني من الخضوع لسلطة الظالمين والطواغيت .

والايـــمـــان بـــربوبية اللّه يمنعني عمن سواه ، واعتبر جميع العالم من نفحاته ،واراه منقادا لاوامره تعالى ، وبالتالي فان هذا الايمان يمنعني من السقوط في دوامة عبودية المخلوقات .

١٤ ــ الولي ١٥ ــ الوالي ١٦ ــ المولى ١٧ ــ الحافظ ١٨ ــالحفيظ١٩ ــ الرقيب ٢٠ ــ المهيمن . ان الصفات المذكورة اعلاه ذات مفاهيم مهمة ومتقاربة وجميعها من صفات الفعل ، لذا فقد بحثناها في مـــحل واحد ليتضح ويكتمل تفسيرها في ظل بعضها البعض ، وفي الواقع ان هذه المجموعة هي من الصفات الخالقية والربوبية .

وقـــد اشـــار القرآن الكريم الى جميع هذه الصفات (بعضها مرة والبعض الاخر عدة مرات) لنصغي الان خاشعين الى الايات التالية :.

١ ــ (ام اتخذوا من دونه اوليا فاللّه هو الولي) (الشورى / ٩).

٢ ــ (ومالهم من دونه من وال) (الرعد / ١١).
٣ ــ (بل اللّه مولاكم) (آل عمران / ١٥٠).
٤ ــ (فاللّه خير حافظا وهو ارحم الراحمين) (يوسف / ٦٤).
٥ ــ (ان ربي على كل شي حفيظ) (هود / ٥٧).
٦ ــ (وكان اللّه على كل شي رقيبا) (الاحزاب / ٥٢).
٧ ــ (هو اللّه الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن) (الحشر / ٢٣).

توضيح وبلاغ :.

(الــولي) من (الولا) ، بالاصل بمعنى استقرار شيئين الى جوار بعضهما،وتاتي بمعنى القرب ، سوا من حيث المكان ام القرابة النسبية ، ام من حيث الدين والصداقة والنصرة والاعتقاد.

هــذا مــاصــرح بــه الراغب في مفرداته ، واضاف : (الولاية) بكسر الواو تعني المساعدة والنصرة (والولاية) بفتح الواو تعني تدبير الامور ((٢١٠)) .

وقــد اعتبر صاحب مقاييس اللغة ايضا اصل هذه الكلمة يعود الى مفهوم القرب ، وفسر صاحب كتاب لسان العرب ايضا كلمة (ولي) بمعنى الناصروالمتولى لامور العالم والخلائق .

وعــلــى اي حال ، فلهذه الكلمة معان كثيرة ، لكنها عندما تستعمل بخصوص اللّه تعالى لاريب في انها تعني الولاية وتدبير امور العالم ونصرة العبادومؤازرتهم .

وكــلــمة (مولى) مشتقة ايضا من هذه المادة ، وذكرت لها معان كثيرة تعودجميعها الى الاصل الذي ذكرناه اعلاه (وهو القرب).

وقــد ذكر المرحوم العلامة الاميني (ره) ــ لهذه الكلمة ــ سبعا وعشرين معنى مختلفا مستخلصا من كتب اللغة وموارد استعمالها ((٢١١)) .

وكذلك فقد ذكر ابن الاثير في النهاية ستة عشر معنى لها.

وصــرح فــي احــدى عباراته : بان (مولى) تعني (ولي) ، واستشهد في ذلك بقول عمر لعلي (ع) : (اصبحت مولى كل مؤمن).

واضــاف قــائلا : قــال جــماعة بان سبب هذا الامر هو قول اسامة لعلي (ع) :انت لست بمولاي مــولاي رســول اللّه (ص) ، فــســمــع الــرســول هذا الكلام فقال :((من كنت مولاه فعلي مولاه)) ((٢١٢)) .

ومما ذكرناه اعلاه يتضح ان معنى كلمة (والي) ايضا والتي هي اسم فاعل من هذه المادة . لــهــذا فــاللّه (ولــي) و (مولى) و (والي) في نفس الوقت ، فهو مدبر امورناومخير فيها وحاكمنا وناصرنا ، وهكذا شانه مع بقية موجودات عالم الوجود.

وكــلــمــة (حــافــظ) مشتقة من مادة (حفظ) وهي ذات معنى مشهور وواضح ،وهو الحفظ ، وقال الــراغــب : انــها تعني رعاية ومراقبة شي معين ، لذلك يطلق على حالة كظم الغضب (حفيظة) لانها تستلزم ان يهتم الانسان في مراقبة نفسه .

وقد ورد تعبير جامع حول هذا المجال في كتاب التحقيق :.

وتـــعـــطي كلمة حفظ معاني مختلفة تبعا لاختلاف الموارد والموضوعات على الرغم من كون اصلها واحـــد ، فقد يقال : حفظ المال ، اي من التلف ، و :حفظ الامانة ، اي من الخيانة ،و : حفظ الصلاة ، اي مـــن الـــفـــوت ، و : حـــفظ فلانا،اي رعاه ، و : حفظ يمينه وعهده ، اي من مخالفته ، و : حفظ الامر الفلاني ، اي اودعه في ذهنه (بحيث لاينساه) ((٢١٣)) .

ومن هنا يتضح معنى كلمة (حافظ) ايضا ،وتعتبر كلمة التي هي صفة مشبهة ابلغ معنى واكثر ثباتامن كلمة (حافظ) التى هي اسم فاعل (تامل جيدا).

وعـــلـــى اي حـــال ، فـــعـــنـــدما تختص هذه الصفة باللّه تعالى فانها تعطي معنى واسعا يشمل حفظ اللّه ورعايته لجميع الموجودات المادية والمعنوية ،والسماوات والارض ، وكذلك حفظ اعمال العباد، والشرائع والكتب السماوية ،وحفظ الانبيا والائمة المعصومين من المزالق (الخطايا) ، وحفظ اي عهد عاهدبه عباده .

وعليه فان (حافظية) اللّه و(حفيظيته) تشمل مفاهيم اخرى (كالقيمومة).

ولولا الحفظ الالهي لما بقي في السما والارض موجود على قيد الحياة لحظة واحدة ، كما ورد في الايـــة ٦١ مـــن ســـورة الانـــعام : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون).

يـــتـــضح من هذه الاية ان اللّه قد امر الملائكة بحفظ الناس من الحوادث والبلايا حتى وصول الاجل المعين .

وقد ورد شبيه لهذا المعنى في الاية (١١) من سورة الرعد ، قال تعالى :(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر اللّه).

ونـــظيره ما جا عن امير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة : ((ان مع كل انسان ملكين يحفظانه فاذا جا القدر خليا بينه وبينه)).

وقد ورد في سورة الانفطار ايضا مايخص الملائكة المكلفين بحفظماتفعلون) (الانفطار ، ١٠ / ١٢).

وعـــلـــيه فان حفظ اللّه ، بالمعنى الواسع للكلمة ،يتحقق عن طريق علمه وقدرته سبحانه من جهة ، وعن طريق الملائكة المكلفين بادا هذه المهمة من جهة اخرى .

وكلمة (رقيب) كما ورد في المفردات هي بالاصل مشتقة من مادة (رقبة)اي العنق ، واطلقت فيما بـــعد على المحافظين والمراقبين ، اما لكونهم يحفظون رقبة من يرعونه ويحمونه (لان الرقبة من اهـــم اعـــضا البدن فانها تعد كناية عن كل وجود الانسان) ، واما لانهم يمدون رقابهم وينظرون الى مـــاحـــولـــهـــم بـــحـــذرتـــحـــســـبـــا مـــن الـــمـــخاطر ، لذلك يطلق على المحل الذي يقف فيه مثل هؤلا الافراد(المرقب) ((٢١٤)) .

الا انه ذكر في بعض كتب اللغة عكس هذا المفهوم ، اي ان المفهوم الاصلي لهذه الكلمة هو

الحراسة والاشراف على الشي ، وانما سمي العنق (بالرقبة) لانه يستعان بحركاتها عند الحراسة والمراقبة بواسطة العين والاذن ((٢١٥)) .

وقــد ورد فــي كــتــاب (العين) بان اصل هذه الكلمة يعني (الانتظار) ، وفي كتاب مقاييس اللغة بانه يعني (الاستطالة برعاية شي وحراسته).

وعلى اي حال فعندما تختص هذه الصفة بالباري تعالى فانها تعني الحافظ الذي لا يخفى عليه شي .

ومــن الــطــبــيعي ان رعاية اللّه وحفظه لما في الوجود ، وجميع العباد ،واعمالهم ، تكون بواسطة وجوده في كل مكان ، فلا حاجة له الى نظر او مدرقبة ، ولا ماشاكل ذلك من عوارض الموجودات المادية .

ووردت كـلـمـة (مهيمن) في موضعين من القرآن الكريم ، الاول في الاية ٢٣من سورة الحشر ، كصفة للّه ، والتي ذكرناها اعلاه ، والثاني في الاية ٤٨ من سورة المائدة ، كصفة للقرآن الكريم .

وهـنـاك رايان حول اصل هذه الكلمة ، يتمثل الاول باعتقاد جماعة بانهاماخوذة من مادة (هيمن) اي بـمعنى الرعاية والحفظ ،لكن الكثير من ارباب اللغة يعتقدون بانها مشتقة من مادة (ايمان) التي تبدلت هـمـزتـهـا الى ها، وتعني الواهب للسكينة والامان ، وعندما تختص هذه الكلمة بالباري تعالى فانها تاتي بمعنى الحفيظ.

وفسرها البعض بمعنى الشاهد والناظر او القيوم بامور الخلائق ((٢١٦)) .

وقد ورد في مصباح الكفعمي عن بعض العلما ــ حول تفسير هذه الكلمة ــ : انها تعني الحافظ لاعمال العباد ومقدرات اعمارهم وارزاقهم ((٢١٧)) ولكن كما قلنا : ان لهذه الكلمة معنى اوسع .

مـن مجموع ماذكرناه في تفسير هذه الصفات السبع ، التي لها مفاهيم متقاربة او متلاصقة مع بعضها ، تتجلى امامنا صفحة اخرى من المعارف وصفات الفعل الالهية ، صفحة ذات آثار تربوية ثمينة وقيمة جدا.

انـهـا تدعو الناس الى فعل الخيرات واجتناب اي لون من القبائح والسيئات ، وذلك لانهم يعلمون بان اللّه يراهم حيثما كانوا ، وتطمئنهم ازاالحوادث الصعبة ، لانهم يعلمون بان اللّه هو الحافظ.

لـهـذا فـانـنـا نقول : بان ذكر الصفات الالهية في القرآن الكريم ذو هدفين اساسيين : احدهما رفع مستوى معرفة الانسان بربه ، والاخر تربيته في مختلف الجوانب .

٢١ ــ الرازق ٢٢ ــ الرزاق ٢٣ ــ الكريم ٢٤ ــ الحميد ٢٥ ــ الفتاح . ان لـهـذه الصفات الخمس ــ المذكورة اعلاه ــ مفاهيم متقاربة ومتلازمة مع بعضها ، وتحكي جميعها عـن تـامـيـن ارزاق بـنـي البشر ، بل حتى جميع الكائنات الحية ، وتدل على ان المتولي لامر خلق الـمـوجـودات يـلتزم تامين مايديم حياتهايضا ، وان آثار نعمته الوفيرة وسعت كل شي ، ورحمته اللامتناهية شملت الجميع .

وعلى ضؤ تلك المفاهيم نستمع خاشعين الى الايات التالية باسماع قلوبنا :.

١ ــ (وان اللّه لهو خير الرازقين) (الحج / ٥٨).

٢ ــ (وان اللّه هو الرزاق ذو القوة المتين) (الذاريات / ٥٨).

٣ ــ (يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم) (الانفطار / ٦) ((٢١٨)) .

٤ ــ (واعلموا ان اللّه غني حميد) (البقرة ــ ٢٦٧) ((٢١٩)) .

٥ ــ (وهو الفتاح العليم) (سبا ــ ٢٦).

توضيح وبلاغ :.

جـــات كـــلـــمة (رزاق) و(رازق) من مادة (رزق) ، وفي الاصل بمعنى العطاالمستمر وفي اوقات معينة ، سوا كان دنيويا ام اخرويا ومعنويا ، وقد يطلق الرزق احيانا على (النصيب والربح).

وقـــال الـــبـــعـــض ايضا : ان (الرزق) في الاصل بمعنى (الانعام والعطا)الخاص المناسب لحال الفرد وحـــاجـــتـــه ، لتستمر حياته ومعيشته ، وهنا يفترق مفهوم الرزق عن مفهوم (الاحسان) و(الانعام) و(العطا) و(الربح والنصيب)و(الانفاق) ((٢٢٠)) .

والـــجـــديـــر بـــالـــذكر ان التعبير الفارسي المقابل لكلمة (رزق) وهو (روزي)يعطي مفهوم الانعام والعطا اليومي وفي اوقات معينة ليشمل جميع الاشخاص .

ولا يـــخـــفى ان الرزق الحقيقي هو الاشيا التي يحصل عليها الانسان بالطرق المحللة ، واما مايحصل عليه من الطرق المحرمة فهو بالحقيقة رزق كاذب .

يـــســـتـــنتج مما ذكرناه ان الرزق ياتي بالمرحلة التي تلي الخلق وايجادالانسان ، ويرتبط باستمرار حـــيـــاتـــه الـــمادية والمعنوية ، ولذا اعتبر البعض ان اصل وجود الانسان او قواه وامكانياته جز من الـــرزق (كـــالـــمـــرحـــوم الـــكـــفـــعمي في المصباح حيث يقول : ان رزق اللّه يعني بانه خلق الارزاق والمرتزقين) ، وهذافي الحقيقة نوع من المجاز والاتساع في المعنى الحقيقي .

وعـــلـــى اي حـــال فـــان وصـــف الـــباري في الايات اعلاه بصفة :(خير الرازقين)يشير الى النواحي المختلفة التالية :.

فـــمـــن ناحية ان اي شي يعطيه الباري انما هو من عنده ، وكل مايمنحه الاخرون فهو ليس منهم ، بل هم واسطة لانتقال الارزاق .

ومـــن ناحية اخرى انه سبحانه يعطي كل شي من انواع النعم المادية والمعنوية والروحية الدنيوية والاخروية ، الظاهرية والباطنية ، العلنية والخفية و، في حين ان كل شي يعطيه الاخرون محدود من جميع النواحي .

ومن ناحية ثالثة انه تعالى ياخذ بنظر الاعتبار حاجة العباد عند تقديرارزاقهم ويرزقهم بما يناسب حالهم ، لانه عليم باسرار المرتزقين الظاهرية والباطنية ، ونعلم ان الاخرين ليسوا كذلك .

ومن ناحية رابعة انه الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ابدا لان خزائن كل الاشيا بيده : (وان من شي الا عندنا خزائنه) (الحجر / ٢١) ، في حين يتصف الاخرون بالمحدودية التامة من هذه الجهة .

ومن ناحية خامسة انه الرازق الذي يتناول من مائدته الصديق والعدو ،وجميعهم يتزودون من نعمته بمقتضى كونه الرحمن والرحيم .

لكن الاخرين لا يفكرون سوى باصدقائهم واقربائهم .

ومـــن ناحية سادسة انه لا ينتظر لقا عطائه وانعامه جزا ولا شكورا ، لانه غني من كل ناحية ، لكن الاخرين ينتظرون الف لون من قبيل ذلك .

ومـــن نـــاحية سابعة ان رزقه بدرجة من السعة والشمول بحيث يبدا منذلحظة انعقاد النطفة في عالم الـــرحـــم ، ويستمر طيلة مرحلة وجود الجنين في بطن امه ، وبعد الولادة من خلال حليبها وحنانها ايـــضـــا ، حتى لحظات الموت الاخيرة ، فهل من رازق يناظره ؟ اجل هذا سر قوله سبحانه (خير الرازقين).

واللطيف هو ماورد في روايات عديدة منقولة عن اهل البيت (ع) حول تفسير الاية الشريفة التالية : (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) (التكاثر/ ٨) : (ان اللّه اجل من ان يسال الناس يوم القيامة عن ماكلهم ومـــشـــربـــهـــم ، فـــهـــذا فضله على عباده ولن يسالهم عنه بل عن (العقائد الحقة) ومن جملتها(نعمة الولاية) ((٢٢١)) .

وعـــليه فقد عكست لنا هذه الرواية معنى آخر من معاني (خير الرازقين)لانه سبحانه ــ طبق ماجا في الحديث ــ لايسال عن هذه الارزاق امـــا الـــســـر مـــن اطـــلاق كـــلـــمة (الرزاق) على الباري تعالى ، ثم (ذو القوة المتين)فهو لان كلمة (الـــرزاق) صـــيـــغـــة مـــن صـــيـــغ الـــمبالغة ، وترمز الى انواع الارزاق التي يهبها اللّه المنان لجميع الـــمـــرتـــزقين ، لذا لا تليق هذه الكلمة الا بشانه ، بل وكمااشرنا سابقا من ان سواه لايمكن ان يكون (رازقا) ناهيك عن ان يكون رزاقا.

لان اولـــئك لايـــمـــلـــكـــون شـــيئا ليمنحوه للغير ، بل يمكنهم ان يكونوا واسطة لايصال الارزاق الى الاخرين .

وكـــلـــمـــة (متين) تعني المحكم ، واخذت من مادة (متن) التي هي في الاصل تعني العضلتين القويتين الـــمـــوجـــودتـــيـــن على جانبي العمود الفقري اللتين تقويان ظهر الانسان وتجعلاه مستعدا لممارسة الاعمال الثقيلة ، لذا فقد وردت بمعنى منتهى القدرة والقوة .

ووصف الباري بهاتين الصفتين يرمز الى قدرته التامة على ايصال الرزق الى عباده اينما وحيثما كانوا ، ولا يحتاج الى شي .

ان الـــتـــمعن في هذه الصفات الالهية الخاصة يمنح المؤمنين السكينة ،ويغينهم عن السير في الطرق المحرمة لتحصيل ارزاقهم ، بل يحثهم على طلب الرزق الحلال ، ايمانا بلطفه سبحانه .

كـــلـــمة (كريم) ماخوذة من مادة (كرم) والتي تعني : الشرف والقيمة الذاتية اوالاخلاقية ــ حسب راي مـــقـــايـــيـــس الـــلـــغة ــ لذا يطلق على الغيوم الممطرة (كريمة)وعلى الارض المنتجة الخصبة (مكرمة).

ويقول الراغب ايضا : اذا كانت كلمة (كرم) صفة للانسان فانها تعني الاخلاق والافعال الحميدة التي تبدر منه ، واذا كانت صفة للّه فانها تعني الاحسان والانعام العلني الواضح .

وللمفسرين تعابير مختلفة حول تفسير كلمة (كريم) عندما تاتي كصفة للّه سبحانه وتعالى .

فـــقـــد قال جماعة : ان كلمة (كريم) تعني الواهب الذي لايفعل الا الاحسان ،ولا يقصد من ورا ذلك الحصول على اي ربح .

وقال جماعة آخرون : (الكريم) هو من يقبل القليل ويجزي ازائه بالكثير.
وقال بعضهم : (الكريم) هو الذي لا ينفد عطائه ابدا.
وقال آخرون ايضا : (الكريم) هو من يعطي مايجب عليه ومالا يجب .
ولا يوجد دليل خاص حول ترجيح اي من هذه التفاسير ، ولكن بما ان كرم اللّه اكمل انواع الكرم ، فانه يشتمل على جميع هذه المفاهيم وغيرها.
ويحذر الانتباه الى هذه المسالة ايضا وهي ان هذه الكلمة قد وردت في القرآن الكريم على عدة وجوه ، فاحيانا كصفة للرزق مثل :(ورزق كريم) (الانفال / ٤).
واحيانا كصفة للملائكة مثل : (ملك كريم) (يوسف / ٣١).
واحيانا كصفة للعرش مثل (رب العرش الكريم)(المؤمنون / ١١٦).
واحيانا كصفة للقرآن مثل :(انه لقرآن كريم)(الواقعة / ٧٧) ، ولكل واحدة من هذه الامور نوع من (الكرامة) والقيمة السامية .
واشتقت كلمة (حميد) من مادة (حمد) وتعني الثنا ، وبعكسها الذم والتوبيخ ، لذا (فالحميد) هنا ياتي بمعنى (المحمود) ، ويرمز الى استحقاق اللّه لكل انواع الثنا ، الثنا على ذاته المقدسة المنقطعة النظير ، الثنا على صفاته واسمائه ، الثنا على افعاله واعماله الحميدة ، وبالنهاية الثنا على كل تلك المواهب والارزاق المادية والمعنوية المتنوعة التي لجميع عباده .
قال المرحوم الكفعمي في مصباحه : (الحميد) هو من يستحق الثنا على افعاله في السرا والضرا والافراح والاحزان ((٢٢٢)) .
وقال ابن الاثير في النهاية : (الحميد) كصفة من صفات الخالق تعني المستحق للحمد والثنا في جميع الاحوال واضاف قائلا :.
مفهوما (الحمد) و (الشكر) متقاربان من بعضهما، ولو ان الحمد اكثرعموما ، لان الحمد يشمل كلا من الصفات الذاتية والعطايا والمواهب ، في حين ان الشكر يشمل المواهب والعطايا فقط لا الصفات .
وعلى اي حال ، فان تعبير (الحمد) كما قلنا : انه ذو مفهوم واسع يشمل الثنا على كل من الذات والصفات والافعال .
ويجدر الانتباه الى ان كلمة (حميد) قد تكررت في ستة عشر موضعا من القرآن ، وغالبا مارافقتها صفة (الغني) او (العزيز) ، ولعل السبب في ذلك هو كون الاثريا والاقويا يقودهم غرورهم في الغالب الى ممارسة الافعال غير المتزنة والذميمة التي هي محل للمذمة والتوبيخ ، اما اللّه سبحانه ففي نفس الوقت الذي نجده غنيا وعزيزا ، لايصدر منه سوى الافعال المحمودة ، ولا يوجد من بين صفات جماله وكماله اي صفة ذميمة ، اذا فهو (حميد) من كل ناحية ويستحق الثنا.
وجات كلمة (الفتاح) من مادة (فتح) ، كما قال الراغب في المفردات وابن فارس في مقاييس

اللغة : انها تعني بالاصل فتح كل مغلق سوا فتح باب ام حل مشاكل اخرى .
لــذلك يطلق مصطلح (الفتح) على النصر ، لانه يحل مشكلة الحرب ،ويطلق على الحكم ايضا ، لانه يحل النزاع .
ولــهذا التعبير معنى واسع جدا عندما يعبر به عن الخالق جل وعلا ، فهويشمل كل من فتح الابواب المسدودة ، وحل جميع معضلات العباد المعنوية والمادية ، والحكم بالحق ، والحكم الفصل .
قــال المرحوم الكفعمي في مصباحه :(الفتاح) معناه الحاكم بين عباده ،وفتح الحاكم بين خصمين اذا قــضــى بــينهما وايضا ، الذي يفتح ابواب الرزق والرحمة لعباده ، وهو الذي بعنايته ينفتح كل مغلق ((٢٢٣)) .
والاثــر الــتــربوي الناجم عن التمعن بهذه الصفة الالهية واضح جدا ، فمن يعتقد بان اللّه وحده هو الحاكم ، ويعتقد بان حل المشاكل وفتح الابواب المغلقة يسير عليه سبحانه ، لا يهاب حجم المشاكل وصــعــوبتها ابدا ، ولا تتراكم على قلبه ذرات غبار الياس والقنوط ، ولا يكف عن الجد والاجتهاد المصحوب بالايمان بالنصر بلطفه سبحانه .
يــجــدر الانــتباه الى ان كلمة (الفتاح) لم تتكرر اكثر من مرة في القرآن وقدرافقتها صفة (العليم) وهــذا يــوضــح صلتها بصفة (الفتاح) ، وذلك لان حل المشاكل وفتح عقد المعضلات يحتاج الى علم وفير ، فالعليم بكل شي هو الذي يستطيع حل جميع المشاكل ، واذا مااردت ــ ايها الانسان ــ ان تحل مشكلة في حياتك او حياة الاخرين فعليك ان تحيط بها علما بالمستوى المطلوب ولعل وصف الباري بصفة (خير الفاتحين) ، في الاية الشريفة (٨٩) من سورة الاعراف ، عن لسان قــوم شــعــيــب ، (ربــنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين) يعود الى التاكيد على هذا الــمفهوم ايضا ، لان الفاتحين الجهلا لايمكنهم دائما ادا افعالهم بشكل لائق ، لذا فخير الفاتحين هو الفتاح العليم بكل شي وفي جميع الاحوال .
٢٦ ــ الــرحــمن ٢٧ ــ الرحيم ٢٨ ــ ارحم الراحمين ٢٩ ــ الودود ــ٣٠ ــ الرؤوف ٣١ ــ اللطيف ٣٢ ــ الحفي .
تــعــد صــفــتــا (الــرحمن) و (الرحيم) من جملة صفات الفعل الالهية التي تردعلى الالسن دائما ، وتــتــكرر باستمرار في كل صلاة ، وبداية السور القرآنية ، بل وفي بداية كل عمل فهي تنبي عن لــطــف الباري ورحمته اللامحدودة تجاه عباده ، بل تجاه جميع الموجودات وهي رمز كونه ارحم الراحمين .
ومــن مستلزمات هذا المفهوم وده ومحبته ولطفه وعنايته ورافته ، وقدتكررت هذه الصفات السبع كثيرا في الايات القرآنية ، فلنصغ خاشعين الى نماذج منها :.
١ ــ (قــل ادعــواالله او ادعــوا الــرحــمــن ايــا مــا تدعوا فله الاسما الحسنى) (الاسرا / ١١٠) ((٢٢٤)) .

٢ ــ (ان اللّه كان بكم رحيما) (النسا / ٢٩) ((٢٢٥)) .
٣ ــ (وانت ارحم الراحمين) (الاعراف / ١٥١) ((٢٢٦)) .
٤ ــ (وهو الغفور الودود) (البروج / ١٤).
٥ ــ (ان اللّه بالناس لرؤوف رحيم) (البقرة / ١٤٣) ((٢٢٧)) .
٦ ــ (وهو اللطيف الخبير) (الانعام ــ ١٠٣) ((٢٢٨)) .
٧ ــ (انه كان بي حفيا) (مريم ــ ٤٧) ((٢٢٩)) .

توضيح وبلاغ :.

بــحثنا مفهوم كلمتي (الرحمن) و (الرحيم) في المجلد الاول من هذا التفسيربصورة مفصلة ، ولا حاجة الى التكرار، ونكتفي هنا بالقول : ان كلتيهما ماخوذتان من مادة (الرحمة).

ومعروف بين العلما ان صفة (الرحمن) ترمز الى الرحمة الالهية العامة التي تشمل الموالي والمعادي ، والــمــؤمــن والكافر ، والمحسن والمسي ، (كانواع النعم والمواهب الالهية العامة التي ينتفع منها جميع العباد).

و(الــرحــيم) ترمز الى (الرحمة الخاصة) الالهية التي خص بها عباده المؤمنين وجعلها من نصيب المحسنين والمتقين .

وامــا عــبارة (ارحم الراحمين) فانها استعملت كصفة من الصفات الالهية ، لان شعاعا من رحمته قد دخل في قلوب عباده ايضا ، فالوالدان رحيمان وعطوفان على ولدهما ، والكثير من الناس يكنون في قــلــوبــهم الرحمة والمحبة تجاه اصدقائهم واحبائهم ، الا ان هؤلا جميعهم يمثلون شعاعا ضعيفا من رحمة اللّه ، بل في الحقيقة ان جميع هذه الرحمات مجازية ، ورحمة اللّه هي الرحمة الحقيقية ، لان ذاته المقدسة غنية عن كل شي ، في حين ان المحبة والرحمة الموجودة فيما بين الناس غالبا ماتنبع من تاثيرهم في مصير بعضهم وحاجتهم الى بعضهم .

عــلاوة عــلى هذا، فان رحمة غيره محدودة في اطر خاصة ، الا رحمته فهي غير محدودة من كل ناحية .

يــســتــنــتــج بــشكل اجمالي من موارد استعمال هذه الصفة التي وردت في اربع آيات قرآنية ، انها استعملت في الحالات التي وصلت بها المشكلة حدهاالاقصى ، فقد وردت هذه الصفة في قصة النبي ايــوب (ع) بعد تحمله كل تلك الخطوب المنهكة ، وفي قصة يوسف (ع) عندما كان اخوته بمنتهى الــقــســوة (يــوســف ــ ٦٤) ((٢٣٠)) ، او بــعــد معرفتهم اخاهم يوسف اذ خجلوا وندموا كثيرا عــلــى مــافعلوا (يوسف ــ ٩٢) ((٢٣١)) ، وفي قصة موسى عندما رجع الى قومه ورآهم يعبدون العجل وعاتب اخاه هارون (الاعراف ــ ١٥١) ((٢٣٢)) .

ومن هنا يتضح لزوم الاعتصام بهذه الصفة الالهية الملهمة للامل ، في الظروف العصيبة ، والاحداث المعقدة جدا والاليمة ، والتفيؤ بظل رحمته ،علاوة على لزوم السعي لكي نكون مظهرا لهذه الصفة الالهية واحيا شعاع منهافي وجودنا على الاقل .

الرحمة الالهية الواسعة في الاحاديث الاسلامية :. لسعة رحمة اللّه انعكاسات واسعة في الاحاديث الاسلامية ، والنماذج التالية تحكي عن هذه الحقيقة :.

١ ــ في حديث عن امير المؤمنين علي (ع) قال : ((اللّه رحيم بعباده ، ومن رحمته انه خلق مائة رحمة واحدة في الخلق كلهم فبها يتراحم الناس ، وترحم الوالدة ولدها فاذا كان يوم القيامة اضاف هذه الرحمة الواحدة الى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها امة محمد(ص))) ((٢٣٣)) .

٢ ــ في حديث آخر عن الامام الصادق (ع) انه قال : ((اذا كان يوم القيامة نشراللّه تعالى رحمته حتى يطمع ابليس في رحمته)) ((٢٣٤)) .

٣ ــ قيل لعلي بن الحسين (ع) يوما ان الحسن البصري قال : ليس العجب ممن هلك كيف هلك انما العجب ممن نجا كيف نجا فقال (ع) : ((ليس العجب ممن نجا كيف نجا ، وانما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة اللّه)) ((٢٣٥)) .

الهي لايعز على كرمك اللامتناهي ان تشملنا بزاوية من رحمتك الواسعة هذه .

كلمة (ودود) مشتقة من مادة (ود) ــ بضم الواو ــ التي هي في الاصل بمعنى حب الشي وتمني وجوده ، لذا تستعمل في كلا المعنيين (المحبة والتمني).

هذا ماورد في المفردات ومقاييس اللغة ، لكن لسان العرب ذكرها بمعنى المحبة فقط ، في حين ان موارد استعمالها في القرآن الكريم تدل بوضوح على انها استعملت في معنى التمني والمحبة ايضا.

وعلى اي حال فان هذه الكلمة صيغة من صيغ المبالغة وتعني الشخص الكثير المحبة ، واللطيف ان هذه الصفة قد وردت في القرآن الكريم مصحوبة بصفة الغفور مرة ، وبصفة الرحيم مرة اخرى ، وكلاهما تتاكدان بصفة (الودود).

يقول المرحوم الكفعمي في مصباحه : عندما تستعمل كلمة (ودود) كصفة من الصفات الالهية ، فانها تعني من يحب عباده فيرضى عنهم ويتقبل اعمالهم او بمعنى من يلقي حب عبده في قلوب الاخرين (كما ورد في الاية ٩٦من سورة مريم): (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) ((٢٣٦)) .

الودود : (الودود) فعول بمعنى (مفعول) كما يقال : هيوب بمعنى مهيب ،يراد به انه مودود ومحبوب ، ويقال : بل فعول بمعنى فاعل كقولك : غفوربمعنى غافر ، اي يود عباده الصالحين ويحبهم ، والود والوداد مصدره المودة ،وفلان ودك ووديدك اي حبك وحبيبك ((٢٣٧)) .

واحتمل بعض ارباب اللغة كذلك بان كلمة (ودود) هنا تعطي مفهوم الاسم المفعول ، وترمز الى محبوبية اللّه من قبل عباده المؤمنين ((٢٣٨)) .

لكننا نعتقد بان المعنيين الثاني والثالث ضعيفان ، ويظهر من مواردااستعمال هذه الكلمة ان

معناها الدقيق هو (المحبة والتمني) الذي ذكرناه .
ومن البديهي اختلاف مفهوم المحبة الالهية مع مفهوم المحبة الانسانية ،فالمحبة في الانسان نوع من التوجه القلبي والرغبة الروحية ، في حين ان اللّه ليس له قلب ولا روح ، لهذا فان محبته لعباده تاتي بمعنى فعله لما يسبب خيرالبشر وسعادتهم ، وتدل على لطفه وعنايته .
ويظهر ان السبب في تفسير البعض كلمة (ودود) كاسم مفعول هو انهم لاحظوا بان المحبة بمعنى اسم الفاعل لا تليق بشان الباري ، لانها من عوارض الموجودات الامكانية .
لكنها عندما تختص بالباري تعالى فانما يقصد منها آثارها الخارجية ،وليس هذا هو المكان الوحيد الذي يستوجب هذا المعنى والتفسير ، بل هنالك الكثير من الصفات والافعال الالهية من هذا القبيل بالضبط، كقولنا: ان اللّه يغضب على المذنبين ، اي يتصرف معهم تصرف الغضبان ، والا فالغضب الذي يعطي معنى الهياج والاضطراب في نفس الانسان لا يصدق ان يكون في الباري تعالى ابدا.
وعلى اي حال فان الايمان بهذه الصفة الالهية له اثره التربوي العميق (كماهو الحال في بقية الصفات) ، لان محبة اللّه لعباده تؤدي الى ايجاد محبة العبادله ، فالمحبة الحقيقية لا تكون من طرف واحد ابدا.
وعندما تدخل محبته في قلوب عباده ويعشقونه سيسيرون باتجاه رضاه ، لان العاشق يخطو وفق مايرتضيه معشوقه دائما.
وجات كلمة (رؤوف) من مادة (رافة) وتعني (الرحمة) ــ حسب قول الراغب الاصفهاني ــ والجدير بالذكر ان تسعة حالات من الاحد عشر حالة التي وردت فيها هذه الصفة الالهية في القرآن الكريم رافقتها صفة (الرحيم) ((٢٣٩)) ، لذا فان صفتي (رحيم) و (رؤوف) توكدان مفهوم بعضهما البعض .
وهنالك جدال بين المفسرين والمتكلمين حول الاختلاف الموجود بين صفتي (رؤوف) و (رحيم) ؟ فاعتقد البعض منهم بانهما تعطيان مفهوما واحدا ،وعليه فان ذكرهما الى جنب بعضهما ذو صبغة تاكيد على الرحمة الالهية اللامتناهية .
في حين وضع البعض الاخر ــ كابن الاثير في نهايته ــ فرقا بينهما ، وهو : ان الرافة مرحلة ادق واسمى من الرحمة ، ولا تستعمل ابدا في المسائل الرديئة ،لكن الرحمة تستعمل في المسائل المكروهة التي توجد من ورائها مصلحة معينة (فقد يمكن ان يقال : ان الرحمة التي يحملها فلان دفعت به الى قطع اصبعه المتعفن وقاية من سريان العفونة الى بقية اعضا بدنه ، لكنه لايصح استعمال تعبير ((الرافة)) هنا) ((٢٤٠)) .
يقول المرحوم الكفعمي في مصباحه حول تفسير هذه الكلمة : (قال البعض : ان الرافة مرحلة اسمى من الرحمة ، في حين اعتقد البعض الاخر بان دائرتها اكثر محدودية من دائرة الرحمة).
يقول المفسر الكبير المرحوم الطبرسي في ذيل الاية ١٢٨ من سورة التوبة : يعتقد

البعض بان صفتي (رؤوف) و(رحيم) لهما مفهوم واحد ، ماعدا كون الرافة مرحلة اقوى من الرحمة ، في حين قـــال جماعة آخرون : (تستعمل كلمة (رؤوف) في المطيعين و (رحيم) في المذنبين ، ثم نقل عن بـــعـــض الـــعـــلـــمـــا السالفين قولهم بان اللّه لم يجمع بين هاتين الصفتين بحق اي من انبيائه ، لكنه فعل ذلـــك كـــرامة لنبي الاسلام محمد (ص) حيث قال في هذه الاية : (بالمؤمنين رؤوف رحيم) وكذلك بحق ذاته جل وعلا حيث قال : (ان اللّه بالناس لرؤوف رحيم) (البقرة / ١٤٣) ((٢٤١)) .

قـــال الـــطـــبـــرســـي في مجمع البيان في ذيل الاية ١٢٨ من سورة التوبة مانصه :(بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، قيل : هما واحد ، والرافة شدة الرحمة ، وقيل :رؤوف بالمطيعين منهم ، رحيم بالمذنبين ، وقيل : رؤوف باقربائه ، رحيم باوليائه ، رؤوف لمن رآه ، رحيم بمن لم يره ، وقال بعض السلف : لـــم يـــجـــمـــع اللّه سبحانه لاحد من الانبيا بين اسمين من اسمائه الا النبي (ص) فانه قال :بالمؤمنين رؤوف رحيم .

وكذلك نلاحظ هنا مالهذه الصفة الالهية من الاثر التربوي والبلاغ الخاص في قلوب المؤمنين ، لاننا نـــرى بـــان اللّه رؤوف رحـــيـــم ، ورســـولـــه (ص) رؤوف رحيم ايضا ، لذا يجب ان يكون شيعتهم ومحبوهم رؤوفين رحما ايضا ، وينعكس على وجودهم شعاع من الرحمة الالهية العامة والخاصة .

تـــكـــررت كـــلـــمة ((لطيف)) سبع مرات في القرآن الكريم ، وقد وردت كصفة من صفات اللّه في جـــمـــيع هذه الموارد وغالبا ماقترنت بصفة (خبير) ((٢٤٢)) ووردت لوحدها في موضعين فقط ((٢٤٣)) .

وعـــلـــى اي حـــال فان هذه الكلمة مشتقة من مادة (لطف) ، وتعني : العمل الظريف والدقيق والمحبة والـــحـــنـــان ، وتـــطـــلق ايضا على كل من الموجودات الصغيرة اللينة ، والحركات الظريفة ، والقيام بالاعمال الدقيقة ، والامور التي لاتدركها حواس الانسان .

وعندما تختص هذه الصفة بالباري تعالى فانها تعطي معنى الرفق والمداراة الالهية بينه وبين عباده ، وتوفيقهم وحفظهم من المشاكل ((٢٤٤)) .

يـــقـــول ابـــن الاثير في تفسير هذه الكلمة : اللطيف من يجمع بين (الرفق في العمل) و(العلم بدقائق المنافع وايصالها الى اصحابها).

ويـــقـــول الـــمـــرحوم الكفعمي في (المصباح) : ان دعوة الباري ، في المشكلات ، بهذه الصفة له اثر عميق في رفع وازالة المنغصات ((٢٤٥)) .

وقـــد فـــســـر الـــمرحوم العلامة الصدوق ، في كتاب التوحيد، هذه الصفة الالهية كمايلي : انه لطيف بـــعـــبـــاده ، يحسن اليهم ، وينعم عليهم ، ثم اضاف قائلا :اللطف هو نفس الاحسان والعزة ، ثم ذكر الـــحـــديـــث الـــشـــهـــير الذي يقول : ((ان معنى اللطيف انه هو الخالق للخلق اللطيف)) كما انه سمي ((العظيم لانه الخالق للخلق العظيم)).

ومن الممكن الجمع بين كل هذه المعاني في مفهوم كلمة (لطيف)الواسع .
اما السر من اقتران صفة (اللطيف) بـــ (الخبير) في اغلب الايات القرآنية فهوان صفة (الخبير) ـــ طـــبـــقا لما قاله بعض المحققين ـــ تشير الى الاطلاع العميق والعلم والاحاطة الدقيقة بالحقائق ، مما يتناسب مع مفهوم صفة (اللطيف) (تامل جيدا).
ان الـــبلاغ والاثر التربوي الذي يتركه الايمان بهذه الصفة واضح جدا لانه يؤمل الانسان بالالطاف الالـــهـــيـــة الخفية والجلية من جهة ، ومن جهة اخرى يحث بني البشر للتلطف والترحم على بعضهم الـــبـــعض ، ومن جهة ثالثة يدفعهم الى الاطلاع على مخلوقات اللّه الظريفة جدا والتفكر بها ، ولكل واحد من هذه الامور الثلاثة اثر بليغ في تربية الناس .
وكـــلـــمـــة (حفي) مشتقة من مادة (حفا) ـــ على وزن سلام ـــ ومن مادة (حفا) ـــعلى وزن جفا ـــ ولها عـــدة مـــعـــان ذكـــرتـــها مصادر اللغة ، من جملتها : السير حافي القدمين ، والالحاح في السؤال ، العلم والاطلاع على شي ، الالحاح في عمل الخير.
وقـــال جـــماعة ايضا : انها تعطي معنى ترقق جلد القدم ، وكعب الحذا ،وحافر الجواد ، بسبب كثرة السير ((٢٤٦)) .
الا انـــه لـــيس مستعبدا ان يكون الاصل الحقيقي لكل هذه المعاني هوالالحاح في السير بشكل يصبح جـــلد القدم او الحذا رقيقا اؤ يستهلك ، ثم استعملت في حالة الالحاح والمبالغة في كل شي من قبيل : الالحاح في السؤال عن شي مابقصد الاطلاع ، والالحاح في طلب علم الخير.
ووردت هذه الكلمة في القرآن في ثلاثة موارد ، الاول في مورد الالحاح في السؤال ، كما في الاية ٣٧ من سورة محمد (ص) : (ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا) وفي مورد العلم والمعرفة كما في الاية ١٨٧ من سورة الاعراف :(يسالونك كانك حفي عنها).
وفـــي مـــورد الالحاح في عمل الخير كما في الاية ٤٧ من سورة مريم :(سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا).
وعـــلـــى اي حـــال فعندما تختص هذه الكلمة بالباري تعالى فانها يمكن ان تعطى معنى العالم والخبير ، وفي هذه الحالة تكون من صفات الذات وليس الفعل ، وربما تاتي بمعنى منتهى الاحسان والمحبة ايضا ، فتعد في هذه الحالة من صفات الفعل الالهي .
وبالمناسبة فانها وردت في القرآن كصفة مرة واحدة فقط ، وبمعنى منتهى الاحسان والمحبة والتي وردت في قصة ابراهيم وعمه التي ذكرناها سابقا.
ويـــتـــضـــح البلاغ التربوي الذي تحمله هذه الصفة الالهية في طياتها ، بقرينة ماذكرناه في الصفات الـــمـــشابهة لها، وذلك لانها تحيي بصيص الامل في قلوب العباد وتقربهم نحوه ـــ سبحانه ـــ من جهة ، ومن جهة اخرى تعطي درسا في الاحسان والمحبة والحنان .
٣٣ ـــ الـــغـــافـــر ٣٤ ـــ الـــغـــفـــور ٣٥ ـــ الغفار ٣٦ ـــ العفو ٣٧ ـــ التواب ٣٨ ـــ الجباريعد الغفران والـــرحمة الالهية وعفو الباري عن المذنبين وقبول توبتهم ،اصل مجموعة من

صفات فعل اللّه التي اوردنا ستة نماذج منها اعلاه .

وقــد وردت هــذه الــصفات الالهية في آيات قرآنية عديدة سنطلع عليها بعدان نصغي خاشعين الى الايات التالية :.

١ ــ (غافر الذنب وقابل التوب) (غافر / ٣) ((٢٤٧)) .

٢ ــ (ان اللّه غفور رحيم) (البقرة / ١٧٣) ((٢٤٨)) .

٣ ــ (الا هو العزيز الغفار) (الزمر / ٥) ((٢٤٩)) .

٤ ــ (ان اللّه لعفو غفور) (الحج / ٦٠) ((٢٥٠)) .

٥ ــ (انه هو التواب الرحيم) (البقرة / ٣٧) ((٢٥١)) .

٦ ــ (المهيمن العزيز الجبار المتكبر) (الحشر / ٢٣) ((٢٥٢)) .

توضيح وبلاغ :.

اشــتقت كلمة (غافر) و(غفور) و(غفار) من مادة (غفر) وهي بالاصل تعني (التغطية) ، وخاصة تــغــطــيــة الشي عن التلوث ، وكلمة (غفير) تعني الذائبة اوالظفيرة الطويلة التي تغطي الرقبة ، و(مغفر) تعني الخوذة التي تستعمل لتغطية الراس في القتال .

وهذه الكلمة عندما تختص باللّه سبحانه فانها تعني المغفرة وستر الذنب ،ولكن (غافر) اسم فاعل ، و(غفور) و(غفار) من صيغ المبالغة .

وقــال جماعة : عندما تستعمل كلمة (غفور) كصفة من الصفات الالهية فانهاتعني الساتر على عباده بغطا رحمته ، وقد ورد هذا التعبير ايضا في كلام بعض العلما وهو : اطلقت صفة (غفار) على اللّه لانه يستر ذنوب عباده بمغفرته متى ما اذنب العبد ورجع اليه بالتوبة ((٢٥٣)) .

وكــلــمــة (عــفــو) مــشتقة من مادة (عفو) وكما قال ابن منظور في (لسان العرب)وابن اثير في (النهاية) : هي بالاصل تعني المحو ، لكن الراغب في مفرداته اعتقدبان هذا المعنى ليس اصل الكلمة ، بــل اصــلها الاساسي هو (القصد لاخذالشي) ، لذا تطلق على الرياح العاصفة التي تسبب الدمار او الذهاب بالاشياالمختلفة ، وان اطلقت (عفو) على (المحو) فلانه نوع من القصد لاخذ شي معين .

واطلقت كلمة (عفو) على نمو النبات لانه يشق التراب ويظهر.

وقــد ذكر في مقاييس اللغة اصلان لهذه الكلمة هما : ترك الشي او طلبه ،ثم ارجع بقية المعاني الى هذين المفهومين ، ومن جملتها (العفو) بمعنى المحووالابادة ، و(العفا) بمعنى التراب المتروك .

وعــلــى اي حال عندما تستعمل هذه الكلمة بخصوص الباري تعالى فانهاتعطي معنى غفران الذنوب ، ومــحــو آثــار الــمعصية ، وترك المعاقبة عليها ، لكن بما ان (عفو) صيغة مبالغة فانها تعني (كثير العفو) ((٢٥٤)) .

وســبــب الــتاكيد على هذه الصفة الالهية هو انه تعالى لولا عفوه لما نجا احدمن تبعات الذنوب

، قال امير المؤمنين علي (ع) : ((اللهم احملني على عفوك ولاتحملني على عدلك)) ((٢٥٥)) .

وفي وصية له (ع) لمالك الاشتر : ((ولا غنى بك عن عفوه ورحمته)) ((٢٥٦)) .

ان عــفو اللّه من السعة بحيث لا يحده شي ، والشي الوحيد الذي استثناه القرآن منه هو الشرك ، لذا فــقــد ورد حــديث عن الامام الحسن العسكري انه (ع)قال :((ان اللّه ليعفو يوم القيامة عفوا يحيط على العباد حتى يقول اهل الشرك واللّه ربناماكنا مشركين)) ((٢٥٧)) .

ومن جهة اخرى فانه تعالى يلقن عباده درس العفو والصفح ، ويوصيهم بالعفو عن بعضهم مهما امكنهم ، راجين بذلك من اللّه ان يعفو عن ذنوبهم .

وقــد ورد في حديث نبوي تعبير عجيب يبين اهمية العفو ، قال (ص) : ((انه ينادي مناد يوم القيامة مــن كــان لــه عــلى اللّه اجر فليقم ، فلا يقوم الا العافون ، الم تسمعواقوله تعالى (فمن عفا واصلح فاجره على اللّه))) ((٢٥٨)) .

طبعا ان العفو ليس مسالة اخلاقية فقط ، بل هو مسالة اجتماعية مهمة ،لانه لو بني مجتمع معين على اســاس الانتقام وسفك الدما لحل الجدال والنزاع الذي يحدث بينهم ولما عرف طعم للعزة والسكينة ابــدا ، لــذا فــقــد ورد فــي حديث نبوي ، انه (ص) قال : ((عليكم بالعفو فان العفو لايزيد العبد الا عزا)) ((٢٥٩)) .

وكلمة (تواب) هي صيغة مبالغة مشتقة من مادة (توبة) و(التوبة) ــ حسب راي مقاييس اللغة ــ تعني (العودة والرجوع) ، وتستعمل عادة في مجال (الرجوع عن الذنب) ، كما قال ذلك لسان العرب .

لــكــن لــلراغب الاصفهاني تعبير آخر في المفردات حول تفيسر هذه الكلمة ، وهو: (التوبة) ترك الذنب بافضل وجه ممكن ، وقسم الاعتذار ثلاثة اقسام :.

الاول : هــو ان يــقول احد: (انني لم ارتكب هذا الذنب ابدا) ، الثاني : ان يقول : (قد فعلت ذلك ولكن بدليل كذا وكذا اي يوجه فعلته) ، والثالث : ان يقول : (فعلت واسات ولن افعل هذا فيما بعد) فمعنى التوبة هذا (اي الوجه الثالث) ولا رابع لها.

وعلى اي حال ، فعندما تختص هذه الصفة باللّه تعالى فانها تعني اما قبول توبة العباد ، او توفيقهم الى التوبة ، كما قال المرحوم الكفعمي في مصباحه .

والــجــديــر بالانتباه ان كلمة (توبة) في القرآن الكريم عندما تنسب الى العبادتتعدى بحرف (الى) مثل : (توبوا الى اللّه)(التحريم / ٨) ، وعندما تنسب الى اللّه تتعدى عادة بحرف الجر (على).

وهذا التفاوت في التعبير يشير ظاهرا الى نقطة لطيفة وهي : ان التوبة على اي حال تعني الرجوع مــن الــذنــب ، ولــكن رجوع العباد من الذنب يتحقق بترك الذنب والاعتذار، اما رجوع اللّه فيتحقق بــارجــاعــه لــهم اللطف والرحمة التي منعهاعنهم بسبب اقترافهم ذلك

الذنب المعين ، ولان الرجوع هنايخص مقاما عالياوساميا عبر عنه بكلمة (على) التي تستعمل في موارد العلو عادة .

وذكر هذه الصفة (تواب) بشكل صيغة مبالغة يشير ايضا الى هذه النقطة وهي : لو اذنب العبد وتاب مرة او مرات ، ثم كسر توبته فلا ييأس من عفو اللّه ورحمته لانه تعالى تواب اي (كثير التوبة).

والاثـــر التربوي للتوبة غير خاف على احد ، لانه لو كانت ابواب التوبة مغلقة في وجه العباد لكفى ذنب واحد لاقناطهم من اللطف الالهي ، والرمي بهم في دوامة ذنوب اكبر ، اما عندما يشاهدون هذا الـــبـــاب مـــفـــتوحا امامهم ، وبحرالرحمة الالهية هائجا (بحكم كونه تعالى توابا) ، فسيندفعون الى الرجوع من .

ذنوبهم واصلاح وجبران ماصدر منهم ، ويعد هذا بحد ذاته سلما للتكامل الانساني .

ومـــن جـــهة اخرى فانها تعطي الناس هذا الدرس وهو ان لايتشددوا تجاه اخطا اصحابهم ، ويفتحوا امامهم طريق العودة والاصلاح ، ويعطوا لغيرهم مايؤملونه من ربهم ، اي العفو.

والـــتعابير الواردة في الروايات الاسلامية بصدد التوبة من الظرافة والجمال بحيث تجذب الانسان الى مثل هذا الخالق التواب ، وتوقد في قلبه جذوة العشق الالهي .

ورد في حديث عن الامام الباقر (ع) انه قال : ((ان اللّه تعالى اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلما فوجدها)) ((٢٦٠)) .

وفـــي حـــديـــث آخر عن النبي (ص) وصف به التوبة بانها احب الاعمال الى اللّه تعالى حيث قال : ((وليس شي احب الى اللّه من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة)) ((٢٦١)) .

واشـــتـــقـــت كـــلمة ((جبار)) من مادة (جبر) ومعناها الاصلي ــ كما قال الراغب ــ : اصلاح الشي بضرب من القهر ولهذا فقد تستعمل هذه الكلمة احيانا بمعنى الاصلاح ، كقول الذي يصلح العظم : ((جبرت العظم)) ، وورد في الدعا الماثور : ((ياجابرالعظم الكسير)).

واحـــيـــانا تستعمل بمعنى القهر والغلبة ، وكما قال صاحب مقاييس اللغة :هو جنس من العظمة والعلو والاستقامة ، يقال : نخلة جباره للتي طالت وخرجت عن متناول اليد.

و (الجبر) يعني ارغام الشخص على فعل معين ، وهي ماخوذة ايضا من اصل القهر والغلبة .

وعـــلـــى اي حـــال ، فـــعـــندما تستعمل كلمة (جبار) بخصوص الباري سبحانه فانها تعني ــ كما قال الـــمـــرحـــوم الـــصدوق في كتاب التوحيد : القاهر الذي لا ينال ،وله التجبر والجبروت اي التعظم والعظمة ((٢٦٢)) ، او يعني الذي جبر مفاقر الخلق وكفاهم اسباب المعاش والرزق كما ذكر ذلك المرحوم الكفعمي في مصباحه ضمن ذكره لمعان اخرى ((٢٦٣)) .

وكذلك جابر الانكسارات ، والقنوط ، والندم الحاصل من اقتراف الذنوب .

قـــال الـــمرحوم الطبرسي في ((مجمع البيان)) : لا يستحق ان يوصف به على هذا الاطلاق الا اللّه تـــعـــالـــى ، فـــان وصف به العباد فانما يوضع اللفظ في غيرموضعه ويكون ذما (لانها

تحكي عن حب الرئاسة والتكبر والظلم والفساد).

ان هــذه الصفة الالهية ترشدنا من جهة الى عظمة وعلو المقام الالهي ، ومن جهة اخرى الى رحمته وعطفه وعنايته في جبر الانكسار والحرمان والذنوب .

٣٩ ــ الشكور ٤٠ ــ الشاكر ٤١ ــ الشفيع ٤٢ ــ الوكيل ٤٣ ــ الكافي :. ان الصفات الخمس المذكورة اعلاه من صفات الفعل ايضا ، وهي مجموعة من الصفات المبينة لانواع الــنــعم والمواهب الالهية ، وحماية ودفاع الباري تعالى عن عباده ، لهذا يلاحظ وجود ترابط وثيق فيمابينها ، ولهذا السبب اوردناها هنا في مجموعة واحدة .

لنعود الى القرآن الكريم ونصغي خاشعين الى الايات التالية :.

١ ــ (ان اللّه غفور شكور) (الشورى ــ ٢٣) ((٢٦٤)) .

٢ ــ (فان اللّه شاكر عليم) (البقرة ــ ١٥٨) ((٢٦٥)) .
٣ ــ (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) (الانعام ــ ٥١) ((٢٦٦)) .
٤ ــ (وهو على كل شى وكيل) (الانعام ــ ١٠٢) ((٢٦٧)) .
٥ ــ (اليس اللّه بكاف عبده) (الزمر ــ ٣٦) ((٢٦٨)) .

جمع الايات وتفسيرها :.

ان كلمتي (شاكر) و(شكور) مشتقتان من مادة (شكر) وهي تعني ــ كما جافي (فروق اللغة) ــ الاعتراف بالنعمة من باب تعظيم المنعم ، وقال صاحب (مصباح اللغة) : الشكر هو الاعتراف بالنعمة وادا الطاعة وترك المعصية ، لهذا فقد يحصل احيانا باللسان واحيانا اخرى بالعمل وقال الراغب في مفرداته : ان معناه الاصلي هو ((تصور النعمة واظهارها)) ، ويقابله (الكفر)و (الكفران) : وهو نسيان النعمة وسترها ، ويطلق تعبير (الشكور) على الحيوان الذي يظهر آثار عناية واهتمام صاحبه من خلال السمنة ، ثم قسم الشكر الى ثلاثة اقسام : الشكر القلبي ، الشكر اللساني ، والشكر العملي .

ولهذا الكلمة عدة معان في حالة استعمالها في ما يخص الباري تعالى ،منها :.

انه يتقبل القليل من الطاعة ويعطي الكثير من الثواب ، او الذي يعطي جزيل النعم ويرضى بما قل من الشكر وهو في الحقيقة يعني المجازاة والمكافاة على العمل ،ولكن ليس بمقدار العمل بل بمقدار لطف الخالق تعالى .

واعتقد البعض كالمرحوم الكفعمي في (المصباح) والمرحوم الصدوق في (التوحيد) بان كلمة (الشكر) عندما تستعمل بخصوص الباري تعالى تكون ذات صفة مجازية .

ولكن لو قلنا بان معناها اللغوي هو ما ورد في كتاب (العين) اي (معرفة الاحسان) ، لصدق استعمالها في الحقيقي بالنسبة الى الباري تعالى .

ان ولهذه الصفة الالهية توحي لنا من جهة ان ننتبه الى حق الباري تعالى ،فهو سبحانه من العظمة بحيث يعطي اعظم الثواب لقا اقل الاعمال الصالحة ويشكر عباده بهذه الطريقة ، والانتباه الى هذه الحقيقة يعد دافعا مهما للتوجه نحو الاحسان والتزكية .

ومن جهة اخرى انها تعلمنا كيف نقابل نعم وخدمات الاخرين ، ليس فقط ان لا ننسى جهودهم وخدماتهم لنا ، بل ان لا نتقيد بالمساواة والمكافاة بالمثل عند رد جميلهم .

وقد ورد في الدعا الماثور عن الامام الصادق (ع) :((يا من يشكر اليسيرويعفو عن الكثير وهو الغفور الرحيم ، اغفر لي الذنوب التي ذهبت لذتها وبقيت تبعتها)) ((٢٦٩)) .

كما ورد عنه (ع) انه كتب في التوراة : ((اشكر على من انعم عليك ، وانعم على من شكرك)) ((٢٧٠)) .

اشتقت كلمة (شفيع) من مادة (شفع) على وزن نفع ــ التي هي في الاصل تعني ضم شي الى آخر للحصول على نتيجة مطلوبة ، وفي مقابلها (وتر) ويقال للشاة التي يرافقها

وليدها في التنقل : (شـــافـــع) ، ويـــستعمل مصطلح حق الشفعة بخصوص شريكين باع احدهما حصته لرجل ثالث ، لكن شـــريـــكـــه يـــريـــد شـــراالـــحصة التي باعها للشخص الثالث بنفس المبلغ ، ليضم حصة شريكه الى حصته بهذه الطريقة .

ويطلق على العين الحولا (شافعة) ايضا ، لانها ترى الواحد اثنين ، وقدوردت هذه الكلمة بمعنى المعين والمساعد ايضا ((٢٧١)) .

واســـتـــعـــملت كملة (الشفاعة) في مورد ((طلب العفو عن ذنب شخص من قبل فرد ذي شخصية مـــرموقة)) ، وكان الشخص المحترم ــ صاحب المقام ــ يقف الى جوار المذنب ليتلطف صاحب الحق على المذنب ويرق له .

والـــشـــفـــاعـــة في القرآن ذات بحوث واسعة ، وسنبحثها بصورة مفصلة في سلسلة مباحث التفسير الموضوعي ان شا اللّه ((٢٧٢)) ، وما نبحثه هنا هو انتخاب هذه الصفة كواحدة من الصفات الالهية .

وعـــلـــى اي حـــال ان اطـــلاق كـــلمة (شفيع) على اللّه سبحانه ، وخاصة في يوم القيامة ، يشتق من سلطته المطلقة ، وعدم قدرة اي احد على فعل شي دون اذنه سبحانه ، وحتى شفاعة الشفعا كالانبيا والائمـــة والملائكة والمؤمنين المخلصين فانها لا تقبل الا باذنه : (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) (سورة البقرة ــ ٢٥٥).

ولهذا السبب خاطب سبحانه رسوله الكريم في الاية ٤٤ من سورة الزمر : (قل للّه الشفاعة جميعا #له ملك السموات والارض).

ولانـــه ســـبـــحـــانـــه يعطي اذن الشفاعة ، فالشفيع الواقعي هو تعالى ، وكانه سبحانه يشفع عند ذاته المقدسة لعباده المذنبين ، وهذه اسمى مراتب العظمة .

وقـــال جماعة ايضا : ان سبب اطلاق اسم شفع او (شفيع) على اللّه سبحانه هو حضوره مع عباده في كل مكان ، كما قال في الاية (٧) من سورة المجادلة : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) ((٢٧٣)) .

لـــكـــننا نستبعد هذا المعنى لان كلمة الشفيع تعطي في مفهومها نوعا من المساعدة والحماية والتكامل والتربية .

وتـــجـــدر الاشـــارة الى وجود نوعين من الشفاعة : تكوينية وتشريعية ،فالشفاعة التشريعية هي ما عـــرف مـــن شـــفـــاعـــة شخص وجيه عند صاحب حق لتخليص مذنب من عقوبة معينة ، واما الشفاعة التكوينية فهي ربوبية اللّه على الموجودات وسوقهم نحو التكامل وفق قوانين الخلق والتكوين .

وما توحي لنا هذه الصفة من بلاغ تربوي : هو الانتباه الى هذه الحقيقة ،وهي عدم جواز القنوط من لـــطـــف اللّه وعـــفـــوه ورحمته ، لانه يشفع عند ذاته المقدسة لعباده ايضا ، ويامر الانبيا والملائكة والائمة ايضا ليشفعوا لمذنبي الامم (طبعا في المحل اللائق للشفاعة).

ومـــن الـــمعلوم ان الانتباه الى هذه المسالة له اثر عميق في المنع من تكرارالذنب لكي يبقى الامل في الـــشفاعة ، وتبقى قابليته لنيلها محفوظة هذا من جهة ، ومن جهة اخرى انها تعلم العباد ليتاسوا بذلك ايضا ويشفعوا للنادمين والمحرومين والضعفا.

وقد ورد في الحديث الشريف ((اشفعوا تؤجروا)) ((٢٧٤)) .

اما كلمة (وكيل) فهي مشتقة من مادة (وكل) ــ على وزن وصل ــ وهي في الاصل تعني الاعتماد عـــلى الاخرين ، ولكون لازم هذا المعنى الضعف والعجزفي بعض الجوانب فقد اطلقت كلمة (وكل) على الضعفا والعاجزين ، ويطلق (وكال) على الدواب التي تسير دائما في مؤخرة القافلة اوالقطيع ، وكانها تعتمدفي المسير على غيرها ((٢٧٥)) .

وطبقا لذلك فان ((وكيل)) من يعتمد عليه ، ويلتجا اليه الانسان في حل مشاكله .

وعـــلـــيـــه عـــندما تستعمل هذه الكلمة بخصوص الباري تعالى ــ كما قال المرحوم الصدوق في كتاب الـــتـــوحـــيـــد ــ فـــانها تعني حافظنا وحامينا ومعتمدناوملجانا ، نحن وجميع موجودات عالم الوجود ((٢٧٦)) .

قـــال الـــمـــرحـــوم الكفعمي في المصباح : بانها تعني من وكلت اليه جميع امورنا ((٢٧٧)) وما قاله الـــبـــعـــض فـــي تـــفسيرها بتكفل الرزق هو في الواقع تبيان مصداق واحد ، والا فهي ليست محدودة بالرزق فقط.

يقول الزبيدي في تاج العروس في شرح القاموس : (التوكل) هو اظهارالعجز والاتكا على الغير ، هـــذا من حيث اللغة ، واما عند اصحاب الحقيقة ، فهوالاعتماد على ما عند اللّه والياس مما في ايدي الناس ، ((المتوكل على اللّه))يطلق على من يعتقد بان اللّه يكفيه رزقه وجميع اموره ، يتكل على اللّه وحده لاعلى غيره ((٢٧٨)) .

يـــستنتج من الايات القرآنية بوضوح ان توكل المؤمنين على اللّه وحده من شؤون التوحيد ، لان كل شي وكل امر يرجع اليه ، كما ورد في الاية ((١٢٣)) من سورة هود (ع) : (واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه) ، وكذا في الاية ((١٢)) من سورة ابراهيم (ع) : (وعلى اللّه فليتوكل المتوكلون).

لـــم لا نتوكل عليه ونعتمد عليه في جميع امورنا وهو العزيز الرحيم العزيز الرحيم).

ان الـــبـــلاغ الذي تعطينا اياه هذه الصفة الالهية هو انها توصينا بعدم الضياع في عالم الماديات وعدم الانـــخداع بالقدرات المادية الظاهرية ، وعدم الاعتمادوالاتكال على المخلوقات الضعيفة العاجزة ، بـــل الـــتـــوكل فقط على الذات الالهية المقدسة ، والاستعانة به سبحانه فقط والوثوق به والخضوع لحضرته جل وعلافقط.

ومن جهة اخرى علينا ان نسعى ونبذل ما في وسعنا لنكون عونا للاخرين من باب التخلق باخلاق اللّه ، ونحاول حل مشاكلهم تقربا الى اللّه تعالى .

وقد ورد في حديث عن الامام علي (ع) انه قال : ((التوكل على اللّه نجاة من كل سؤ وحرز

من كل عدو)) ((٢٧٩)) .

امـــا كـــلـــمة (كافي) فهي ماخوذة من مادة (كفاية) طبقا لما جا في مقاييس اللغة ولسان العرب ــ وهي تـــعـــنـــي الاقدام على عمل معين والتمكن منه ، ولكن الراغب يقول في مفرداته : (الكفاية) هي رفع حاجة والوصول الى المقصود ،و (كفية) ــ على وزن كنية ــ تعني الغذا الكافي ، و (كفي) ــ على وزن (خفي) ــتعني المطرالذي يحل مشكلة الجفاف ((٢٨٠) .

وعـــندما تستعمل هذه الكلمة بخصوص اللّه سبحانه فانها تعني المديرلامور عباده وحلال مشاكلهم والمبلغ ــ من يتوكل عليه ــ مناه دون ان يكله الى غيره .

وقد مر علينا في الدعا :(يا كافي المهمات) او مثله (يا كافي من كل شي).

ان مفهوم هذه الصفة الالهية ذو جانبين ، فمن جهة يزيل سحب الياس والقنوط المظلمة عن سما روح الانـــسان ، ويمنع من استسلام وركوع الانسان لعظمة حجم المشاكل ، لانه (اي الانسان المؤمن) يعلم ان معبوده يدعى بالكافي ويكفيه ما يهمه من اموره ومشكلاته ، قال تعالى : (اليس اللّه بكاف عبده ومـــن جـــهـــة اخـــرى ، ومـــن بـــاب الـــتـــخـــلـــق باخلاق اللّه ،يلهمه الجد والاجتهادفي كفاية الضعفا والمحرومين امورهم مهما امكنه ، ويعكس شعاعا من انوارالصفات الالهية في نفسه في هذا المجال .

٤٤ ــ الحسيب ٤٥ ــ سريع الحساب ٤٦ ــ اسرع الحاسبين٤٧ ــ سريع العقاب ٤٨ ــ شديد العقاب . تـــشـــير الصفات الخمس المذكورة اعلاه ، والتي هي من صفات الفعل ، الى مسالتي الحساب والعقاب بصورة عامة ، وتعد تحذيرا للعباد ليراقبوا اعمالهم خشية اقتراف الذنوب والتخلف عن ادا الوظائف والـــتـــعـــدي عـــلـــى حقوق الاخرين ، ولا ينسوا في حالات الضعف والقدرة ، والفقر والغنى ، حقيقة كونهم دائما بين يدي اللّه الحسيب ، سريع العقاب ، وشديد العقاب ، وقد وردت هذه الصفات الالهية في آيات قرآنية عديدة ، لنستمع الان خاشعين الى الايات التالية :.

١ ــ (وكفى باللّه حسيبا) (سورة النسا: آية ٦) ((٢٨١)) .

٢ ــ (واللّه سريع الحساب) (سورة البقرة : آية ٢٠٢) ((٢٨٢)) .

٣ ــ (وهو اسرع الحاسبين) (سورة الانعام : آية ٦٢) ((٢٨٣)) .

٤ ــ (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) (سورة الانعام : ١٦٥) ((٢٨٤)) .

٥ ــ (واعلموا ان اللّه شديد العقاب) (سورة البقرة : ١٩٦) ((٢٨٥)) .

جمع الايات وتفسيرها :.

كـــلـــمـــة (حسيب) مشتقة من مادة (حساب) ، وقد ذكر في مقاييس اللغة عدة معان لها هي : العد ، الكفاية ، و (حسبان) تعني نوع من الوسائد الصغيرة ،و (احسب) تعني مرض جلدي ، لكن كتاب التحقيق ارجع جميع هذه المعاني الى معنى واحد وهو البحث للاطلاع على حال شي معين والتحقيق عنه ،ولكون العد وسيلة لتحقق هذا المعنى كما ان الكفاية من لوازمه ونتائجه ،

فانهااستعملت في هذا المجال ايضا.

فكلمة (حسب) على وزن نسب ، تعني كون الابا والاجداد ذوي شخصيات ومقامات يمكن ذكرها وكذا (احتساب المصيبة) فانها تعني احتساب المصيبة على اللّه وطلب ثوابه .

و ((حسبان)) (على وزن غفران) تعني الصاعقة والعذاب ، لانها العقوبة التي يلقاها بعض الاقوام بعد حساب اعمالهم .

وعلى اي حال ، عندما تستعمل كلمة (حسيب) بخصوص الباري سبحانه ــ كما قال المرحوم الصدوق (ره) ــ فانها تعطي احد المعاني الثلاث التالية : الذي احصى كل شي في الوجود وعليم وخبير به ، والذي يتولى محاسبة العباد في القيامة ومجازاتهم ، والذي يكفي امور العباد ((٢٨٦)) .

ولكن يفهم من الايات القرآنية ان هذه الكلمة تعني ((تولي الحساب)) لانهاجات بهذا المعنى على الاقل في ثلاثة مواضع من المواضع الاربعة المذكورة في القرآن الكريم .

ومن هنا يتضح ان كلمة (حسيب) متقاربة مع صفتي (سريع العقاب) ،و (اسرع الحاسبين).

وللمفسرين آرا مختلفة حول سبب اتصاف الباري بصفة (اسرع الحاسبين).

يقول القرطبي في تفسيره : (لانه لا تحتاج محاسبته الى اي نوع من التفكر) ((٢٨٧)) .

ويقول الالوسي في روح المعاني : لانه سبحانه يحاسب جميع الخلق باسرع وقت دون ان تشغله محاسبة فرد عن محاسبة غيره ((٢٨٨)) .

وقد اورد المرحوم الطبرسي نفس هذا المعنى في مجمع البيان ((٢٨٩)) .

وقد وردت تعابير ظريفة حول هذا الموضوع في الاحاديث الاسلامية ايضا ، فقد نقل عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال : ((معناه انه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة)) ((٢٩٠)) .

وفي حديث آخر : ((انه تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر)) ((٢٩١)) .

وورد في حديث آخر : ((انه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة)) ((٢٩٢)) .

وقد اورد المفسرون الاخرون ايضا نفس هذه التعابير تقريبا ولكن الحق ان اي واحد منها لا يمكنه تبيان عمق الكلمات المذكورة اعلاه ، وبالحقيقة يجب القول : ان اللّه لا يحتاج الى حساب لان جميع اعمال العباد ما ثلة بين يديه في آن واحد.

والظريف هو ما توصلت اليه العقول الالكترونية المصنوعة التي تستطيع القيام بمئات الملايين او المليارات من الحسابات الرياضية في ثانية واحدة اوعدة ثوان ، مما يدل على عمق ما توصلت اليه سرعة الحساب في عصرناالحالي ففي الوقت الذي يستطيع البشر ــ بكل ضعفه ونقائصه ــ التوصل الى هذه السرعة الحسابية ، لا توجد حاجة اذن الى توضيح (اثبات) سرعة حساب القادر العلي الذي قدرته غير محدودة وعلمه غير متناه .

وكما اشرنا في التفسير النموذجي ايضا ، ان آثار اعمال الانسان ستبقى وتتراكم وتصير

بذاتها خـــيـــر وسيلة للحساب ، وهي على وجه التشبيه كالمعامل التي تحتوي مكائنها على عدادات لاحصا عـــدد دورات الـــماكنة او كالسيارات التي يتصاعد العدد الذي يعده عداد المسافة الموجد فيها كلما قـــطعت مسافة اكبر ،فلا توجد حاجة الى الحساب لمعرفة معدل عمل مكائن ذلك المعمل اوالمسافة التي قطعتها هذه السيارة ، فكل شي واضح ومهيا.

لهذا يجب ان ندرك ان علم اللّه اللامحدود وان ديمومة حضور الباري في كل مكان من عالم الوجود من جهة ، وبقا آثار الاعمال وتراكمها من جهة اخرى سيؤدي الى تسريع حساب الخلائق كلها كلمح البصر.

ان الـــبـــلاغ الذي تحمله هذه الصفات الالهية (حسيب ، سريع الحساب ، اسرع الحاسبين) هو انها تـــحذر جميع الناس من تناسي احقر الذنوب واصغرها ،وتجعلهم على يقين بان محاسبهم من لا تخفى عـــلـــيـــه ذرة مـــن اعـــمال الناس الصالحة والطالحة ، وان النسيان لا يجدي نفعا في محوها ، وسينهي تـــعالى حساب جميع هذه الاعمال يوم القيامة بلمحة بصر ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى تلقن الناس درس الـــمـــحـــاسبة في جميع امور الحياة ، ليحسبوا لكل عمل وكل شي وكل امر من حياتهم حسابه دون آن يتركوه سدى .

امـــا كـــلـــمـــة ((عقاب)) فهي مشتقة من مادة (عقب) ووزنها خشن ــ المستعملة بمعنى كعب القدم ، واطلقت فيما بعد على مؤخرة كل شي ، ولكن ذكر لها في مقاييس اللغة معنيان :. الاول تعاقب شي مع آخر ، والثاني : المرتفع والشدة والصعوبة (لذاوردت عقبة بمعنى منعطف).

وانما اطلق على عقوبات الاعمال (عقاب) لكونه عذابا يصيب الانسان عقب ارتكابه الاعمال السيئة .

وكذلك يطلق على الاولاد والاحفاد (اعقاب) لانهم ياتون عقب الاب والجد ، ويطلقون على الطير المعروف اسم العقاب لانه يعقب فريسته بسرعة .

وعـــلـــى اي حال فان وصف الباري بصفة (شديد العقاب) لا يعني ابدا ان يتجاوز عقابه على مقتضى اصـــول الـــعدالة بل لكون مجازاته وعقوباته دنيوية وآخروية ، جسمية وروحية ، ولا يامن منها اي احد من المجرمين ، ولا تقوى اية قدرة على التصدي لها.

فـــقـــد يهلك اللّه قرية ظالمة في لحظة واحدة احيانا ، فيمطر حجارة على الاشرار ، واحيانا يامر امواج البحر لتغرق فرعون وجنده والمتغطرسين في زمن قصير لتحيلهم طعاما لاسماك البحر.

واحيانا يامر الريح العاصفة لتهلك الظالمين وتذري قصورهم في الفضاوترمي بها في نقاط نائية .

واحـــيانا يرسل طيرا ابابيل لترمي اصحاب الفيل بحجارة من سجيل وتهلكهم وتجعلهم كعصف ماكول لتمنعهم من التقدم لهدم الكعبة .

وبـــالتالي يامر اللّه تعالى السما لتمطر مطرا غزيرا ويامر عيون الارض لتتفجر بالما فيغطي سطح الارض سيل عظيم ولا يبقي عليها الا سفينة النجاة للاطهار المحسنين اجــل انـــه شـــديد العقاب في المحل المناسب ، وهذه الصفة تعد تحذيرالكل الذين يستهينون بمعصية الباري ويرتكبون ما شاؤوا من الذنوب دون ان يتفكروا في عواقبها ، مستغلين لطف الباري وكرمه . اجــل انه ((ارحم الراحمين)) ولكن في موضع العفو والرحمة ، واشدالمعاقبين في موضع النكال والنقمة الـــلهم عاملنا بلطفك ورحمتك ، وخلصنا من اسر عذابك ، فنحن نقر لك بذنوبنا ، ونعتذر الى جنابك من تقصيرنا.

٤٩ ــ نصير ٥٠ ــ نعم النصير ٥١ ــ خير الناصرين . لاشك ان قدرة الانسان المحدودة غير قادرة على حل المشاكل اللامتناهية ، ولولا عناية الباري في عالم التكوين والتشريع ، لما وصل ــ الانسان ــالى مقصوده ولضل الهدف العظيم الذي خلق من اجله ، وهو التكامل والتقرب من اللّه ، في هذا العالم المتلاطم .

فـــاللّه العظيم هو الذي يعين الانسان ويمده بعنايته عن طريق القوانين التكوينية والتشريعية وامداه الظاهر والخفي ، وياخذ بيده الى حيث بلوغ الهدف المنشود متجنبا طرق الحياة الملتوية .

لنستمع خاشعين الى الايات التالية الواردة في هذا المجال : ــ.

١ ــ (وكفى باللّه وليا وكفى باللّه نصيرا) (النسا / ٤٥) ((٢٩٣)) .

٢ ــ (واعتصموا باللّه هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) (الحج / ٧٨) ((٢٩٤)) .

٣ ــ (بل اللّه مولاكم وهو خير الناصرين) (ال عمران / ١٥) ((٢٩٥)) .

جمع الايات وتفسيرها.

كـــلـــمـــة (نـــصير) و (ناصر) من مادة (نصر) ــ على وزن عصر ــ وهي بالاصل تعني عمل الخير واعطائه ــ كما قال صاحب مقاييس اللغة ــ ، اما الراغب الاصفهاني فقد قال : بانها تعني المعونة ، وقال صـــاحـــب كـــتـــاب لسان العرب بانها تعني معونة المظلوم ، وجميع هذه التفاسير تعود الى معنى واحد تقريبا.

واحـــيانا يطلق على المطر (نصر) ، وعلى الارض التي تعرضت للامطار(منصورة)، وعلى مسير ومجاري المياه (نواصر) ، وكل ذلك بسبب الامدادات التي توصلها الامطار للموجودات الحية .

وهذه الكلمة عندما تستعمل كصفة من الصفات الالهية فانها ترمز الى الامداد الالهي اللامتناهي الذي يمد به سبحانه عباده .

فـــالـــنـــطـــفة تنتهل من منهل الامداد الالهي منذ اللحظة الاولى لدخولهاالرحم ، وتحاط من كل جانب بالنصر الالهي عن طريق القوانين التكوينية ،وتقضي بعنايته سبحانه مراحل التكامل بسرعة ، حتى تنتهي من مرحلة الجنين وياتي الاذن الالهي في الولادة .

ولاتـــزال يـــد الـــعناية الالهية محيطة به وترعاه كرعاية الام التي توفر له الحليب ذلك الغذا

الكامل الشامل لانواع مواهب الحياة ، فكل هذه الاموراشعة وانوار من الوان النصرة الالهية في هذه اللحظات الحساسة .

وعندما يبلغ هذا الانسان ويخضع للقوانين الالهية التشريعية يضع يده في يد الانبيا ويظله بظل الوحي والكتب السماوية .

وهو ــ اي الانسان ــ مهدد طيلة حياته بالموانع والافات من جهة ،والشياطين والاهوا النفسانية من جهة اخرى ، فلولا نصرة (خير الناصرين) لما نجااحد من هذه المخاطر العظيمة .

والتفكر بهذه الحقيقة يلهم الانسان الامل من جهة ، ويكشف عن سماروحه سحب الياس والقنوط المظلمة في مواجهة المشاكل طيلة حياته ، ويثبت اقدامه ويقوي عزمه وارادته ويجعل قراراته حدية قوية لطي طريق التربية والتكامل .

ومن جهة اخرى فان (التخلق باخلاق اللّه) يعلمه هذه الحقيقة ، وهي ان يكون للمظلومين عونا ، وللمحرومين ناصرا ونصيرا.

٥٢ ــ القاهر ٥٣ ــ القهار ٥٤ ــ الغالب . اشرنا فيما مضى الى ان بعض الصفات الالهية يمكن ان تكون ذات بعدين ، ذاتي وفعلي ولكن بمفهومين .

ويمكن ان تكون صفتا (القاهر) و (القهار) من هذا القبيل ، فلو اعتبرناهامرادفة لصفتي (قادر) و (قدير) لصارت من صفات الذات ، اما لو حملت على مفهوم القهر والغلبة الفعلية الخارجية لصارت من صفات الفعل (تامل جيدا).

وعلى اي حال فان من قدرته غير متناهية فهو قاهر وغالب لكل شي بالطبع ، ومسيطر على جميع الامور ، لا مانع يحول دون مشيئته ، ولا يصعب عليه اي امر.

وقد وردت هذه الصفات الالهية الثلاث في الايات القرآنية ، ولنستمع خاشعين الى الايات التالية .:

١ ــ (وهو القاهر فوق عباده) (الانعام ــ ١٨) ((٢٩٦)) .

٢ ــ (ارباب متفرقون خير ام اللّه الواحد القهار) (يوسف ــ ٣٩) ((٢٩٧)) .

٣ ــ (واللّه غالب على امره ولكن اكثر الناس لايعلمون) (يوسف ــ ٢١) ((٢٩٨)) .

جمع الايات وتفسيرها :.

كلمة (قاهر) و (قهار) من مادة (قهر) ، هي بالاصل ــ كما جا في (مقاييس اللغة) ــ تاتي بمعنى الغلبة والتفوق ، لذا يطلق على الصخور القوية (قهقر) وقال الراغب في مفرداته : بان (القهر) معناه النصر المصحوب باذلال الطرف المقابل ،لذلك تستخدم في كلا المعنيين ، وقال خليل بن احمد في كتاب العين : (القهر)معناه الغلبة والتسلط على احد او شي معين وجا بهذا المعنى في ((لسان العرب)) و ((تاج العروس)).

وعندما تستعمل كلمة (قاهر) و (قهار) بخصوص اللّه سبحانه وتعالى فانهاتاتي بمعنى التغلب على جميع الجبابرة ، والتسلط على جميع المخلوقات ،وعجزها جميعا ازا ارادته وامره عز وجل ،

بـــحـــيث لايستطيع اي موجود ان يحول دون مشيئته وارادته ، ولكن لكون (قهار) من صيغ المبالغة فانها تعطي نفس هذا المفهوم وتبينه بتوكيد اكثر.

والـــبـــلاغ الذي تحمله هاتان الصفتان الالهيتان في طياتهما للمؤمنين ، هوانهما تحذران المؤمنين من غـــرور النفس والظلم والشعور بالتسلط والغلبة ، لان غرور السلطة كان مصدر الكثير من التعاسة وحالات الفشل على مدى التاريخ ،بل يجب عليهم ان يعتبروا انفسهم مقهورين لارادة اللّه ، ويعتقدوا بـــان لـــيس لقدرتهم ادنى تاثير على الارادة الالهية ، ولا ريب من ان الانتباه الى قاهرية وقهارية اللّه يمكنها ان تصد الانسان عن التهور عند الغلبة .

اما كلمة (غالب) فهي من مادة (غلبة) وتاتي بنفس معنى القهر ، وتدل على القوة والشدة والغلبة ، لهذا يطلق على الافراد المتمردين (اغلب) ، و (مغلب)وتعني المنتصر على عدوه ((٢٩٩)) .

ولـــكـــون مفهوم (غالب) يشبه مفهوم (قاهر) ، فان هذه الصفة الالهية تعطي نفس البلاغ السابق ايضا للعباد واهل المعرفة والسلوك .

والـــظـــريف بالامر هو ان الاديان المذكورة اعلاه عندما تتحدث عن قاهرية وغلبة اللّه على جميع الاشيا تختم بالعبارة التالية : (ولكن اكثر الناس لايعلمون).

اجل لانهم لايعلمون بان زمام عالم الوجود بيد اللّه تعالى اجـــل ان امر اللّه تعالى نافذ ، فالما والهوا والتراب كلها ممتثلة لاوامره تعالى ، ولانهم لايلتفتون الى هذه الحقيقة يتيهون في عالم الاسباب فيفرحون اذما كانت الاسباب مساعدة ويقنطون بخلافها ، في حين لو كان لهم ايمان بغلبة الباري وقاهريته لما دب الياس في قلوبهم ابدا ، ولما غرتهم الانتصارات ايضا.

وبـــالـــمناسبة ، ان الاية المذكورة اعلاه تحدثت عن يوسف (ع) الذي اراداخوته ان يقتلوه ولكنهم الـــقـــوه فـــي غـــيابة الجب ، آملين ان يخلو لهم وجه ابيهم (اي حبه) ، لكن اللّه جعل كيدهم سببا في وصوله الى السلطة اجـــل ، ان من احدى اشكال قاهرية اللّه ، هي ان يجعل وسائل غلبة ونجاة الانسان على يد عدوه في اكثر الاحيان ، وهذه هي الحقيقة التي يجهلها اغلب الناس ولا يعلمونها.

٥٥ ــ السلام ٥٦ ــ المؤمن . ان صـــفـــة (الـــسلام) هي اسم آخر من اسما اللّه الحسنى التي لها معنيان ،وهي تعد من صفات الذات وفق احدهما ، ومن صفات الفعل وفق الاخر ، فاذاكانت صفة (السلام) بمعنى ــ السلامة عن اي لون مـــن الـــعـــيـــوب والـــنقائص والافات ــ لصارت من صفات الذات (الصفات السلبية) وهي تناظر صفة (القدوس) تقريبا ،اما لو كانت بمعنى ــ سلامة الناس من ناحيته تعالى ، وتركه لاي لون من ظلم العباد ورعايته للعدل والانصاف معهم ــ لصارت من صفات الفعل .

اجل ، انه سلام لدرجة بحيث لايستوحش او يهاب سالكو طريق قربه من صدور ظلم او اجحاف من نـــاحيته سبحانه ، علاوة على ذلك ، فهو المؤمن الذي يمنح احبائه السكينة والامان وقد وردت هذه الصفة في موضع واحد فقط من القرآن الكريم وهو الاية ٢٣ من سورة الحشر : (هو

اللّه الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن).

جمع الايات وتفسيرها:.

ان كـلـمـة (سـلام) ذات مـفهوم مصدري ، واحيانا يستعمل هذا المصدركصفة ، فمعناه في الحالة الاولـى ـ كـمـا ورد فـي مقاييس اللغة ـ (الصحة والعافية) ،وانما سمي الاسلام بهذا الاسم لانه يـحـجـز الانـسـان عـن مـعصية الحق ومخالفته ،ويدفع به الى الانقياد والطاعة ، وكذلك سميت (التحية) سلام لانها دعاللسلامة .

وتـستعمل كلمة (سلام) بمعنى (الصلح) ايضا ، لانه سلام من الحرب وسفك الدما ، ويسمى المبلغ الـذي يدفع كمقدمة لشرا شي (سلم) لعدم امتناع المشتري عن دفع المبلغ المذكور على الرغم من عـدم استلامه ذلك الشي الذي اشتراه ، وسمي السلم بهذا الاسم لكونه الوسيلة التي يصعد وينزل بها الانسان من المكان المرتفع بسلام .

وعلى اي حال ، عندما تستعمل هذه الكلمة كصفة من صفات الباري تعالى تكون ذات معان مختلفة :.

فقد قال البعض : انها تعني المنزه عن كل عيب ونقص وفنا وعدم يصيب المخلوقات ((٣٠٠)) .

وقال البعض الاخر : انها تعني الذي يواجهك بسلام دون ان يؤذيك ((٣٠١)) .

وقال آخرون : انها تعني الوجود الذي يفيض على الاخرين بالسلامة والسكينة والامان ((٣٠٢)) .

ولكن لايوجد اي دليل على تحديد هذه الصفة وحصرها باحد المعاني المذكورة اعلاه ، بل انها ذات مـفـهوم اوسع واشمل بحيث يضم جميع هذه المعاني ، فهو سالم من اي عيب ونقص ، وسالم من الفنا والعدم ، وسالم من الظلم والجور على عباده ، وهو واهب السلامة .

وبلاغ هذه الصفة هو انها تمنح الانسان المؤمن الشعور بالامن والاطمئنان من العدل الالهي ، ويدفع بـه الـى الاحـتراز من الاعمال التي تمس سلامة روحه وبدنه هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان التخلق بهذه الصفة الالهية يقول للانسان : كن بحيث يسلم من لسانك وبدنك جميع الناس وكن ذا صلح وصفامعهم جميعا.

اما كلمة (مؤمن) فهي ماخوذة من مادة (امن) ، كما قال صاحب المقاييس وهي ذات معنيين متقاربين من بـعـضـهما: احدهما هو الامانة في مقابل الخيانة التي تبعث على سكون القلب ، والاخر هو التصديق بشي معين .

ولـكـن لـم يـذكـر الـراغب في مفرداته سوى معنى واحد وهو سكون النفس وزوال الاضطراب والـخـوف ، ولـكـون قـبـول الاصول العقائدية يمنح الانسان السكينة والامان فانه سمي بمصطلح (الايمان) ، وقولنا آمين بعد الدعا معناه :((اللهم صدق ذلك وحققه)) ، لذا فقد فسروه بمعنى طلب الاستجابة ، وكذلك يسمى البعير المطمئن النشط الذي لايزل (امون).

وعـلى اي حال ، عندما تستعمل هذه الكلمة كاسم من اسما اللّه وندعوه بـ((المؤمن)) فانها

تعني من يـــمـــنح اولياه واحباه الامان ويترحم عليهم بالايمان ،وقال البعض : انه تعالى يدعى بهذا الاسم لانه اول من آمن بذاته المقدسة وصدقها.

وقـــد احـــتمل الفخر الرازي ، في تفسيره ، هذا الاحتمال ايضا وهو ان وصف الباري بصفة المؤمن مـــعـــنـــاه الـــمـــصـــدق رسله باعطائهم المعاجز ((٣٠٣)) وقد قال المرحوم الكفعمي في مصباحه : ((يـــحـــتـــمل ان يكون مفهومها من يصدق وعوده التي وعد عباده بها ، ويحققها)) ، ثم نقل حديثا عن الامـــام الـــصـــادق (ع) انه قال :((سمي سبحانه مؤمنا لانه يؤمن عذابه من اطاعه)) ، وقال البعض الاخر من المفسرين : (المؤمن من يؤمن ظلمه وجوره عباده) ((٣٠٤)) ، وقد ذكر لها في تفسير ((روح الـــبـــيان))معنى جامع يضم اغلب المعاني المذكورة اعلاه وهو : المؤمن هو من لايتحقق اي امان وسكينة الا من ناحيته .

وقد ذكر المرحوم الصدوق في كتاب التوحيد ثلاثة معان لها : ((من يحقق وعوده ، ومن يعلم عباده حقيقة الايمان عن طريق آياته ودلائله ، ومن يؤمن ظلمه وجوره عباده)) ((٣٠٥)) .

ولكن الحق هو ان مفهوم (المؤمن) لايتحدد باي واحد من هذه المعاني ،بل لها معنى جامع يشتمل على جميع ما ذكرناه ، واستعمال كلمة (مؤمن) ،كصفة من صفات اللّه ، في هذا المعنى الشامل لايستوجب استعمال اللفظ في معان مختلفة ، لانها شاملة بما فيه الكفاية (علاوة على عدم وجود مانع من استعمال لفظ مشترك في معان متعددة).

لـــذلـــك فهو (المؤمن) ، لانه يؤمن عباده المؤمنين من عدة نواح ، وايضا لانه يوجد روح الايمان في قلوب عباده عن طريق اراتهم آياته في الافاق وفي انفسهم ، علاوة على انه يصدق ويؤيد رسله عن طريق اظهار المعجزات ،وكذلك لانه يفي بما وعد به عباده من الثواب والعقاب .

امـــا الـــبلاغ الذي تحمله هذه الصفة الالهية في طياتها فهو انها تبين عظمة مقام (المؤمن) ، لان هذا الاسم هو احد اسما اللّه ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ان الانسان المؤمن يحس بالامن والسكينة في ظل هذه الصفة لانها مصدرجميع انواع الامان .

ومـــن جهة ثالثة ان الانسان المؤمن في حال التخلف بهذه الصفة الالهية ،يسعى لمشاركة الاخرين في هذا الامان فيامن الناس من لسانه ويده وفكره ايضا لذا فقد ورد في حديث عن الصادق (ع) انه قال : ((المؤمن من آمن جاره بوائقه)).

وقال ايضا : ((المؤمن الذي ياتمنه المسلمون على اموالهم وانفسهم)) ((٣٠٦)) .

٥٧ ــ المحيي . تـــعد مسالة الحياة من ابرز آيات اللّه في عالم الوجود ، فالحق ان الكائنات الحية اعقد واعجب آثار عـــظـــمـــته (جل وعلا) ، لهذا فقد استند اليها القرآن كثيرافي مباحث التوحيد وذكر اللّه سبحانه وتعالى باسم (محيي الموتى).

مـــع ان كـــلـــمة (محيي) لم ترد في القرآن سوى مرتين : (ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قـــديـــر) (الـــروم ــ ٥٠) ((٣٠٧)) ، وهـــي كما تلاحظون تتحدث عن احياالموتى ،

لكن مشتقاتها وردت تــكرارا في آيات عديدة من القرآن حول حياة وموت النباتات ، الحيوانات ، البشر ، وتعتبر من اهم صفات الفعل الالهي .

جمع الايات وتفسيرها :.

ان كــلمة (محيي) مشتقة من مادة (حياة) التي لها معنيان ــ كما ذكر ذلك في مقاييس اللغة ــ : الاول : بمعنى الحياة اي ضد الموت ، والثاني : بمعنى الحياي ضد الوقاحة .

ولكن بعض المحققين ارجعوا المعنى الثاني الى المعنى الاول وقالوا :الحيا او الخجل بمعنى انقباض الــنفس ازا الرذائل من آثار الكائن الحي ، اوبتعبير آخر الحيا هو حفظ النفس من الضعف والنقصان والعيب والسؤ.

والجدير بالالتفات هو ان (حي) احد اسما المطر ، لانه مادة حياة الارض ، ويطلق ايضا على القبيلة اســم (حي) لانها تحتوي على حياة اجتماعية ،ويطلق على الافعى الكبيرة (حية) ايضا لانها تتمتع بكامل صور الحياة ولها قابلية كبيرة على الانتقال والتحرك ((٣٠٨)) .

وقد ذكر الراغب في مفرداته ستة مصاديق للحياة هي :.

١ ــ الــحياة النباتية ٢ ــ الحياة الحيوانية ٣ ــ الحياة العقلية للانسان ٤ ــ الحياة العاطفية (زوال الهم وحــصــول الــنــشــاط والــلذة) ٥ ــ الحياة الاخروية الخالدة ٦ ــالحياة التي هي احدى صفات اللّه (وتعتبر اكمل واتم انواع الحياة اي كمال العلم والقدرة).

ويــمكن تصور انواع اخرى من الحياة ، ومن جملتها الحياة المعنوية اي الايمان ، وقد اشار القرآن الكريم الى هذا المعنى في آيات عديدة .

وعــلى اي حال فقد تجلت صفة ((المحيي)) في اللّه سبحانه وتعالى من عدة جهات : في عالم النبات حيث نلاحظ ان الكرة الارضية مغطاة من اقصاها الى اقصاها بانواع مختلفة من الاشجار ، الازهار ، الاعشاب الصغيرة والكبيرة ،المائية والبرية ، في الغابات وفي الصحرا ، الطبية والغذائية ، بحيث ان التدقيق في تنوعها وعجائبها يهدي الانسان الى ذلك المبدئ العظيم لعالم الوجود.

واما في عالم الحيوان فقد خلق سبحانه انواع واقسام الاحيا المائية والبرية ، الطيور ، الحشرات ، الــحــيــوانات الوحشية والاليفة ، الاحيا المجهرية والعملاقة ، وبالتالي الانسان الذي يعد النموذج الاتم للحياة .

ومن البديهي انه كلما ازدادت الحياة تعقيدا ازدادت اسرارها وصارت اكثر دهشة ، وهذا في الحال الــذي لايــزال اصل حقيقة الحياة وكيفية خروج الحي من الميت مجهولة ، ولم تزل مساعي وجهود آلاف العلما الفطاحل فاشلة في طريق حل هذه الاحجية .

وعــنــدمــا نــجتاز هذه المرحلة ، تبدا مرحلة الحياة المعنوية الروحانية التي وضع اللّه اسسها عن طــريــق الوحي وانزال الكتب السماوية وارسال الانبياوالرسل ، كما قال سبحانه : (اومن كان ميتا فــاحــيــيناه) (الانعام ــ ١٢٢)، والاية : (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو

مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) (النحل ــ ٩٧).
وقد اشارت الايات القرآنية واكدت مرارا على هذا النوع من الاحياالالهي .
والاعلى من هذه المرحلة ايضا ، هو مرحلة الاحيا الاخروية ، حيث يحيي سبحانه العظام وهي رميم ، يحييها حياة خالدة لاتعرف بعدها اي لون من الموت .
وعلى هذا الترتيب يكون اتصاف الباري بصفة الحياة (المحيي) في الدنياوالاخرة مصدرا لاهم واوسع مظاهر خلقه واما بلاغ هذه الصفة الالهية ، فمن جهة الانتباه الى هذه الحقيقة ، وهي كونه سبحانه (منبع) كل الوان الحياة ، لذايجب ان تتوجه اليه سبحانه في حفظ الحياة الظاهرية والحياة الباطنية ، ونطلب منه الحياة ، لانه محيي كل شي .
ومن جهة اخرى ان التخلق بهذه الصفة يعد مصدرا لاعانة الحياة المادية والمعنوية للبشر ، ولتخليص عباد اللّه من الموت ، ولمحاولة هدايتهم الى اللّه واعمال الخير.
٥٨ ــ الشهيد. تعد صفة (شهيد) من الصفات التي لها معان مختلفة ، وهي من صفات الذات طبقا لبعض هذه المعاني (لان احد هذه المعاني هو ((العلم المصحوب بالحضور والشهود)) ، فهي فرع من صفة العلم في هذه الحالة).
واذا كانت بمعنى الشهادة على اعمال العباد فتحتسب من صفات الفعل ،وذكرها هنا ايضا وفق هذا المعنى ، لنستمع الان خاشعين الى الايتين التاليتين : ــ.
١ ــ (واللّه شهيد على ما تعملون) (آل عمران / ٩٨).
٢ ــ (قل اللّه شهيد بيني وبينكم) (الانعام / ١٩).
جمع الايات وتفسيرها :.
(شهيد) من مادة (شهود وشهادة) ، وهي بالاصل ــ كما ورد في مقاييس اللغة ــ تعني ((الحضور)) و ((العلم)) و ((الاعلام))، والشهادة تستلزم كلا من العلم والحضور والاعلام .
لكن الراغب قال في مفرداته : ان هذه الكلمة تعني الحضور المقارن للمشاهدة سوا بالعين الظاهرة ام بعين القلب .
و (مشاهد الحج) هي الامكنة المقدسة التي يحضر فيها المؤمنون والملائكة .
ويسمى المقتول في سبيل اللّه (شهيدا) اما لحضور ملائكة الرحمة عنده ،او لمشاهدته النعم العظيمة التي اعدت له ، او لحضوره بين يدي اللّه ، او لكون جهاده في سبيل الشهادة بالحق ، او لسقوطه على الارض ، لان احدى اسماالارض (شاهدة).
ويسمى يوم الجمعة ايضا (شاهدا) لانه يشهد اجتماع المسلمين ،ويسمى يوم عرفة (مشهودا) لحضور حجاج بيت اللّه الحرام فيه .

وعلى اي حال ، ان اطلاق هذه الصفة على الذات الالهية المقدسة امابسبب حضوره في كل مكان ، او لشهادته على جميع اعمال العباد ((٣٠٩)) .

والـبـلاغ الـذي تحمله هذه الصفة الالهية الى الجميع هو انها تلفتهم الى حضوره جل وعلا في كل مـكـان ، واطلاعه على اعمال العباد ، فليس الملائكة وكتبة الاعمال فقط ، ولا اعضا بدن الانسان والـزمـان والمكان الذي يعيش فيه يشهدون اعماله ، بل الادهى من ذلك كله هو شهادة الذات الالهية الـمـقـدسـة ،ومـن المسلم به هو ان الالتفات الى هذه الحقيقة والايمان بها له اثر بليغ في ان يصلح الانسان اعماله وحركاته .

اجل ، ان الايمان باللّه سبحانه وتعالى ومعرفة صفاته يعد من اهم وسائل تربيتنا.

٥٩ ــ الهادي . الهداية كلها من عند اللّه ، سوا كانت من حيث التكوين وقوانين الخلق ،ام من ناحية التشريع والتعليم والتربية والاحكام الشرعية .

فهو الذي يرعى النطفة الحقيرة ويهديها في مراحل تكامل الجنين ويصنع منها انسانا عظيما.

وهو الذي ياخذ بايدي العباد ويخلصهم من وادي الضلال ويهديهم الى جادة الهداية عن طريق انزال الـوحي وبعث الانبيا والرسل ، لذا ندعوه في كل صلاة ونقول : (اهدنا الصراط المستقيم) (سورة الحمد) ، وثبت اقدامنا ، و لانه هو الهادي لنستمع الان خاشعين الى الايات التالية :.

وصف اللّه سبحانه بصفة ((الهادي)) مرتين فقط في القرآن هما:.

١ ــ (وكفى بربك هاديا ونصيرا) (الفرقان ــ ٣١).

٢ ــ (وان اللّه لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) (الحج ــ ٥٤) ((٣١٠)) .

جمع الايات وتفسيرها ::.

ان كلمة (هادي) مشتقة من مادة (هداية) ، وتاتي بالاصل بمعنى الدلالة والارشاد المصحوب باللطف ، وسـمـيـت (الـهـديـة) بـهذا الاسم لهذا السبب ايضا ،هذا ما ذكره الراغب في مفرداته ، اما في ((مـقـايـيس اللغة)) فقد ذكر لها معنيين هما:الارشاد ، وارسال الهدية ، ولو ان الراي الاول الذي يرجع كلا المعنيين الى اصل واحد اكثر تناسبا من غيره .

ويـطـلـق في العربية على اليوم (هادي) ايضا ، لانه وسيلة لاهتدا الناس ،ويطلق على العصا التي يـهـتدي بها العمي (هادية) ، وتسمى الحيوانات التي تسيرفي مقدمة القطيع (هوادي) وكذا رقاب الخيول .

ويطلق على البعير والنياق التي يؤتى بها الى بيت اللّه كقرابين (هدي) ــعلى وزن سعي ــ لانها هدايا المؤمنين الى بيت اللّه الحرام ((٣١١)) .

وعـلى اي حال ، عندما تستعمل هذه الكلمة كصفة من صفات الفعل الالهي فانها تدل على مسالة هدايته في جميع شؤون الحياة المادية والمعنوية ،الظاهرية والباطنية ، التكوينية والتشريعية .

ان اللّه الـذي غطت امواج هدايته جميع من في الوجود ، لو حرمنا من هدايته التكوينية والتشريعية لحظة لضللنا وهلكنا.

وقد ذكر في المفردات للهداية اربع مراحل (بالاستشهاد بالايات القرآنية).

١ ــ الهداية العامة التي تشمل جميع المكلفين ، وهي نوع من (الهداية التكوينية) والتي تشمل العقل ، والذكا ، والمعلومات الفطرية والضرورية ، وهي ماوردت في الاية ٥٠ من سورة طه : (ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى).

٢ ــ الهداية التي تتحقق بواسطة انبيا اللّه ورسله والكتب السماوية (الهداية التشريعية) ، وقد اشارت اليها الاية ٢٤ من سورة السجدة : (وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا).

٣ ــ الهداية بمعنى (التوفيق) الخاص بجماعة من العباد ، وقد اشارت اليهاالاية ١٧ من سورة محمد : (والذين اهتدوا زادهم هدى).

٤ ــ الهداية الاخروية الى الجنة (اي بمعنى الثواب الالهي) كما ورد عن لسان اهل الجنة : (الحمد للّه الذي هدانا لهذا) (الاعراف ــ ٤٣) ، وهذه المراحل الاربعة متتالية ، فان لم تحصل الاولى لن تحصل الثانية وان لم تحصل الثانية ، لن تحصل الثالثة ، وهكذا.

واخيرا ، ان البلاغ الذي تحمله هذه الصفة الالهية في طياتها هو انها تقول لنا من جهة : ان كل ما في الوجود مسخر بامر اللّه لهدايتكم ، وعليكم انتم ان تستعينوا بهذه السبل ، وتلبوا هذا الندا الالهي ، وتطووا هذه المرحلة بالطاعة التكوينية والتشريعية لتنجوا من الظلمات والضلال .

ومن جهة اخرى : ان التخلق بهذه الصفة الالهية يوجب على اي واحد منان يسعى لهداية الاخرين ، ويعين ابنا نوعه ، ويسلك بهم مراحل الكمال المختلفة ليوصلهم الى الهدف المنشود (بيت القصيد) ، اي معرفة اللّه وتجلي اسماه وصفاته .

٦٠ ــ خير. تسعمل كلمة (خير) احيانا بمعنى (حسن) وفي الكثير من الاحيان بمعنى (احسن) ، وقد وردت في عشرة مواضع من القرآن الكريم بهذا المعنى الاخير ،مضافة الى صفات اخرى ، وسنطالع ذلك في الايات القادمة .

(الخير) مساو للوجود ، والوجود مساو للخير ، ولكون وجود اللّه وجودامطلقا لا محدودا فهو احسن (خير) الوجود، اجل هو خير الحاكمين وخير الرازقين وخير الناصرين و.

وجميع هذه الصفات من صفات الفعل الالهي ، وقد جمعناها هنا في مكان واحد لنختتم بحثنا بخير.

لنصغي الان خاشعين الى الايات التالية :.

(وانت خير الراحمين) (المؤمنون / ١٠٩) ــ لان رحمتك العامة والخاصة شملت الجميع ، خصوصا عبادك المؤمنين .

٢ ــ (وهو خير الحاكمين) (الاعراف / ٧٧).

٣ ــ (وهو خير الفاصلين) (الانعام / ٥٧).

٤ ــ (وانت خير الفاتحين) (الاعراف / ٨٩).

٥ ــ (واللّه خير الرازقين) (الجمعة / ١١).

٦ ــ (بل اللّه مولاكم وهو خير الناصرين) (آل عمران / ١٥٠).
٧ ــ (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) (الاعراف / ١٥٥).
٨ ــ (وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين) (المؤمنون / ٢٩).
٩ ــ (ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين) (الانفال / ٣٠).
١٠ ــ (رب لاتذرني فردا وانت خير الوارثين) (الانبيا / ٨٩) ((٣١٢)) .

جمع الايات وتفسيرها :.

ان كـلـمـة (خـير) وفق المشهور بين ارباب اللغة والنحويين هي من (افعل التفضيل) ، وقد كانت بالاصل (اخير) ــ على وزن افضل ــ فحذفت همزتهاوانتقلت الفتحة الى الخا فصارت (خير).

وطـبـقـا لـما قاله الراغب في مفرداته فان كلمة (خير) تعني الشي المفضل لدى الجميع ، كالعقل ، والعدل ، والفضيلة ، والاشيا المفيدة ، وضده (شر) ، ثم قسم (خير) الى نوعين :.

الخير المطلق الذي يميل اليه الجميع ، كالجنة ، والخير النسبي المفيدبالنسبة لبعض الافراد كالمال الذي قد يصير منشا لسعادة البعض ، وتعاسة البعض الاخر ولـكن ذكر في مقاييس اللغة بان معناه الاصلي هو : (الرغبة الى شي معين) ، ثم اطلق على ((الاشيا المحببة)) ، وفي مقابله (شر) ، وقد فسره بعض ارباب اللغة ايضا بمعنى الكرم والانعام ، في حين اقتنع البعض الاخر بان الخيرهو النقطة المقابلة (المعاكسة) للشر.

واحـيـانـا استعملت هذه الكلمة بمعنى خاص (مثلا بمعنى المال ، او هونهر في الجنة ينبع من عين الكوثر ، او المنازل الخاصة في الجنة) ، وكلمة (خيار)او (اختيار) المشتقة من هذه الكلمة تعني انتخاب الشي الافضل .

وعـندما تطلق هذه الكلمة على الذات الالهية المقدسة فلها حالتان :فاحيانا تكون مطلقة ومجردة عن اي قيد او شرط ، مثل الاية ٧٣ من سورة طه :(واللّه خير وابقى) هذا ماقاله سحرة فرعون بعد ان آمنوا بموسى (ع).

ففي هذه الحالة تعني الافضلية من جميع الجهات ، وفي الواقع ليس هناك خير مطلق في عالم الوجود سـوى اللّه سـبـحانه وتعالى ، فهو الافضل والاحسن والاشرف وجودا من جميع النواحي واحيانا اخرى تطلق هذه الكلمة على الذات الالهية المقدسة بعد ان تضاف الى شي كالاسما المقدسة المذكورة في الايات العشر اعلاه .

وفي جميع هذه الموارد ذكر اللّه في القياس مع الاخرين ، وطبعا ان هذاالقياس من قسم من الجهات فقط والا فالذات الالهية المقدسة لاتقاس ابدا مع سائر الموجودات .

فـوصـفـت الايـة الاولى اللّه سبحانه بـ (خير الراحمين) ، لان رحمته لامتناهية وتشمل المحب والـمـبـغـض ، الـصالح والطالح ، فرحمته العامة شملت الجميع ، ورحمته الخاصة خص بها عباده المؤمنين ، وهو على اي حال لايريدمنهم اي جزا او رد للجميل .

وقد وصف الباري في الاية الثانية بصفة (خير الحاكمين) ، لان ما يحكم به الاخرون مقرون بانواع الاخـــطـــا والانحرافات الناتجة عن الميول الشخصية والطائفية ، او الاهوا المادية ، لكن حكمه جل وعـــلا مـــنزه عن اي خطا واي افراط وتفريط ، واي ميل الى الباطل ، لان علمه غير محدود وهو غني عن العالمين .

وقـــد ذكـــر في الاية الثالثة باسم (خير الفاصلين) ، لان الناس لو ارادوا ان يميزوا الحق من الباطل فـــامـــا ان يـــقعوا في الكثير من الاشتباهات ولا يميزوا بينهمابصورة صحيحة ، واما ان يلتبس عليهم التمييز بين الحق والباطل بسبب جهلهم ،او يخلطوا بينهما بسبب تحكيم اهوائهم النفسانية .

امـــا الذي يعلم السر وما تخفي الصدور ، واحاط بكل شي علما فلا معنى لكل هذه الامور ، فهو خير الفاصلين .

عـــلاوة عـــلـــى هذا فقد يشخص الانسان الحق من الباطل بصورة جيدة لكنه عاجز عن اعمال علمه ومعرفته ، ولكن اللّه تعالى هو القادر الازلي الوحيد الذي يستطيع اعمال علمه في كل حال .

والاية الرابعة تحدثت عن (خير الفاتحين) ، وكلمة (فاتح) مشتقة من مادة (فتح)، فان كانت بمعنى الـــحـــكم والقضا فان مفهومها يعني ((اللّه خير الحاكمين)) ،وقد ذكرنا سبب ذلك فيما مضى ، وان كانت (فتح) بمعنى فتح كل شي مغلق ،لكان سبحانه وتعالى ايضا ((خير الفاتحين)) ، لانه لايصعب شـــي مـــقـــابـــل قـــدرتـــه ،وان كـــان المقصود منها فتح ابواب الرحمة فهو ذو رحمة وسعت كل شي في الوجود ، في حين لو كانت هنالك رحمة في الموجودات الاخرى فهي محدودة وجزئية .

وبالحقيقة ان لكلمة (فتح) معانيا كثيرة جدا تعود جميعها الى اصل الفتح المطلق ، فاحيانا فتح ابواب الـــعـــلم والرحمة ، واحيانا حل عقدة النزاع بين شخصين ، او فتح (حل) عقدة الحرب ، ويظهر ان تعبير (خير الفاتحين) ذو معنى واسع جدا يشتمل على جميع هذه المعاني والمفاهيم .

وقـــد واصـــفـــت الاية الخامسة الباري تعالى بصفة (خير الرازقين) ، فالارزاق التي يعطيها البعض لغيرهم (ان امكن ان نسميها بهذا الاسم) مشوبة بنقائص عديدة : محدودة ، سريعة الزوال ، لايؤمل مستقبلها ، واحيانا تعقبها المنة والاذى الجسماني او الروحاني ، واحيانا مصحوبة بالتحقير او توقع رد الجميل .

فـــي حـــين ان الارزاق الالهية لاتعرف الحدود ، ولا يخشى عليها من الزوال ، ولا فيها ادنى شي من الـــمـــنـــة والاذى وانتظار رد الجميل ، بل هي تشمل حال الانسان او غيره منذ لحظة انعقاده كنطفة تـــكـــوينة في رحم امه ، وحتى آخرلحظات حياته ، وتشمل حال المستحقين والمؤهلين لها في يوم القيامة ايضا ،وبمستوى اعلى واسمى .

نـــقـــل احـــد المفسرين حكاية عن احد خلفا بغداد مع (بهلول) تعكس المباحث الواردة اعلاه

بصورة لطيفة .

يــقــول : قــال خليفة بغداد لبهلول : تعال اعطك رزقك كل يوم لاريحك من التفكير في طلب الرزق ، فــاجابه بهلول قائلا : لولا بعض النقاط السلبية في عملك لقبلت انك لا تعرف وقت حاجتي ،ثالثا: ولا تعلم مقدارها، رابعا : قد تغضب علي ذات يوم فتسترجعها مني ، لــكن اللّه الذي يرزقني منزه عن جميع هذه النقائص والعيوب ويرزقني حتى في اليوم الذي اعصيه فيه ((٣١٣)) .

وكــم يــكون رائعا لو اضاف بهلول هذه الجملة ايضا : من يضمن بقائك في السلطة في الغد حتى تقدر على رزقي او رزق الاخرين ؟.

نختتم هذا الكلام بحديث مبارك منقول عن امير المؤمنين الامام علي (ع)، حيث قال في بداية خطبة الاشباح :.

((الــحمد للّه الذي لايفروه المنع والجمود ولا يكديه الاعطا والجود ، اذ كل معطمنتقص سواه ، وكل مانع مذموم ما خلاه ، وهو المنان بفوائد النعم ، وعوائد المزيدوالقسم ، عياله الخلايق ، ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه ، وليس بما سئل باجود منه بما لم يسال)) ((٣١٤)) .

وفــي الايــة الــسادسة وصف ذاته المقدسة بصفة ((خير الناصرين)) ، لان الناصر الحقيقي هو من يــقــدر على النصرة ضد كل عدو ، وفي اي مكان وزمان ،وفي اي ظرف ، هو الناصر الذي لايغلب ابــدا ، ولا تــســتــطــيع اية قدرة من الوقوف ضده ، اضافة الى ذلك فهو يحيط علما بجميع مؤامرات الاعــدا ، ونــقــاط ضــعف من يحتمي بهم ، وبغض النظر عن جميع هذا ، فهو سبحانه لاينتظر ردا للجميل الذي يصنعه (النصرة).

ونــحــن نعلم ان هذه الصفات لم تجتمع الا في الذات الالهية المقدسة ، في حين نلاحظ ان الناصرين الاخرين فاقدون لهذه الصفات .

علاوة على جميع ذلك فان استطاع احد ما ان ينصر آخر فنصرته محدودة بدار الدنيا فقط ، اما اللّه سبحانه وتعالى فهو الناصر الوحيد الذي يقدرعلى النصرة الدنيوية والاخروية .

امــا الايــة الــســابــعــة فقد وصف فيها الباري بصفة (خير الغافرين) يقول الفخرالرازي حول هذا الــمــوضــوع :ان سبب وصفه تعالى بهذه الصفة هو لكون الاخرين ان غفروا ذنبا اما لكسب مدح وثنا الــنــاس ، او لــلــحصول على الثواب الالهي الجزيل ، او لدفع قساوة القلب وخلاصة الكلام ان عفو وغفران الناس لبعضهم اما لكسب منفعة ، او لدفع ضرر ما ، في حين ان الغفران الالهي ليس كذلك ابدا ،بــل هــو نــابع من فضله وكرمه لا غير ((٣١٥))

وعلاوة على هذا فان حقوق الناس على بعضهم حقيرة جدا بالقياس مع الحقوق الالهية ، وعفوهم في هذه الحقوق الحقيرة قليل جدا ايضا ، والوحيد الذي يتجاوز عن عظيم الحقوق والخطايا ،ورحمته ومغفرته غير مشروطة بشي هو اللّه سبحانه وتعالى ، لذا هو (خيرالغافرين).

اضـــف الـــى ذلك انه تعالى لايغفر ذنوب عباده فقط ، بل ويستر عليهم ايضاليحفظ كرامتهم في الدنيا والاخـــرة ، ولا يـــفـــتـــضحون امام الخلائق ، بل واحياناايبدل سيئاتهم حسنات شريطة ان لايمزقوا جميع الاستار ، وان يكون لديهم استعداد قليل لتقبل كل هذا اللطف والاحسان .

ان مـــعرفة سبب نزول الاية اعلاه ، التي تحكي عن بني اسرائيل وارتكابهم احد اكبر الذنوب وهو طلبهم رؤية اللّه بالعين الظاهرية كشرط مسبق لايمانهم به ، يبين عمق مفهوم هذه الصفة الالهية اي (خير الغافرين).

ووصف الباري في الاية الثامنة بصفة (خير المنزلين).

فـــبعد ان اشارت الاية الى قصة نوح والطوفان العظيم الذي اصاب قومه ،ذكرت دعا نوح (ع) بعد ان هدا الطوفان ورست سفينته : (رب انزلني منزلا مباركاوانت خير المنزلين).

ويمكن ان تكون كلمة ((منزل)) اسم مكان اي (منزلا) او مصدر ميمي بمعنى (النزول والهبوط).

وعلى اي حال : فمن الواضح ان النزول من االسفينة في تلك الظروف العصيبة ، وبالنظر لعدم وجود بـــيـــت ولا مـــظـــلـــة ولا قوت ولا غذا لايمكن ان يتحقق سوى في ظل لطف اللّه (خير المنزلين) ، وينجيهم من المخاطر التي كانت تهددهم بعد رسو السفينة .

وكذلك تتسبب قدرة اللّه اللامحدودة وعلمه بحاجات ضيوفه في ان يكون (خير المنزلين).

وتـــحـــدثت الاية التاسعة عن المكر الالهي الفريد ازا مؤامرات المنحرفين والظالمين ووصفته جل وعلا بصفة (خير الماكرين).

فـــكـــلـــمـــة (ماكر) مشتقة من مادة ((مكر)) ، وكما قال الراغب انها تعني بالاصل صرف الغير عن الـــوصـــول الى المقصود عن طريق المكر والحيلة ، وهو على قسمين : ممدوح ، وهو ما كان الهدف منه الوصول الى مقصود حسن ، ومذموم :وهو ماكان هدفه قبيحا.

ومـــن هنا يتضح ان ما يختلج في اذهاننا حول اقتران كلمة (مكر) دائما بنوع من الشر والفساد ليس صـــحيحا ، كما هو الحال في كلمة (حيلة) التي لها مفاهيم مشتركة عديدة بالرغم من تداعي المفهوم السلبي منها الى اذهان عامة الناس .

يقول القرطبي في تفسيره : (المكر) معناه (التدبير الخفي في ادا عمل معين).

ولكن يستنتج من بعض كلام ارباب اللغة انهم يعتقدون باقتران كلمة المكر بنوع من المذمة ، لذا فهم يـــقولون ((بان هذه الكلمة ذات معنى مجازي عندما تستعمل بخصوص الباري تعالى)) ، ولكن تعميم مفهوم (المكر) كمايلاحظ عند الكثير من المفسرين والمتكلمين ، يبدو اصح بنظرنا.

وعلى اي حال ان السر في وصفه تعالى بصفة (خير الماكرين) اما لكون قدرته على المكر والحيلة اكبر ممن سواه ، او لان (مكر) من سواه يحتمل فيه الخير والشر ، لكن المكر الالهي ممدوح دائما.

وقـــد ذكـــر الزبيدي في شرح القاموس عدة معان للمكر ، عندما ينسب الى اللّه سبحانه وتعالى ،

من جـــمـــلـــتها : انزال البلا على العدو لا على الصديق والعقوبات الاستدراجية اي الانعام مقابل الاعمال الـــسـيئة (ليحسب) الشخص المسي انه يحسن صنعا ، ثم يعاقبه بعدها ، والثالث : مجازاة العباد على اعمالهم ((٣١٦)) .

وعـــلـــى اي حـــال فان المكر الصحيح هو ما يصدر عن العالم بعواقب الاموروحقائق الاشيا الماضية والـــمـــستقبلية ، اضافة الى قدرته المطلقة على القيام بتدبيره ، ولكون هاتين الصفتين (العلم والقدرة اللامحدودة) منحصرتين بذات الباري جل وعلا فهو ((خير الماكرين)).

والظريف هو ان وصف الباري بصفة (خير الماكرين) قد ورد فقط في موضعين من القرآن الكريم ، احدهما في قصة الهجرة التي تعد من اهم مراحل حياة الرسول الاكرم محمد (ص) في قوله تعالى : (واذ يـــمـــكـــر بك الذين كفروليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين) (الانفال ــ ٢٩).

وكـــمـــا نـــعـــلم فان مؤامرة قريش على قتل الرسول (ص) زادت من عزيمته وقوت من ارادته على الـــهجرة ، الهجرة التي صارت سببا في حدوث اكبرالتحولات في تاريخ الاسلام وانتشار الحكومة الاسلامية في انحا العالم ، وهنايتضح غلبة المكر الالهي .

والاخـــر فـــي الـــمـــؤامرات المشتركة التي حاكها اليهود والنصارى في محاربة الاسلام والرسول الاكـــرم (ص) ــ الايـــة ٥٤ مـــن ســـورة آل عـــمران ــ والتي كانت من اخطر المؤامرات ، لكن اللّه سبحانه قد ابطلها جميعا.

واخيرا فقد وصف الباري تعالى في الاية العاشرة والاخيرة بصفة (خيرالوارثين).

وهـــذه الـــصـــفـــة وردت مـــرة واحدة فقط في القرآن الكريم عن قول زكريا (ع)، في حين يلاحظ تكرار وصف الباري بصفة ((وارث)).

والسر من ورا وصف الباري بهذه الصفة واضح تماما لانه الوحيد الذي يبقى ويدوم ويرث العالمين ، واما سواه من الوارثين فسيكونون موروثين يوما ما.

علاوة على هذا فان ما يرثه الورثة العاديون محدود وهم بحاجة اليه ،اضافة الى بخلهم في صرفه غالبا ، لذا يلاحظ حصول الكثير من المشاكل والنزاعات بين الاقربا من اجل اموال ورثوها ، اما اللّه تـــعـــالى وهو الوارث النهائي للجميع فهو غير محتاج ، ولا يوجد حد لصفته هذه ، ولا طريق للبخل الى وجوده فهو (خير الوارثين).

وكما قال ((الالوسي)) في ((روح المعاني)) : ان هذه الصفة تشير الى بقاالذات الالهية المقدسة ، وفنا جميع الاشيا ((٣١٧)) .

وتـــعتبر طبعا من صفات الذات اذا كانت تشير فقط الى مسالة البقا (اي ابدية وجوده المقدس) ، ومن صفات الفعل اذا كانت تشير الى مفهوم تملك مايبقى من الاخرين (فتامل).

اجل هو خير:. كما لاحظنا في الايات العشر التي ذكرناها اعلاه ، فقد وصف اللّه سبحانه وتعالى بصفات : ((خير الراحمين والحاكمين والرازقين والناصرين و)).

فـــهل يمكن قياس الباري مع غيره تفصيلية).

هناك جوابان على هذا السؤال :.

الاول : ان كـــلمة (خير) تفقد مفهومها التفصيلي في مثل هذه الموارد ،وتعطي معنى الكثرة ، وعليه فـــالـــصـــفـــات اعلاه تشير الى رحمة اللّه الواسعة ،وحكومته الواسعة ، ورزقه الوفير ، ونصرته اللامحدودة ، دون ان يكون هنالك قياس في الموضوع ، ((ماللتراب ورب الارباب)) ؟ ((٣١٨)) .

الـــثـــانـــي : ان هذه الصفات لها مفهوم تفضيل وقياس ، لكنه قياس صوري وظاهري كما هو الحال في (احسن الخالقين)، والحقيقة فقد اعتبر الذين هم واسطة لايصال الارزاق الى غيرهم ((رازقين)) ، وحـــمـــلـــت الـــرحمات الجزئية الصادرة من البشر على حساب ((الرحمة)) ، وهكذا بخصوص الـــنـــصـــرة والـــحـــاكـــمـــيـــة والـــغـــفـــران ، ومـــن قبيل هذه التعابير ليست قليلة في القرآن الكريم (انتخب المرحوم العلامة المجلسي في بحار الانوار التفسير الثاني) ((٣١٩)) .

وبـــتـــعبير آخر : (من الناحية الفلسفية) فان الوجود الحقيقي المستقل القائم بذاته هو الذات الالهية المقدسة ، وما سواه عدم ، وجود ظاهري ، كسراب الما ، لذا فان الموجودات الممكنة لاهي خالقة ولا نـــاصـــرة ولا راحمة ولا رازقة ،فجميع هذه الامور تخص تلك الذات المقدسة الفريدة ، ومن سواه ياكلون من فتات مائدة احسانه جل وعلا ، لذا فقد قيل : ((ليس في الدار غيره ديار)) ولكن من حيث التحليل العادي المتعارف فان الممكنات لها وجودهاالخاص ايضا ، ورحمتها ونصرتها وقـــدرتـــهـــا وحاكميتها الخاصة ، وورود مثل هذه التعابير في القرآن الكريم انما هو من باب تكليم الناس بلسانهم (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) (ابراهيم ــ ٤).

جمع الايات وتفسيرها :. ١ ــ العالم مظهر لصفاته واسمائه :. من المتعارف عليه ان عالم الوجود محل بروز وظهور الصفات الالهية ،وهذه المسالة واضحة تماما خـــصـــوصا بالالفتات الى صفات الفعل ، لان جميع مانشاهده في هذا العالم من الخلق والتكوين مظهر لخالقيته سبحانه وتعالى .

وجميع ما نشاهده من الرحمة المادية والمعنوية مظهر لرحمانيته .

وكـــل تـــدبـــيـــر فـــي هذا العالم يدل على ربوبيته ، وجميع الارزاق الظاهرية والباطنية هي مظاهر لرازقيته سبحانه .

وكما اشرنا سابقا ، ونظرا لكون صفات الفعل مشتقة من افعاله جل وعلا ،وافعاله لاتعد ولا تحصى فان صفاته الفعلية لاتعد ولا تحصى ايضا.

وقد ذكرنا في البحوث السابقة ستين صفة من اهم (صفات الفعل) الواردة في القرآن الكريم ، والتي تتشعب من كل منها صفات اخرى ، وتطرقنا الى تفسيرهاوتحليلها.

ان الانتباه الى هذه الصفات لا يعرفنا بالافعال الالهية فحسب ، بل ان معرفة افعاله تؤدي الى تخلقنا بها وتربية نفوسنا وتهذيب ارواحنا (تامل).

وينبغي التذكير بهذه المسالة ايضا وهي ان بعض الصفات الالهية لاريب في انتسابها الى صفات الذات (مـــثـــل عالم) وبعضها الى صفات الفعل (كالرازق والخالق) ، وبعضها الاخر ذات جانبين ، ذاتية من نـــاحية ، وفعلية من ناحية اخرى ، كالقيوم مثلا فان فسرت بمعنى (القائم بالذات) صارت من صفات الذات ،وان فسرت بمعنى (مقوم الموجودات) صارت من صفات الفعل .

٢ ــ الصفات الاخرى التي تعتبر من زمرة الصفات الفعلية :. هنالك افعال في القرآن الكريم الى اللّه تعالى دون ذكر مصطلحهاالوصفي ، وقد ذكرها علما العقائد بـــعـــنـــوان صـــفـــات الفعل او اسما اللّه الحسنى ،ولانه كان من المقرر ان نبحث في مباحثنا الصفات الـــمذكورة في القرآن الكريم فقط، لذا لم نتطرق اليها ضمن الاسما والصفات التي ذكرناها اعلاه ، في الوقت الذي نعتقد بوجوب الاشارة الى اهمها هنا ، ومن جملتها (متكلم) و (صادق).

ا ــ.

اللّه المتكلم . تمهيد :.

لم يصرح القرآن الكريم بصفة ((المتكلم)) لكنه ذكر الفعل الدال عليها :(وكلم اللّه موسى تكليما) (النسا ــ ١٦٤ و الاعراف ــ ١٤٣) لذا عرف موسى بانه كليم اللّه .

عـــلاوة عـــلـــى هـــذا فـــقد ورد في القرآن الكريم تعبير (كلام اللّه) في ثلاثة مواضع ((٣٢٠)) ، وتعبير (كلامي) في موضع واحد ((٣٢١)) .

ويلاحظ ايضا تعبير (كلمة ربك) او (كلمة اللّه) في موارد عديدة .

يمكن الاستنتاج من مجموع هذه الموارد بان صفة (متكلم) هي من احدى صفات اللّه سبحانه وتعالى .

وكما قال ((القوشجي)) في ((شرح تجريد العقائد)):.

ان وصـــف اللّه بـــصـــفـــة (المتكلم) لاينحصر بالمسلمين فقط ، بل ان جميع ارباب الملك والمذاهب يعتقدون بكلام اللّه بالرغم من اختلاف وجهات نظرهم في تفسير معنى كلام اللّه وتكلمه سبحانه .

جمع الايات وتفسيرها :.

١ ــ.

ما المقصود من كلام اللّه ؟. هـــنالك اختلاف شديد بين المسلمين حول تفسير معنى كلام اللّه ، وفسرته كل طائفة بشكل معين : فـــقـــد قـــال جماعة من الحنابلة : ان كلام اللّه مركب من الحروف والاصوات القديمة والقائمة بذاته الـــمـــقدسة ، ثم اصروا على هذاالكلام التافه الى الحد الذي قالوا : ان جلد القرآن ايضا قديم وازلي ناهيك عن رسوم حروفه .

وقالت جماعة اخرى :ان كلام اللّه معناه تلك الحروف والاصوات ، وهي امور حادثة وقائمة بالذات الالهية المقدسة في نفس الوقت ، وتفاهة كلام هؤلاليس باقل من الحنابلة .

وذهبت طائفة ثالثة الى ان كلام اللّه معناه تلك الحروف والاصوات ، وهي حادثة وغير قائمة بذاته المقدسة ، بل هي من زمرة مخلوقاته التي اوجدها اللّه في وجود جبرائيل او الرسول محمد (ص) ، او شجرة موسى (ع).

وقالت جماعة رابعة وهم ((الاشاعرة)) : ان كلام اللّه ليس من سنخ الاصوات والحروف ، بل هو مـفـاهـيـم قائمة بذاته ويسمونه (كلام نفسي) ،ويعتقدون بكونه قديما ((٣٢٢)) ، وحتى كانوا يعتقدون بكفر من يعتقد بحدوث كلام اللّه (اي القرآن) (واوجبوا قتله ((٣٢٣)) .

وقد شهدت القرون الاولى من تاريخ الاسلام نزاعات شديدة ودموية حول (كلام اللّه) وكونه حادثا او قـديـمـا ، ووصلت الحالة الى تكفير بعضهم الاخر ،نزاعات وقفنا اليوم على بطلانها ، ويمكننا الـقـول وبـجراة : انها كانت من سياسة حكومات ذلك الوقت لتخدير الشعب المسلم والعمل بسياسة (فرق تسد).

٢ ــ.

الاستنتاج النهائي :. على اي حال فهنا توجد مطالب عديدة ، جميعها واضحة ، ونعتقد بان لامحل للمناقشة فيها.

١ ــ ان اللّه قـادر على احداث امواج صوتية في الفضا ، وايصالها الى مسامع انبيائه ورسله لابلاغهم بـهـذه الطريقة ، كما ذكر القرآن حول تكليم اللّه موسى بن عمران (ع) في وادي (ايمن) ، حيث اوجد اللّه في تلك الشجرة المباركة الخاصة اصواتا دعا موسى بواسطتها اليه .

٢ ــ (التكلم) بمعنى التحدث باللسان وعن طريق الاوتار الصوتية ، من عوارض الاجسام ولا معنى له بخصوص اللّه المنزه عن الجسمانية ، سوى ماذكرناه من ايجاد امواج صوتية في الاجسام .

٣ ــ الـقـرآن الكريم الذي في متناول ايدينا هو عين هذه الالفاظ والحروف التي قد تظهر في قالب الكلام احيانا ، وفي قالب الكتابة احيانا اخرى ، ولا ريب في ان كليهما من الحوادث ، وما قاله البعض من كون هذه الالفاظ والحروف قديمة او وجوب الاعتقاد حتى بقدم جلد القرآن وازليته ، خرافات لاتستحق ان نبحثها.

ويـبـدو ان الـذيـن اعـتقدوا بقدم كلام اللّه ، كان منشا اعتقادهم هو ذكر القرآن الكريم (التكلم) كـاحـدى صـفات اللّه ، ومن هنا سمي القرآن بكلام اللّه ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى هو كون وجود اللّه ازليا ، اذا فصفاته يجب ان تكون ازلية ايضا ، ومنه استنتجوا بان كلام اللّه ازلي ايضا.

ان هـؤلا وبسبب ضعف ادراكهم وقلة معلوماتهم لم يستطيعوا التمييز بين (صفات الذات) و (صفات الـفـعـل) ، فصفات ذاته ازلية (كالعلم والقدرة) ، اما الصفات التي ينتزعها عقلنا

بسبب صدور افعال معينة من قبله جل وعلا ، فهي امورحادثة ، لان هذه الصفات غير قائمة بالذات الالهية ، بل هي مفاهيم عقلية منتزعة تحصل من ملاحظة افعاله .

وبتعبير آخر لاشك من وجود افعال الهية حادثة كخلق السموات والارض ، وخلق آدم ، ومسالة الرزق ، وغفران ذنوب العباد ، وارسال الانبياوالرسل ، وعندما يشاهد العقل صدور هذه الافعال من جهته ينتزع منها صفات للّه سبحانه (كالخالقية والرازقية والغفارية) ، ومن المسلم به ان هذه الصفات لم تكن تصدق على اللّه قبل ان يخلق موجودا او يعطيه رزقا او يشمله بمغفرته ،(طبعا كان قادرا على هذه الامور ، لكن الحديث لايدور حول القدرة بل حول صدور عين هذه الافعال).

وبنا على هذا فان هذه الصفات التي تدعى (صفات الفعل) تختلف عن (صفات الذات) القائمة بالذات الالهية المقدسة ، بل هي عين ذاته ، وعدم فهم هذه الحقيقة من قبل معتقدي قدم كلام اللّه وازليته جرهم الى معتقدات مضحكة كقدم جلد القرآن .

٤ ــ اضطر جماعة من الاشاعرة ، ممن كانوا يدركون هذه المسائل ، الى طرح مسالة (الكلام النفسي) ، الكلام الذي يمكن ان يكون قديما وقائما بذات اللّه ، وقد تمسك هؤلا لاثبات هذا المطلب بالاية القرآنية التالية التي تتحدث عن جماعة من المنافقين :(ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا اللّه بما نقول)(المجادلة / ٨).

او بالشعر المعروف عن (الاخطل) احد شعرا العصر الاموي :.

ان الكلام لفي الفؤاد وانما ـــــــــ جعل اللسان على الفؤاد دليلا.

وارادوا بهذا التخلص من التضاد الموجود بين حدوث كلام اللّه وقدم صفاته .

ولكنهم تورطوا بهذا في مشكلة اكبر ، وهي ان لو كان المقصود من الكلام النفسي هو (تصوير الالفاظ والجمل وامرارها من الذهن والفكر) ، فان هذه الامور لا معنى لها بخصوص اللّه تعالى ، لان ذاته المقدسة ليست محلا لمثل هذه العوارض الجسمانية .

وان كان المقصود منه علم اللّه الازلي بمحتوى القرآن الكريم ، فلاريب من انه تعالى قد احاط علما بجميع هذه الامور منذ الازل ، ولكن في هذه الحالة يعود الكلام النفسي الى علم اللّه ولن يكون صفة مستقلة .

والخلاصة هي ان محتوى الكتب السماوية كانت في علم اللّه دائما (منذالازل) ، وهذا الشي لايخرج عن صفة (العلم) واما عين الالفاظ والحروف فلاريب من كونها حادثة ، ولا يوجد هنا شي ثالث تحت عنوان (الكلام النفسي)ليكون قديما ومغايرا لصفة (علم اللّه).

ان هذه الامور واضحة كلها ، لكنه ومع الاسف الشديد فقد سودت النزاعات حول كون كلام اللّه قديما ام حادثا ، صفحات كثيرة من تاريخ الاسلام ،وسببت حوادث دامية .

فاحيانا مالت الحكومات الى جماعة المعتزلة (كبعض خلفا بني العباس) ، فاجبرت الجميع على الاعتقاد بحدوث كلام اللّه ، وضربوا اعناق البعض بسبب عدم اعترافهم بذلك .

وفـــي الـــمـــقـــابل ، كان الكثير من حكام بني العباس يميلون الى الاشاعرة ،ويضربون اعناق القائلين بـــحدوث كلام اللّه ، في حين اننا اليوم نعلم بان كل هذه الامور كانت الاعيب سياسية ظهرت بشكل مـــســـائل عـــقائدية ، وكان الحكام الجبابرة آنذاك يلعبون بمعتقدات المسلمين من اجل بلوغ مقاصدهم المشؤومة ومواصلة تسلطهم على رقاب الناس .

٣ ـــ.

التكلم في الروايات الاسلامية :. نـــواصـــل هـــذا الـــكـــلام بـــروايـــة منقولة عن الامام الصادق (ع) ، نقلها الشيخ الطوسي (رض) في (الامالي) عن ابي بصير عن الصادق (ع) انه قال :.

((لـــم يـــزل اللّه جـــل اسمه عالما بذاته ، ولا معلوم ، ولم يزل قادرا بذاته ولا مقدور ،قلت : جعلت فـــداك : فـــلـــم يـــزل متكلما؟ قال : الكلام محدث ، كان اللّه عزوجل ليس بمتكلم ثم احدث الكلام)) ((٣٢٤)) .

وقد نقل المرحوم الكليني (قدس سره) نفس هذا الحديث في الكافي مع تفاوت بسيط ، حيث ورد في ذيله بصراحة :.

((ان الكلام صفة محدثة ليست بازلية ، كان اللّه عزوجل ولا متكلم)) .

تبين هذه العبارات بوضوح الفرق الموجود بين (صفات الذات) و (صفات الفعل) ، صفات الذات التي كانت منذ الازل كالعلم والقدرة ، ولا تحتاج (في تحققها) الى وجود المخلوقات ، اما (صفات الفعل) فـــهـــي صـــفـــات خارجة عن الذات الالهية وقد انتزعها العقل عند صدور الافعال من قبل اللّه تعالى ، ومـــنـــســـوبـــة الـــيـــه (كـــالـــخـــالقية والرازقية) ، وصفة (التكلم) من هذا القبيل ايضا لانها نوع من الفعل والحركة ، ونحن نعلم بان ليس للحركة طريق الى الذات الالهية المقدسة .

١- مفردات الراغب , مقاييس اللغة , لسان العرب , و مجمع البحرين .
٢- مقاييس اللغة , ومفردات الراغب .
٣- تفسير الفخر الرازي : المجلد ٣٢ , ص ١٨٥.
٤- تفسير الفخر الرازي : المجلد ٣٢ ص ١٨٥.
٥- تفسير الفخر الرازي : المجلد ٣٢ , ص ١٨٥.
٦- اصـــول الكافي : المجلد الاول (باب النهي عن الصفة بغير ماوصف به نفسه) , الحديث ٨١ ــ لا حـــظوا ان الاية اعلاه قد وردت في ثلاث مواضع من القرآن الكريم هي : الانعام ٩١ , الحج ٧٤ , والزمر ٦٧ , في موردين منها بحرف واو.
٧- نهج البلاغة : الخطبة ٩١ (خطبة الاشباح).
٨- بحار الانوار : ج ٣ , ص ٢٨٩.
٩- المجلد الثالث من نفحات القرآن .
١٠- ان لم يكن عجبا فاننا لانستطيع ان نتصور حتى مفهوم (اللامتناهي) فان قيل لنا كيف تستعملون كلمة (اللامتناهي) اذا ؟ وتتحدثون عنها وعن احكامها ؟ افهل يمكن التصديق بدون التصور ؟ فـــي الاجـــابـــة عـــلـــى ذلـــك نقول : اننا اخذنا هذا المصطلح من كلمتين هما (لا) اي النفي والعدم و (متناهي)اي بمعنى (المحدود) , اي ان نتصور هاتين الكلمتين منفصلتين عن بعضهما (لا ومتناهي) اولا ثم نركبهمامع بعضهما لنشير بهما الى موجود لايسعه الخيال والتصور فنحصل منها على معنى اجماليا (تامل جيدا).
١١- التوحيد للصدوق : ص ١١٠ عن الكافي .
١٢- تفسير الفخر الرازي : ج ١٥ , ص ٧٠ , لكن بعضا من هذه الصفات قد ورد في بعض الادعية ,وممنوعيتها غير ثابتة .
١٣- البيان : ج ٤ , ص ٥٠٣.
١٤- بحار الانوار : ج ٤ , ص ٢٠٦.
١٥- تفسير الميزان : ج ٨ ص , ٣٧٥ ذيل الاية ١٨٠ من سورة الاعراف .
١٦- اصول الكافي : ج ١ , ص ١٢ , ح ٦.
١٧- اصول الكافي : ج ١ , ص ١٢ , ح ٧.
١٨- اصول الكافي : ج ١ , ص ٣٥٠ , ح ٦.
١٩- معرفة الائمة : ص ٧٤٣.
٢٠- الدر المنثور عن صحيح البخاري ومسلم ومسند احمد وسنن الترمذي وكتب عديدة مشهورة اخرى (المجلد ٣ , ص ١٤٧).
٢١- تـــوحيد الصدوق : ص ١٩٤ , (باب اسما اللّه تعالى) , الحديث ٨ , ونلفت الانتباه الى ان عدد الاســـماالمذكورة في الحديث اعلاه مائة اسم ولكون لفظ الجلالة (اللّه) جامع لجميع

هذه الصفات فـــانـــه لم يحسب وصار عدد الاسما الحسنى تسعا وتسعين اسما , وقد وضع البعض اسم الرائي بدل الرؤوف .

٢٢- نفس المصدر ص ١٩٥ , الحديث التاسع .

٢٣- لايخفى انه ليس في كلام العرب فعول الا سبوح وقدس , ومعناهما واحد.

٢٤- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق : صفحة ١٩٥ ــ ٢١٧ (بالاضافة الى تفاسير اخرى مستفادة من كتب اللغويين والمفسرين).

٢٥- بحار الانوار : ج ٩٣ , ص ٢٢٥.

٢٦- سفينة البحار : ج ١ , ص ٢٣ , وبحار الانوار : ج ١٤ , ص ١١٣.

٢٧- بحار الانوار : ج ١٣ , ص ٣٧٧.

٢٨- الميزان : ج ٨ , ص ٣٧٢.

٢٩- بحار الانوار : ج ٩٣ , ص ٢٢٣ , اصول الكافي : ج ١ , ص ١٠٧.

٣٠- لزيادة التوضيح راجع المجلد الاول من التفسير النموذجي , ذيل الاية ٧ من سورة البقرة.

٣١- تفسير المنار , والمراغي : في ذيل آية المعنية .

٣٢- روح المعاني : المجلد ٧ , ص ٧٩.

٣٣- تفسير الميزان : المجلد ٧ , ص ٩.

٣٤- مجمع البيان : المجلد الرابع , ص ٢٧٤.

٣٥- ورد فـــي تـــفـــســـيـــر (الـــبـــرهـــان) خمسة احاديث في هذا المجال منقولة عن الصادق (ع) , والكاظم (ع)والرضا(ع).

٣٦- روح البيان : ج ٣ , ص ٤٤ وروح المعاني : ج ٧ , ص ١٤٩.

٣٧- ذكـــر الـــمفسرون ثلاث احتمالات حول مرجع ضمير (منه) : الاول انه يعود الى (اللّه) والـــثـــانـــي ضمير(الشان) والثالث على (القرآن) لكننا نعتقد بان الاحتمال الاول اقوى , ويصير مـــفهوم الاية كالتالي : (وماتتلو اي قسم من القرآن عن اللّه عزوجل الا) والدليل على هذا التفسير هو الاية السابقة لهذه الاية والتي تقول : (ما معناه) (بان ما كان ينسبه الكفار الى اللّه تعالى انما هو كـــذب وافـــتـــرا) فقالت هذه الاية : بان نبي الاسلام منزه عن القيام بمثل هذه الاعمال وان جميع ما يخبر به هو من عند اللّه .

٣٨- مقاييس اللغة , مفردات الراغب , لسان العرب .

٣٩- يوجد احتمالان في معنى هذه الجملة في الاية الشريفة الاول : ان تكون (من) فاعل لـــ(يعلم) والاخـــر :ان تكون (من) مفعولا وفاعله ضمير مستتر يعود على (اللّه) ففي الصورة الاولى يكون مـــعـــنـــى الايـــة هكذا :((هل ان الخالق لايعلم ؟)) وفي الصورة الثانية يكون المعنى ((هل ان خالق الكائنات لايعلم بها)) والنتيجة واحدة بالرغم من ان الاول اقرب .

٤٠- الاستفهام الاستنكاري يعطي معنى النفي , ووجود لا النافية في الاية يصبح نفي النفي اثبات .

٤١- تفسير الفخر الرازي : ج ٢٥ , ص ١١٧ , والقرطبي : ج ٨ , ص ٥١٥٨.

٤٢- الدر المنثور : ج ٥ , ص ١٦٩.

٤٣- تفسير نور الثقلين : ج ٤ , ص ٢١٨.

٤٤- للمزيد من الاطلاع يراجع ((الدر المنثور)) ج٥ ص ١٦٩ فصاعدا , وتفسير ((نو الثقلين)) ج٤ ص ٢١٨فصاعدا , وتفسير ((البرهان)) ج٣ ص ٢٨٠.

٤٥- نهج البلاغة : الخطبة ١٢٨.

٤٦- اعتقد بعض المفسرين كالزمخشري في كشافه بان لهذه الكلمة معنى اسميا لا وصفيا مثل (عاقبة) , و(ذبيحة) , ولو انه احتمل المعنى الوصفي ايضا (تفسير الكشاف , ج ٣, ص ٣٨٢) , وذكر البعض الاخركلا الاحتمالين للاية المذكورة .

٤٧- قال جماعة بان (مبين) من مادة (بيان) وهي في الاصل بمعنى الانكشاف والوضوح بعد الابهام والاجمال بوسيلة منفصلة لذا فهي تعطي معنى الانفصال ومعنى الوضوح معا.

٤٨- مفردات الراغب ومقاييس اللغة ولسان العرب وتفسير الميزان والفخر الرازي والقرطبي وفي ضلال القرآن وغيرها من التفاسير.

٤٩- (وسواس) اسم مصدري , و (الوسواس) بكسر الواو ذو معنى مصدري , وقد تاتي الكلمة (اسم فاعل)اي الشيطان , (لسان العرب).

٥٠- الفرق الموجود بين هذه الاشكالات الثلاث هو ان الاول يتعلق بتعدد العالم والمعلوم والثاني بتغييرالموجودات , والثالث بتكثرها.

٥١- نهج البلاغة : الخطبة ١٩٨.

٥٢- نفس المصدر: الخطبة ١٥٢.

٥٣- نفس المصدر : الخطبة ٨٦.

٥٤- اصول الكافي : ج ١ , ص ١٠٧.

٥٥- نفس المصدر.

٥٦- الايات اعلاه نماذج حول وصفي ((السميع)) و((البصير)) , حيث انها تشتمل على نكانت كثيرة كما ان هنالك آيات قرآنية كثيرة اخرى حول هذا الموضوع , سنشير اليها ادناه , اما تفسيرها فسيتضح من الايات اعلاه :. البقرة / ١٨١ و٢٢٤ و٢٢٧ و٢٥٦ , آل عمران / ٣٤ و ٣٥ و١٢١ , المائدة / ٧١ , الانعام / ١٣ و١١٥ , الانفال / ١٧ و٤٢ و ٥٣ و ٦١ , التوبة / ٩٨ و ١٠٣ , يونس / ٦٥ , الاسرا/ ١ , الانبيا/ ٤ ,الحج / ٦١ و ٧٥ , النور/ ٢١ و ٦٠ , لقمان / ٢٨ , غافر/ ٢٠ و ٥٦ , الصف / ٣٦ , الدخان / ٦

,الحجرات / ١ , المجالة / ١ , النسا/ ١٣٤ و١٤٨. البقرة / ٩٦ و١١٠ و ٦٥ , آل عمران / ١٥ و٢٠ و ١٥٦ و ١٦٣ , الانعام / ٢٩ و ٧٢ , هود/١١٢ ,الاســـرا/ ١٧ و ٣٠ و ٩٦ , سبا/ ١١ , فاطر/ ٤٥ , فصلت / ٤٠ , الشورى / ٢٧ , الحجرات /١٨ ,الحديد/ ٤ , الممتحنة / ٢ , التغابن / ٢ , الفرقان / ٢٠ , الاحزاب / ٩ , الفتح / ٢٤ , الانشقاق / ١٥.

٥٧- مفردات الراغب , مقاييس اللغة , لسان العرب والتحقيق في كلمات القرآن الكريم .

٥٨- وردت روايـــات كثيرة في هذا المجال , ولزيادة الاطلاع راجع تفسير البرهان : ج ١ , ص ٣٨٠ ,وتفسير نور الثقلين : ج ١ , ص ٤٩٦.

٥٩- ((الـــذرية)) بمعنى الولد وتطلق على المفرد والجمع بلفظ واحد , لكنها اطلقت هنا واريد منها المفردوذلك بقرينة ((وليا)) التي جات في الاية ٥ من هذه السورة .

٦٠- القرطبي : ح ٢ , ص ١٣١٤ , وروح البيان : ج ٢ , ص ٣٠ , وروح المعاني : ج ٣ , ص ١٢٨ في ذيل الاية المذكورة .

٦١- التفسير الكبير : ج ٢٧ , ص ٢٤ , في تفسير روح البيان : ج ٧ , ص ٣٤٦ , فيه اشاره الى هذا المطلب .

٦٢- نهج البلاغه : خطبه ٦٥.

٦٣- نهج البلاغه : خطبه ١٥٢.

٦٤- نهج البلاغة : خطبة ١.

٦٥- اصول الكافي : ج ١ , ص ٨٣ , ح ١.

٦٦- بحار الانوار : ج ٤ , ص ٦٢ عن امالي الصدوق وكذلك التوحيد.

٦٧- اصول الكافي : ج ٢ , ص ٦٧ , ح ٢.

٦٨- اصـــول الكافي : ج ٢ , ص ٧ , ح ١٠ ذيل يفيد ان الامام قال هذا الكلام في تفسير الاية (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى).

٦٩- نور الثقلين : ج ٢ , ص ٤٢٢.

٧٠- روح البيان : ج ٨ , ص ١٨٨.

٧١- شرح التجريد : ((في ان اللّه سميع بصير)).

٧٢- تفسير الفخر الرازي : ج١٣ , ص ١٢٤.

٧٣- وكـــمـــا قلنا فلفظة ((حكيم)) قد وردت في آيات مختلفة من القرآن الكريم اكثر من تسيعن مرة , لكن الايات اعلاه شاملة لمختلف التعابير حول هذا الموضوع .

٧٤- مفردات الراغب , مقاييس اللغة , لسان العرب والتحقيق في كلمات القرآن الكريم .

٧٥- في تفسير فخر الرازي : ج ١٦ , ص ١٩٣ , وتفسير روح المعاني : ج ١١ , ص ١٦ , اشار خفيفة الى هذا المطلب .

٧٦- تفسير الكاشف : ج ٢ , ص ٣٧٧.

٧٧- بحار الانوار : ج ١ , ص ٢١٥ , ح ٢٦.
٧٨- بحار الانوار : ج ١ , ص ٢١٥ , ح ٢٦.
٧٩- وهناك آيات اخرى تتضمن هذا المعنى وهي : المائدة ١٧ , الرعد ١١ , الكهف ٨٢ , الاحزاب ١٧ و٣٣ و٣٨ , الاسرا ١٦ , الانعام ١٢٥ , البقرة ١٨٥ , آل عمران ١٧٦ , النسا ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ , المائدة ١و ٦ و ٤١ , الانفال ٧ , التوبة ٥٥ , هود ١٠٧ , الحج ١٤ و ١٦ فاطر ١٠ , البروج ١٦.
٨٠- مفردات الراغب , مقاييس اللغة , لسان العرب .
٨١- مفردات الراغب , ونهاية ابن الاثير , ومصباح اللغة , وصحاح اللغة , ولسان العرب , ومجمع البحرين .
٨٢- التحقيق في كلمات القرآن الكريم .
٨٣- اشار القرطبي في تفسيره الى هذا الموضوع في الجز ٧ , ص ٤٧٤.
٨٤- بحار الانوار : ج٤ , ص ١٣٧ ح ٤.
٨٥- اصول الكافي : ج١ , ص ١٠٩ باب الارادة والمشيئة ح ٣.
٨٦- توحيد الصدوق : ص ٣٣٧ باب المشيئة والارادة ح ٥.
٨٧- اصول الكافي : ج١ , ص ١٥٢ باب المشيئة والارادة ح٦ .
٨٨- يجب الالتفات الى ان صفة (القدير) وردت فى القران المجيد (٤٥) مرة تقريبا بالنسبة الى اللّه تعالى ,فتارة بشكل : ان اللّه على كل شى قدير ., وتارة : واللّه على كل شى قدير ., وتارة : انك على كل شى قدير ., وتارة : وهو على كل شى قدير ., وتارة : وان اللّه على نصرهم لقدير ., وتارة : وهو على جمعهم اذا يشا قدير وتعابير اخرى . وقد وردت كلمة (القادر) سبع مرات , ويلاحظ ايضا فى بعض الايات (قادرون) و (قادرين) بالنسبة الى اللّه تعالى , وكذلك ورد نفى العجز عن اللّه تعالى والقدرة الواسعة له عز وجل والماخوذة من مادة (القدرة والعجز والسعة) وهي مذكورة في معاجم اللغة , وماذكر اعلاه من الايات العشرة انما هي تعابيرجامعة للاقسام الثلاثة .
٨٩- مفردات الراغب : مادة قدر.
٩٠- مقاييس اللغة : مادة قدر.
٩١- لسان العرب : مادة قدر.
٩٢- مقاييس اللغة , مفردات الراغب , ولسان العرب .
٩٣- مقاييس اللغة , مفردات الراغب , لسان العرب .
٩٤- راجع التفسير الامثل : ج ٢٢ , ص ٣٧٣ , الاية ٤٧ الذاريات .
٩٥- تفسير نمونة : ج ٢٤ , ص ٢٦٠.
٩٦- ((يعي)) من مادة ((عي)) بمعنى العجز عن ادا عمل ما , وتطلق هذه اللفظة على حالة

العجز عن الكلام ايضا.

٩٧- التفسير الكبير للفخر الرازي : ج ٨ , ص ١٠٥.

٩٨- تلخيص من (نهاية الحكمة) ص ١٦٦.

٩٩- كشف المراد : ص ٨٤.

١٠٠- كشف المراد : ص ٨٤.

١٠١- بحار الانوار : ج ٤ , ص ١٤٣ , ح ١٠.

١٠٢- المصدر السابق .

١٠٣- اصول الكافي : ج ١ , ص ٩١ باب النسبة , ح ٣.

١٠٤- مجمع البيان : ج ٩ , ص ٢٣٠.

١٠٥- نـــهـــج البلاغة : عن تفسير نور الثقلين : ج ٥ , ص ٢٣٧ ويحتمل ان يكون في بعض النسخ الخطية .

١٠٦- نهج البلاغة : الخطبة ٩١.

١٠٧- تفسير القرطبي : ج ٩ , ص ٦٤٠٦.

١٠٨- تفسير فى ظلال القرآن : ج ٧ , ص ٧١٨.

١٠٩- تفسير الفخر الرازي : ج ٢٥ , ص ٢٤.

١١٠- اصول الكافي : ج١ ص ١١٥ (باب معاني الاسما) ح٥ .

١١١- نفس المصدر : ص ١١٦ ح ٦.

١١٢- برتراندراسل , في كتابه (لم لم اكن مسيحيا).

١١٣- مقاييس اللغة , مفردات الراغب , لسان العرب .

١١٥- تفسير الميزان : ج ٢ , ص ٣٤٨.

١١٦- تفسير روح البيان : ج١ , ص ٤٠٠ (في ذيل آية الكرسي الاية ٢٥٥ من سورة البقرة).

١١٧- ورد هذا التعبير وكذلك تعبير الاية التي قبلها في ستة موارد في القرآن الكريم , حيث ينزه اللّه تعالى عما يصفه به المشركون والجاهلون (الانعام ١٠٠ , الانبيا ٢٢ , المؤمنون ٩١ , الصافات ١٥٩ ,و١٨٠ , الـــزخـــرف ٨٢) ومضافا الى الايات التي تشتمل على عنوان (تسبيح اللّه) فكلها توضح مقصودنا ,وقد ذكرنا منها نماذج مختلفة اعلاه .

١١٨- مـــقـــاييس اللغة , مفردات الراغب , مصباح اللغة , لسان العرب , والتحقيق في كلمات القرآن الكريم (مادة سبح).

١١٩- اوردنـــا فـــي التفسير الامثل بحوثا عديدة حول عموم التسبيح لموجودات العالم وبيان كيفية هـــذه المسالة المهمة (راجع المجلد ١٢ , ذيل الاية ٤٤ من سورة الاسرا ص ١٣٣ , والمجلد ١٤ ذيل الاية ١٤١ من سورة النور ص ٤٩٧).

١٢٠- اصول الكافي , ج ١ , ص ١٠٠ , باب النهي عن الصفة بغير ماوصف به نفسه , الحديث الاول .

١٢١- نهج البلاغة : الخطبة ١٧٨.

١٢٢- نهج البلاغة : الخطبة ١١٢.

١٢٣- البحار : ج٣ ص ٢٨٧.

١٢٤- بحار الانوار : ج ٣ , ص ٣٠٩ , ح ١.

١٢٥- .

١٢٧- دعا يوم الاثنين للامام السجاد (ع) .

١٢٨- نهج البلاغة : حديث ١٦٥.

١٢٩- تفسير الفخر الرازي : ذيل الاية ٥٥ من سورة البقرة .

١٣٠- الميزان : ج ٨ , ص ٢٦٩.

١٣١- كان اسمه على بن اسماعيل , ويرجع نسبه الى ابي موسى الاشعري , ولد في البصرة عام ٢٦٠ او ٢٧٠ , وفي البداية كان يميل الى مباني مذهب المعتزلة , ثم عدل الى مذهب اللّه ومخلوقية القرآن ,وابتدع مذهبا جديدا في اصول الدين كان اقرب الى ذهن العامة واكثر استحسانا من قبل المتعصبين , لذافقد اعتنق الكثير مذهبه , وسلك طريقه جمع من العلما كالغزالي وابي بكر الباقلاني والفخر الرازي والشهرستاني وابي اسحاق الشيرازي وقام بترويج عقائده بعض ارباب السلطة الذين اتخذوا من الدين وسيلة لنيل ماربهم السياسية امثال الايوبيين في مصر والشام والموحدين في المغرب (دائرة المعارف ,ابو الحسن الاشعري ــ بتلخيص بسيط).

١٣٢- شرح القوشچي : ص ٤٣٥ و ٤٣٦.

١٣٣- نهج البلاغة : الخطبة ١٧٩.

١٣٤- اصول الكافي : المجلد الاول , ص ٩٩ , ح١١ (باب في ابطال الرؤية).

١٣٥- نفس المصدر السابق , ح ٥.

١٣٦- فوقع : اي كتب ة .

١٣٧- توحيد الصدوق : ص ١٠٨ , ح٣ , واصول الكافي : ج١ , ص ٩٨.

١٣٨- توحيد الصدوق : ح٩ , ص ١١١.

١٣٩- راجع كتاب بحار الانوار : ج ٤ ص ٢٦ وكتاب توحيد الصدوق : ص ١٠٧ــ ١٢٢ واصول الكافي : ج١ , ص ٩٥ ــ ٩٩.

١٤٠- سنن ابن ماجه : ج ١ (المقدمة ــ الباب ١٣ , ح ١٧٧) نلاحظ في مجمع البحرين (تضام القوم اي انضم بعضهم الى بعض).

١٤١- نفس المصدر : ح ١٧٨.

١٤٢- نفس المصدر : ص ٦٤ , ح ١٨١.
١٤٣- نفس المصدر : ص ٦٥ , ح ١٨٤.
١٤٤- صحيح البخاري : ج ١ , ص ١٤٥ و١٥٠ (طبع دار الجيل بيروت).
١٤٥- نفس المصدر السابق : ج ٦ , ص ٥٦ تفسير سورة النسا.
١٤٦- صحيح مسلم : ج ١ , كتاب صلاة المسافرين , (باب الترغيب في الدعا) , الحديث ١٧٠٧٠ .
١٤٧- سنن ابن ماجة , المجلد الاول , ص ٦٥ , المقدمة , الحديث ١٨٣ ــ كنف على وزن هدف , له معان عديدة من جملتها الذراع , الصدر ن الجناح , الجانب , والظل .
١٤٨- الميزان : ج٢٠ ص ٢٠٤.
١٤٩- كتاب (كلمة حول الرؤية , ص ٤٨ ــ ٥٣ باختصار).
١٥٠- تفسير الفخر الرازي : ج ٣ , ص ٥١ , ذيل الاية ٤٦ من سورة البقرة .
١٥١- (ص ٦٧ / ٨٠).
١٥٢- الملل والنحل : المجلد الاول , ص ٩٦ ــ ٩٧.
١٥٣- الوفرة (بفتح فسكون) شعر الراس اذا وصل الى شحمة الاذن .
١٥٤- شــعــر قــط (بــالفتح والتشديد) وقطط (الفتحتين) وقيل قصير كثير الجعودة , حسن التجاعيد.
١٥٥- بحار الانوار : ج ٣ , ص ٢٨٩.
١٥٦- الملل والنحل : ص ٩٧ من الجز الاول .
١٥٧- بحار الانوار : ج٣ , ص ٣١١ , الحديث ٥ باختصار.
١٥٨- لــزيــادة الاطــلاع على روايات هذا الموضوع راجع كتاب توحيد الصدوق ــ باب انه عز وجل ليس بجسم ولا صورة ــ ص ٩٧ ــ ١٠٤ (فهنالك عشرون رواية منقولة حول هذا الموضوع) .
١٥٩- توحيد الصدوق : نفس الباب السابق , الحديث رقم ٢٠. ١٦٠ ماذكر اعلاه هو قسم مجمل من هذه الايات , وتوجد آيات قرآنية مشابهة للتي ذكرناها اعلاه كالاية ٢٠من سورة البروج والاية ٣ من سورة الانعام .
١٦١- تفسير الفخر الرازي : ج ٢٧ , ص ٢٣٢.
١٦٢- تفسير نور الثقلين : المجلد الرابع , ص ٦١٧ , الحديث ٩٨.
١٦٣- ورد توضيح اكثر حول علم اللّه في بحث علم اللّه في نفس هذا المجلد.
١٦٤- تفسير الفخر الرازي : ج٢٩ , ص ٢١٤.
١٦٥- تفسير الميزان : ج ١٩ , ص ١٦٧.
١٦٦- تفسير القرطبي : المجلد التاسع , ص ٦٤٠٧ , ويلاحظ وجود معنى قريب من هذا

التفسير في تفسيرابو الفتوح الرازي ج١١ , ص ٣٨ , وقد نقل ايضا في تفسير فخر الرازي عن المتكلمين بان هذه المعية امامن جهة العلم او من جهة الحفظ والحراسة , المجلد ٢٩ , ص ٢١٥.

١٦٧- التحقيق , مفردات الراغب , مجمع البحرين , لسان العرب , تفسير الميزان والقرطبي وغيره .

١٦٨- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلا مة الحلي ص ٢٢٧.

١٦٩- نهج البلاغة : الخطبة ١٣٢.

١٧٠- نهج البلاغة , الخطبة ١٨٣.

١٧١- البحار : ج٣ , ص ٣٣٠ ــ توحيد الصدوق ــ ص ٢٤٨ , ج ١ , الباب ٣٦.

١٧٢- البحار : ج٩٠ , ص ٣٠٨ , الحديث السابع وقد ورد الحديثان السابقان في تفسير نور الثقلين : ج٥ ,ص ١٢٤ ــ ١٢٥.

١٧٣- المحجة البيضا : ج ٢ , ص ٢٩٨.

١٧٤- اصول الكافي : ج٢ , ص ٤٧٩ (باب الرغبة والرجعة) ج٢ .

١٧٥- البحار : ج٣ , ص ٣٠٩.

١٧٦- البحار : ج٣ , ص ٣١٠.

١٧٧- كتاب التوحيد للصدوق : ص ١٧٨ , الحديث ١١.

١٧٨- كتاب التوحيد للصدوق : ص ١٧٥ الحديث ٤.

١٧٩- كتاب التوحيد للصدوق : ص ١٧٨ الحديث ١٢.

١٨٠- كتاب التوحيد للصدوق : ص ١٨٠ , الحديث ١٥.

١٨١- سورة البقرة :الاية ٢٥٥.

١٨٢- لما كان الاستوا على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك , جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة (الكشاف المجلد ٣ , ص ٥٢).

١٨٣- الميزان : ج١٤ , ص ١٣١.

١٨٤- تفسير الفخر الرازي : ج ٢٢ , ص ٥.

١٨٥- تفاسير : (مجمع البيان) , (الميزان), (القرطبي), (ابو الفتوح الرازي) وغيرها.

١٨٦- سورة الحديد : الاية ٤.

١٨٧- سورة ق : الاية ١٦.

١٨٨- سورة البقرة : الاية ١١٥.

١٨٩- سورة الزخرف : الاية ٨٤.

١٩٠- فسر بعض المفسرين الاستفهام الموجود في الاية بانه استفهام تحذيري ,

وقد روا كـــلـــمة (امر) محذوفة كما مر في بعض الايات السابقة , وقالوا : ان على هذه الجماعة من الكفار ان ينتظروا مجي امر اللّه بالعذاب ومجي ملائكة الحساب لمحاسبتهم .

١٩١- نهج الحق : ص ٥٨ و ٥٩.

١٩٢- دفتر المثنوي الخامس : ص ٨١٨ طبع سبهر طهران .

١٩٣- دلائل الصدق : ج١ , ص ١٣٧.

١٩٤- يجدر الانتباه الى ان نفس هذا المفهوم بخصوص بطلان الحلول والاتحاد قد ورد في شرح تـــجريدالعقائد للعلامة الحلي باستدلال مفصل (كشف المراد, ص ٢٢٧, باب انه تعالى ليس بحال في غيره ونفي الاتحاد عنه).

١٩٥- مفردات الراغب الاصفهاني .

١٩٦- مقاييس اللغة .

١٩٧- ورد هذا التعبير في ست آيات من القرآن الكريم :. الانعام ــ ٤, ابراهيم ــ ١٠, فاطر ــ ١, الزمر ــ ٤٦, الشورى ــ ١١, والاية الواردة في البحث .

١٩٨- ورد هذا الوصف في الاية ٥٤ من سورة البقرة ايضا.

١٩٩- ورد نفس هذا التعبير في الاية ١١٧ من سورة البقرة .

٢٠٠- المفردات , لسان العرب , التحقيق , ومقاييس اللغة (وقد ذكر في مقاييس اللغة مفهوم آخر لها وهوالانقطاع والتعب).

٢٠١- مصباح الكفعمي : ص ٣١٩.

٢٠٢- تكررت كلمة مالك ثلاث مرات فقط في القرآن , اثنان منها تخص الباري تعالى ومرة تخص مالكاملك النار.

٢٠٣- وردت كـــلـــمـــة (ملك) في القرآن احد عشر مرة , خمس منها في وصف اللّه (طه ــ ١١٤, المؤمنون ــ ١١٦,الحشر ــ ٢٣, الجمعة ــ ١, الناس ــ ٢).

٢٠٤- وردت هـــذه الـــكـــلمة في القرآن الكريم خمس مرات فقط جميعها في وصف الباري تعالى , (الاعراف ــ٨٧ , يونس ــ ١٠٩, هود ــ ٤٥, يوسف ــ ٨٠ , التين ــ ٨).

٢٠٥- تـــكـــررت كـــلـــمة (رب) في القرآن الكريم اكثر من تسعمائة مرة وهذا يدل على الاهمية الفائقة لهذه الصفة الالهية

٢٠٦- تكررت هذه الكلمة في القرآن لمئة مرة تقريبا , اغلبها لوصف اللّه سبحانه وتعالى .

٢٠٧- مجمع البيان : ج١ , ص ٢٣.

٢٠٨- نـــقـــل هـــذيـــن الـــتفاوتين الفخر الرازي في تفسيره عن بعض المصادر(المجلد الاول ــ ص ٢٣٧).

٢٠٩- مصباح الكفعمي : ص ٣١٨.

٢١٠- ذكر المرحوم الكفعمي في المصباح عكس هذا , وكذلك ابن الاثير في النهاية , فقد ذكر

ان الولاية تعني تصدي ادارة الامور , والولاية بمعنى النصرة والمساعدة , ولا يستبعد ان يكون هنالك خطا في نقل كتاب المفردات .

٢١١- من معانيها رب , عم واولاد العم , ولد , ابن الاخت , مطلق سراح العبد, مالك , تابع , المنعم عليه ,شريك , زوج , صاحب , جار, ضيف , زوج البنت , قريب , منعم , عقيد, ولي , اولى , سيد, صديق , ناصر,المتصرف في الامور, مدبر الامور الغدير , ج ١ , ص ٣٦٢.

٢١٢- نهاية ابن الاثير : ج ٥ , ص ٢٢٨, مادة ولي .

٢١٣- التحقيق في كلمات القرآن الكريم : مادة (حفظ).

٢١٤- مصباح المنير للفيومي .

٢١٥- التحقيق في كلمات القرآن الكريم .

٢١٦- لسان العرب , مقاييس اللغة , ونهاية ابن الاثير وقد نقل في بعض التفاسير عن ابي عبيدة احد علماء اللغة بانه قال : يوجد في كلام العرب خمسة اسما فقط على هذا الوزن هي :(المهيمن)(المبيطر) ,(المسيطر), (المبيقر) , و(المخيمر) عن تفسير ابي الفتوح الرازي .

٢١٧- مصباح الكفعمي : ص ٣١٨.

٢١٨- يجدر الانتباه الى ان كلمة (كريم) قد وردت في سبعة وعشرين موضعا من القرآن الكريم , لكنها ذكرت كصفة للباري في موارد محدودة جدا.

٢١٩- وردت كلمة حميد في سبعين موضعا من القرآن , مصحوبة غالبا بكلمة غني وذكرتا كصفتين من الصفات الالهية .

٢٢٠- مفردات الراغب , مقاييس اللغة , والتحقيق في كلمات القرآن الكريم .

٢٢١- واليك نماذج من تلك الاحاديث :. ا ــ عن ابي خالد الكابلي قال دخلت على ابي جعفر(ع) فدعا بالغدا فاكلت منه طعاما ما اكلت طعاما قطاطيب منه ولا الطف فلما فرغنا من الطعام قال : يابا خالد كيف رايت طعامك او قال طعامنا؟ قلت : جعلت فداك ما اكلت طعاما اطيب منه قط ولا انظف ولكن ذكرت الاية في كتاب اللّه عز وجل (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) فقال ابو جعفر (ع) انما يسئلكم عما انتم عليه من الحق . ب ــ عن الامام جعفر بن محمد(ع) انه قال (ثم لستئلن يومئذ عن النعيم) واللّه ماهو الطعام والشراب ولكن ولايتنا اهل البيت . تفسير البرهان : ج٤ , ص ٥٠٢, الحديث ٤, ٥, ٦, ٧, ٨, ٩, ١١, ١٢, ١٣.

٢٢٢- مصباح الكفعمي : ص ٣٢٧.

٢٢٣- مصباح الكفعمي : ص ٣٢١.

٢٢٤- تكررت كلمة (رحمن) في (٥٦) موضعا من القرآن ــ عدا البسملة ــ مما يدل على اهتمام القرآن البليغ بهذه الصفة .

٢٢٥- تــكررت كلمة (رحيم) في (١١٤) موضعا من القرآن ــ عدا البسملة ــ مما يحكي ايضا عن اهميتها البليغة .

٢٢٦- وردت هــذه الكلمة اربع مرات في القرآن الكريم , احيانا بنحو الخطاب كما ورد في الاية اعلاه ,واحيانا كضمير غائب مثل (وهو ارحم الراحمين) (يوسف ــ ٦٤, ٩٢).

٢٢٧- وردت كلمة (رؤوف) في اربعة عشر موضعا من القرآن مصحوبة في اغلبها بصفة الرحمة كما هو الحال في الاية المذكورة اعلاه , واحيانا في عبارة (رؤوف بالعباد).

٢٢٨- وردت كلمة (لطيف) في سبعة مواضع من القرآن استعملت في جميعها كصفة للّه سبحانه .

٢٢٩- وردت كــلمة (حفي) في موضعين فقط من القرآن وفي واحد منهما فقط كصفة للّه سبحانه وتعالى (وهوالاية اعلاه).

كما امنتكم على اخيه من قبل فاآللّه خير حافظا وهو ارحم (قــال هــل آمــنــكــم عليه الا الراحمين).

٢٣١- (قال لا تثريب عليكم آليوم يغفر آللّه لكم وهو ارحم الراحمين).

٢٣٢- (قال رب آغفر لي ولاخي وآدخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين).

٢٣٣- مستدرك سفينة النجاة نمازي شاهرودي : المجلد ٤ ص ١٣٥.

٢٣٤- بحار الانوار : ج٧ ص ٢٨٧ , (باب مايظهر من رحمته تعالى في القيامة).

٢٣٥- سفينة البحار : ج ١ ص ٥١٧.

٢٣٦- مصباح الكفعمي : ص ٣٢٥.

٢٣٧- توحيد الصدوق : ص ٢١٤.

٢٣٨- مجمع البحرين : مادة (ود) ــ توحيد الصدوق : ص ٢١٤.

٢٣٩- الــبقرة : ١٤٣, التوبة : ١١٧ , التوبة ١٢٨ : النحل : ٧ و٤٧ , الحج : ٦٥, النور : ٢٠ , الحديد : ٩ ,الحشر : ١٠.

٢٤٠- نهاية ابن الاثير : مادة (راف) , ونفس هذه المادة في (لسان العرب) و (مجمع البحرين).

٢٤١- مجمع البيان : ج٥ , ص ٨٦.

٢٤٢- الانعام : ١٠٣, الحج : ٦٣, لقمان : ١٦, الملك : ١٤ , الاحزاب : ٣٤.

٢٤٣- سورة يوسف : الاية ١٠٠ , سورة الشورى : الاية ١٩.

٢٤٤- مفردات الراغب الاصفهاني ولسان العرب , مادة (لطف).

٢٤٥- مصباح الكفعمي : ص ٣٢٢.

٢٤٦- مــفــردات الــراغب , لسان العرب , مقاييس اللغة , نهاية ابن الاثير , تاج العروس , وكتاب العين .

٢٤٧- وردت هذه الصفة في آية واحدة من القرآن الكريم .

٢٤٨- تكررت صفة (غفور) في القرآن ٩١ مرة , واقترنت بصفة (رحيم) في اغلب الموارد كما في الاية اعلاه .

٢٤٩- وردت صفة (غفار) في القرآن اربع مرات فقط , آقترنت في ثلاث منها بصفة (عزيز) كما فـــي الايـــة المذكورة اعلاه (ص ــ ٦٦ , الزمر ــ ٥ , غافر ــ ٤٢) ووردت لوحدها في موضعين فقط (طه ــ ٨٢ , نوح ــ ١٠).

٢٥٠- وردت هــذه الصفة في القرآن خمس مرات اقترنت في اربع منها بصفة غفور(الحج ــ ٦٠ , المجادلة ــ ٢,النسا ــ ٤٣ و ٩٩) , وفي واحد منها فقط بصفة (قدير) (النسا ــ ١٤٩).

٢٥١- استعملت كلمة (تواب) في القرآن الكريم في احد عشر مرة كصفة من صفات اللّه واقترنت جــميعها بصفة (رحيم) عدا موردين منها وفي مورد بصفة (حكيم) (النورــ ١٠) , ولوحدها في مورد واحد فقط(النصرــ٣).

٢٥٢- وردت كــلمة (متكبر) في القرآن ثمان مرات , وكصفة من صفات الباري في موضع واحد فقط.

٢٥٣- مــصــبــاح الكفعمي ص ٣٢٠ , توحيد الصدوق ص ٢٠٨ , مفردات الراغب , لسان العرب , مقاييس اللغة مادة (غفر).

٢٥٤- عفو ــ على وزن فعول ادغمت واويها.

٢٥٥- نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٧.

٢٥٦- نهج البلاغة : الكتاب ٥٣.

٢٥٧- بحار الانوار : ج٦ , ص ٦, الحديث ١٢, الباب ١٩ عفو اللّه .

٢٥٨- سفينة البحار , ج٢ , ص ٢٠٨.

٢٥٩- اصول الكافي : ج٢ , ص ١٠٨ , باب العفو, الحديث (٥).

٢٦٠- اصول الكافي : ج ٢ , ص ٤٣٥ باب التوبة , ح ٨.

٢٦١- البحار : ج ٦ , ص ٢١ , الحديث ١٥ , باب التوبة وانواعها.

٢٦٢- توحيد الصدوق : ص ٢٠٦.

٢٦٣- مصباح الكفعمي : ص ٣١٩.

٢٦٤- وردت كــلمة (شكور) في تسعة مواضع من القرآن , اربعة منها كصفة للباري (فاطر ــ ٣٠ و ٣٤ ,الشورى ــ ٢٣ , التغابن ــ ١٧).

٢٦٥- وردت كــلــمــة (شاكر) في اربعة مواضع من القرآن , اثنان منها فقط كصفة للّه سبحانه (البقرة ــ ١٥٨ ,النسا ــ ١٤٧).

٢٦٦- وردت كــلــمــة (شفيع) في خمسة مواضع من القرآن , في ثلاثة منها فقط كصفة

للباري سبحانه (الانعام ــ٥١ و ٧٠ , السجدة ــ ٤).
٢٦٧- وردت كــلة (وكيل) في اربعة وعشرين موضعا من القرآن , وفي بعض هذه المواضع فقط كــصــفــة للباري مثل : (آل عمران ــ ١٧٣ , هود ــ ١٢ ,يوسف ٦٦ , القصص ــ ٢٨ , النسا ٨١ و ١٠٩ , و).
٢٦٨- وردت كلمة (كافي) في موضع واحد فقط من القرآن الكريم وهو المذكور اعلاه .
٢٦٩- اصول الكافي : ج ٢ , ص ٥٨٩ (باب الدعوات الموجزات) الحديث ٢٨.
٢٧٠- ســفــية البحار : ج ١ , ص ٧١١ , مادة شكر , واصول الكافي ج ٢ , ص ٩٤ , باب الشكر , الحديث الثالث .
٢٧١- مــصــبــاح اللغة , مقاييس اللغة , لسان العرب , نهاية ابن الاثير , التحقيق في كلمات القرآن الكريم ,وكتاب العين .
٢٧٢- هــنالك بحث مفصل حول هذه المسالة في المجلد الاول من التفسير الامثل , ص ٢٢٣ , ذيل الاية ٤٨من سورة البقرة .
٢٧٣- مصباح الكفعمي : ص ٣٤٤ , قاموس اللغة مادة (شفع).
٢٧٤- مجمع البيان : ج ٣ , ص ٨٤ , ذيل الاية ٨٥ من سورة النسا.
٢٧٥- مقاييس اللغة , مفردات الراغب , ولسان العرب .
٢٧٦- توحيد الصدوق : ص ٢١٥.
٢٧٧- مصباح الكفعمي : ص ٣٢٦.
٢٧٨- تاج العروس : مادة (وكل).
٢٧٩- بحار الانوار : ج ٧٥ , ص ٧٩ , الحديث ٥٦ , باب ما جمع من جوامع الكلم .
٢٨٠- تاج العروس في شرح القاموس : مادة كفي .
٢٨١- وردت كــلــمــة (حــســيــب) فــي اربعة مواضع من القرآن الكريم , في ثلاثة منها كصفة للباري تعالى (النسا ــ ٦ و ٨٦ , الاحزاب ــ ٣٩) وفي موضع واحد كصفة من صفات الانسان في يوم القيامة عندما يعطي كتابه بيده (الاسرا ــ ١٤).
٢٨٢- وردت هذه الصفة في ثمانية مواضع من القرآن الكريم مما يدل دليلا واضحا على اهميتها (ســورة البقرة ــ ٢٠٢ , سورة آل عمران ــ ١٩ و ١٩٩ , سورة المائدة ــ ٤ , سورة الرعد ــ ٤١ , سورة ابراهيم ــ٥١ , سورة النور ــ ٣٩ , سورة غافر ــ ١٧).
٢٨٣- وردت هذه الصفة في موضع واحد فقط من القرآن الكريم وهو المذكور اعلاه .
٢٨٤- وردت هــذه الــصــفة في موضوعين من القرآن الكريم هما : الاية المذكورة اعلاه والاية ١٦٧ من سورة الاعراف .
٢٨٥- تكررت هذه الصفة اربع عشرة مرة في القرآن مما يعد دليلا على اهميتها (سورة البقرة ــ ٢١١ و١٩٦ , ســورة آل عمران ــ ١١, سورة المائدة ــ٢ و٩٨ , سورة الانفال

١٣٣ , ٢٥ , ٤٨ , ٥٢ , سورة الرعد ــ ٦ , سورة غافر ٣ و ٢٢ , سورة الحشر ــ ٤ و ٧).

٢٨٦- توحيد الصدوق : ص ٢٠٢ , ووردت هذه المعاني الثلاثة في كتاب المصابح الكفعمي ايضا , ص ٣٢٤.

٢٨٧- تفسير القرطبي : ج ٤ , ص ٢٤٤٣.

٢٨٨- روح المعاني : ج ٧ , ص ١٥٤.

٢٨٩- مجمع البيان : ج ٢ , ص ٢٩٨ , ذيل الاية ٢٠٢ من سورة البقرة .

٢٩٠- مجمع البيان : ج ٢ ص ٢٩٨ , ذيل الاية ٢٠٢ سورة البقرة .

٢٩١- نفس المصدر السابق .

٢٩٢- مجمع البيان : ج ٣ , ص ٣١٣ وروح المعاني , ج ٧ , ص ١٥٤.

٢٩٣- وردت كلمة (نصير) في اربع وعشرين موضعا من القرآن , وفي عدة مواضع منها فقط كصفة للّه , مثل (النسا ــ ٤٥ , الفرقان ــ ٣١ , البقرة ــ ١٠٧).

٢٩٤- وردت صفة نعم النصير في موضعين من القرآن وفي كليهما وردت كصفة للّه , احدهما الاية المذكورة اعلاه والاخر الاية ٤٠ من سورة الانفال .

٢٩٥- وردت صفة (خير الناصرين) مرة واحدة فقط في القرآن وهي كصفة للباري تعالى .

٢٩٦- وردت كلمة (قاهر) في موضعين من القرآن الكريم (الانعام ١٨ و ٦١).

٢٩٧- وردت كلمة (قهار) في ستة مواضع من القرآن الكريم جميعها كصفة من صفات الباري (يوسف ــ ٣٩ ,الرعد ــ ١٦ , ابراهيم ــ ٤٨ , ص ــ ٦٥ , الزمر ــ ٤ , غافر ــ ١٦).

٢٩٨- وردت كلمة (غالب) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم , ولكن في موضع واحد منها فقط كصفة للّه سبحانه , وتكررت كلمة (غالبون) ــ بصيغة الجمع ــ ست مرات .

٢٩٩- مقاييس اللغة ومفردات الراغب ولسان العرب .

٣٠٠- مقاييس اللغة , مصباح الكفعمي , لسان العرب , مجمع البحرين .

٣٠١- الميزان : ج١٩ , ص ٢٥٦.

٣٠٢- مصباح الكفعمي : ص ٣١٨ وفي ظلال القرآن , ج٨ ص ٥٠.

٣٠٣- تفسير الفخر الرازي : ج ٢٩ , ص ٢٩٣.

٣٠٤- تفسير القرطبي : ج ٩ , ص ٦٥٢٥ (ذكر هذا المعنى كاحد الاحتمالات).

٣٠٥- توحيد الصدوق : ص ٢٠٥ (باب اسما اللّه تعالى).

٣٠٦- كلا الحديثين عن توحيد الصدوق : ص ٢٠٥ , والحديث الاول ورد ايضا في اصول الكافي , ج٢ ,ص ٦٦٨ (باب حق الجوار , الحديث ١٢).

٣٠٧- (الموضع الثاني) سورة فصلت الاية ٣٩ ((ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل

شي قدير)).

٣٠٨- مقاييس اللغة , المفردات , لسان العرب , نهاية ابن الاثير والتحقيق في كلمات القرآن الكريم .

٣٠٩- يقول ابن منظور في لسان العرب والزبيدي في شرح القاموس : (الشهيد) من بين اسما اللّه يعني الامين في شهادته , وقال البعض : الشهيد : هو من لايخفى عن علمه شي , والشهيد معناه الحاضر (طبعالا بمعنى الحضور (المكاني) بل بمعنى الاحاطة الوجودية .

٣١٠- وردت كلمة (هادي) ــ واحيانا بلفظ (هاد) ــ في عشرة مواضع من القرآن الكريم في اثنين منها فقطكصفة للباري تعالى .

٣١١- كتاب العين ــ مفردات الراغب ــ مقاييس اللغة ــ تاج العروس ــ لسان العرب ــ مجمع البحرين (ماده هدى).

٣١٢- يلاحظ في القرآن الكريم وجود بعض التعابير الاخرى الحاوية على كلمة (خير) وكصفة من الصفات الالهية , مع ان المضاف اليه العائد لم يذكر بصيغة الجمع , وهو في مورد واحد فقط : ((فاللّه خير حافظاوهو ارحم الراحمين)) (يوسف ــ ٦٤).

٣١٣- روح البيان : ج ٩ , ص ٥٢٨.

٣١٤- نهج البلاغة : الخطبة (٩١).

٣١٥- تفسير الفخر الرازي : ج ١٥ , ص ٢٠.

٣١٦- تاج العروس في شرح القاموس : مادة (مكر).

٣١٧- روح المعاني : ج١٧ , ص ١٨٠.

٣١٨- يقول المرحوم الكفعمي في مصباحه حول تفسير ((خير الناصرين)) : ((معناه كثرة تكرار النصر منه كما قيل خير الراحمين لكثرة رحمته)) (المصباح ص ٣٤٦). ــ ورد نفس هذا المعنى في توحيد الصدوق مع فارق قليل (توحيد الصدوق , ص ٢١٦).

٣١٩- بحار الانوار , ج٤ , ص ٢٠٧ (يقول : الخير بمعنى التفضيل ولا حاجة الى ما تكلفه).

٣٢٠- البقرة : الاية ٧٥ , التوبة : الاية ٦ , الفتح : الاية ١٥.

٣٢١- سورة الاعراف : الاية ١٤٤.

٣٢٢- شرح تجريد العقائد للقوشچي : ص ٤١٧.

٣٢٣- الملل والنحل للشهرستاني : ج ١ , ص ١٠٦.

٣٢٤- بحار الانوار : ج ٤ , ٦٨ , الحديث ١١ , الباب الاول .